حولية كلية البنات

بجامعة عين شمس

العـــدد الثـــالث عشر

القسم الأدبى

مطبعة كلية البنات
١٩٨٨

فهـــــــرس

الصفحـــــة

١ ــ دراسة حول علاقة الأموريين ببلاد الرافدين فى الألف الثالث والثانى قبل الميلاد ١

للدكتور/ خالد الدسوقى

٢ ــ النماذج والنظم الجغرافية ٣٥

للدكتورة/ إيزيس لبيب السويفى

٣ ــ الفكر الفلسفى فى روسيا ٥٧

للدكتور/ علاء حمـــروش

٤ ــ الكندى المثل البارز لمرحلة الانتقال من علم الكلام إلى الفلسفة ٨٥

للدكتور/ علاء حمـــروش

٥ ــ صور من التغليب ١٠٠

للدكتورة / نجاة عبد العظيم الكوفى

٦ ــ الفروق بين الاصول والفروع ١٢٥

للدكتورة/ نجاة عبد العظيم الكوفى

٧ ــ اثر الاصوات فى فهم الظواهر اللغوية ١٥٨

للدكتور / محمد صلاح الدين بكر

٨ ــ الروح المعنوية لدى المعلمين المصريين والسعوديين دراسة عبر ثقافية ١٨٣

للدكتور/ حمدى محمد ياسين

دراسة حول
علاقة الأموريين ببلاد الرافدين في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد

للدكتور
خالد الد
جامعة عين
كلية الب

لقد ترك لنا الاموريون[1] نتفا من تاريخهم وصورا من حياتهم دونت في وثائق غطت فترة طويلة من الزمن جاوزت الفي عام . ولعل اقدم هذه الوثائق التي تناولت ذكر الاموريين وأكثرها عددا هي الوثائق العراقية القديمة التي تكاد تكون المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن هؤلاء القوم طيلة العصر الذي كانوا فيه مجموعة بشرية ذات خصائص مميزة .

لقد ذكرت المصادر السومرية هذا الشعب تحت اسم "مارتو" Martu ، بينما جاء ذكرهم في المصادر الاكدية بأسم "أموّرو (م)" Amurru (M) [2] واذا كانت قوائم المفردات اللغوية وتشابه الاستعمال قد اثبتا ان هذين الاسمين يشيران الى مدلول واحد ، فسيظل اصلهما وتطابقهما اللغوي محاطين بالغموض[3]

---

(١) الاموريون احد فروع الساميين الذين هاجروا من الجزيرة العربية في نهاية الالف الرابع وأوائل الالف الثالث قبل الميلاد متجهين الى منطقة الهلال الخصيب (الساميون والاراء التي دارت حول موطنهم الاصلي ، بحث للدكتور محمد بيومي مهران نشر بمجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية : المجلد الرابع ص٢٧٠ (١٩٧٤م) . وقد دفعهم الى ذلك دافعين : دافع نقل التجارة والتبادل في السلع ودافع الانبعاث تحت وطأة الفقر او العوز اما متسللين فرادى وجماعات بشكل سلمي وأما غزاة فاتحين (الهجرات البشرية الكبرى ، بحث للدكتور محمد السيد غلاب نشر بمجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية : المجلد السادس ص ١٠٥ (١٩٧٦م) .

(٢) في اللغة السومرية يظهر الاسم "كورمارتو" للدلالة على منطقة والاسم "لوماوتور" للدلالة على اسم جنس ، وفي اللغة الاكدية "أموّرو (م)" — للدلالة على اسم منطقة و أموّرو للدلالة على اسم جنس.

(٣) انظر : CAD, 92-4. ومن أجل اصل مقترح للكلمتين انظر :
G.Buccellati, The amorites of the Ur III Period (Naples, 1966), PP. 133-4.

ويبدو أنه منذ العصور السحيقة في القدم شاع استعمالان مختلفان للكلمة مارتو / امورو في النصوص السومرية والاكدية . وأول هذين الاستعمالين هو الاستعمال الجغرافي حيث نجد أن هذه الكلمة تعني " الغرب " اما الاستعمال الثاني فبشري حيث يجعلها تعني أشخاص أو جماعات يرجعون في اصولهم الى مناطق خارج منطقة سومر ـ اكد (اى جنوب العراق على وجه الدقة) ويبدو أنهم قدموا من الغرب .

أما الاستعمال الجغرافي للكلمة الذى ظل مستخدما لفترة طويلة في الوثائق العراقية القديمة ، فقد ثبت أنه أستخدم منذ العصر الاكدى القديم ففي أحد النصوص التي نقشت على مسلة مانشتوسو (حوالي ٢٣٠٠ ق م) والتي تصف بعض الحقول ، اشارت الى الجانب الغربي بالعبارة "تومار ـ تو" tu mar - tu (١) ونفس هذا الاستعمال يظهر في مصادر آخرى من العصر الاكدى القديم وعصر اسرة اور الثالثة ، الامر الذى يدل على انه كان شائعا ابان النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد .(٢) واذا كان استخدام نعت هذه الكلمة لتدل على منطقة وما يعيش فيها من سكان فيمكن القول يقينا بأن الاستعمال الجغرافي لهذه الكلمة الذى يدل على احدى الجهات الاصلية الاربعة (الغرب) كان استعمالا ثانويا بالرغم من انه يرجع الى عهد سحيق في القدم . وعلى ذلك فأن جهة الغرب كانت تسمى مارتو / أمورو لوجود منطقة غرب بلاد العراق القديم كانت تسمى بهذا

---

(١) V. Scheil, Textes élamites- sémitiques (Paris, 1900) 12 (Aix 16), 20 (Bvi 16), 29 (C xiii 23), 36 (D ix5).

(٢) Cf. F.R. Kraus, "Provinzen des neusumerischen Reiches von Ur", Z A 51 (1955), 46 (1.12), 52.

الاسم [١] وعلى غرار هذا المثال نجد أن الشمال اصبح يعرف بأسم سوبارتو والشرق بعيلام والجنوب بسومر وبذلك تكتمل لدينا صورة جغرافية اطارها الجهات الاصلية الاربعة بينما تحتل آكد /بابل المركز منها [٢] ولعل اقدم دليل لدينا على استعمال كلمة مارتو /امورو بمعنى " الغرب" يشير الطريق الى معرفة الجهة التي وفد منها الاموريون الى بلاد مابين النهرين لان كثيرا من الباحثين القدامى قد اهملوا هذه الحقيقة خاصة الذين نادوا بأن الاموريين قدموا الى العراق القديم من الشمال الشرقي [٣] .

ولعل أقدم ماوصلنا من النصوص تلك التي وردت فيها الكلمة "مارتو" بمعناها البشري . ففي نص من فارا يرجع تاريخه الى حوالي ٢٦٠٠ق م . سجل قائمة بأسماء بعض الفلاحين ورد ذكر لاحد الاشخاص يدعى ا — ا ج — جيد مار — تو

---

(١) لقد نادى البعض احتمالا بان هذه الكلمة تشير الى اسم قبيلة او مجموعة من القبائل ثم اصبح اسما عاما يطلق على بدو الصحراء السورية العربية أنظر : Moscati, The Semites in Ancient History. (Cardiff, 1959), P.54.

(٢) ولعل فكرة ان العالم مكون من اربع مناطق كل منها يتجه الى احدى الجهات الاصلية الاربعة قد اختلف في مفهومها باختلاف العصور ، قارن :
K. Tallquist, "Himmelsgegenden und Winde", Studia Orientalia 2 (1928), 105-85.
ففي أسطورة انمركار يظهر تتابع الجهات الاربعة سوبارتو — سومر — أكد — مارتو أنظر : S.N. Kramer, Enmerkar and the Lord of Aratta (Philadelphia, 1952), LL .141- 6
كما ظهر على التوالي سومر — مارتو — ملوها — عيلام — سوبارتو والذي قصد به اعطاء صورة كاملة للعالم الذي تحتل سومر المركز فيه ، أنظر : S.N. Kramer, in ANET, P. 648 .

(٣) B. Landsberger, "Über die Völker Vorderasiens im dritten Jahrtausend, 4: Amurrû", Z.A 35 (1923), 236-8 .

الذى يعتبر بدوره أول آمورى يذكر بالتحديد [1] وابان العصر الاكدى كثـــرت الاشارات الى افراد او جماعات من الناس تعتبر بأنهم "مارتو" وذلك فى مـــدن مثل لجش واوما وأداب وسوسا . [2] ومن فحص محتويات النصوص ومقارنتها بالنصـــوص المتأخرة من عهد اسرة اور الثالثة ، اصبح واضحا ان هذه الجماعات من النـــاس عبارة عن مهاجرين أتوا فى اغلب الظن من الغرب بهدف الاستقرار فى مـــدن بلاد الرافدين السفلى بحثا عن العمل فى ادارتها . وقد اطلق على هؤلاء المهاجرين اسم "مارتو" تأكيدا لمركز هم كأجانب بين غالبية السكان الوطنـــيين العاملين فى هذه المنطقة . وقد ورد فى نصوص العصر الاكدى القديم اســـماء لموظفين كان يطلق على الواحد منهم اللقب مثل "أوجولا مارتو" Ugula Martu "نو-باندا مارتونى" nu-banda martune والتى تعنى "مفتش المارتو" [3] الامر الذى يوحى بأن وجود هؤلاء المهاجريـــن بشخصيتهم المميزة كان يسبب بعض المشكلات التنظيمية فى أدارات المدن التى حلوا فيهـــا .

واذا كان ما أمدتنا به الوثائق حتى الان عن الاموريين يقف عند مستـــوى الافراد او الاسر خلال العصر الاكدى القديم خاصة فى عهد شار-كالى-شـــارى (حوالى ٢٢٥٠ ق.م) اطلق على أحد سنوات حكمه "السنة التى هزم فيهـــا (الملك) المارتو عند جبل باسار" [4] مما يدل على أن الاموريين أصبحت تنظمهم وحدة سياسية تنظم لعلاقاتها مع دويلات المدن فى العراق القديم. وفى هذه العبـــارة

---

(١) A. Deimel, Wirtschafttexte aus Fara (Leipzig, 1924), no.78, L.10.

(٢) CF. J.R. Kupper, les nomades en Mesopotamie au temp des rois de Mari (Paris, 1957), 150-1.

(٣) Ibid., 150.

(٤) H. Hirsch, "Die Inschriften der Könige von Agade", AFO 20 (1963), 28-9 (no.2); cf. Kupper, op. cit. 149 (N.3)-150.

ايضا مايشير الى معركة حربية بين الطرفين دارت رحاها خارج حدود بلاد الرافديين وعلى وجه التحديد عند جبل بشرى [١] في الصحراء السورية غرب الفرات الاوسط اى في المنطقة التي اطلق عليها اهل الرافدين اسم "امورو" . ويظهر الارتباط جليا بين جبل بشرى والاموريين من التعريف الذى اطلقه الملك جودبا على هذا الجبل حينما سماه "باسال ـ لا خور ـ ساج مارتو" [٢] وهى عبارة تعنى "باسا لا جبل امورو" . وكذلك من تفسير عبارة "كور باـ شار" بأنها تعنى "كور ـ أمورى" في معرض ذكرها في ابتهالات ليشور [٣] واذا كانت نصوص العصر اللاحق للعصر الاكدى القديم قد اكدت ان شعب المارتو رحالة رحل ، فأن نشوب هذه المعركة في هذه المنطقة الجبلية بعيدا عن المناطق الزراعية الآهلة بالسكان توضح لنا انها كانت حملة تأديبية شنتها الجيوش الاكدية ضد هذه الجماعات الرعوية التي اعتادت اساليب السلب والاغارة على أرض الزراعة من العراق القديم .

وفي عهد اسرة اور الثالثة تكثر الاشارات عن الاموريين وتتنوع بعد أن كانت متفرقة وتحتوى على معلومات محددة عنهم [٤] . فنصوص هذا العصر الادارية تتكلم

---

(١) لقد كان Smith أول من أقترح بان جبل باسار هو بعينه جبل بشرى الذى يقع في الصحراء السورية شمال بالميرا انظر: S. Smith, Early History of Assyria (London, 1928), P.98.

(٢) A. Falkenstein, Die Inschriften Gudeas von Lagas I (Rome, 1966), pp. 51 F; cf. ANET, P. 269.

(٣) E. Reiner, "Lipšur Litanies", JNES 15 (1956), 134 (l.39).

(٤) E.g. G. Buccellati, op. cit.; M. Lambert, Tablettes économiques de Lagash (Paris, 1968), nos. 50; 6; 139, 3; 276, 11.

عن افراد وصفتهم بأنهم "مارتو" تماما كما حدث في العصر الاكدي القديم اسلوبا ومضمونا . وأن المعلومات التي تستقيها من نصوص هذا العصر من الكثرة والتنوع بحيث يمكن أن تعطينا فكرة واضحة عن خصائص الوجود الاموري في مواقع مختلفة من امبراطورية اور . ومعظم هذه المعلومات وردت الينا من نصوص مدينة درهم (بوزريش-داجان) التي تقع بالقرب من نيبور والتي كانت تعتبر اكبر مركز لتجميع الماشية واحد مراكز الادارة الاقتصادية في امبراطورية اور . ولقد اشارت نصوص درهم الى الدور الرئيسي الذي كان يلعبه شعب المارتو باعتبارهم موردين للاغنام والماعز وهو دور يتفق مع طبيعة حياتهم الرعوية . ويبدو أن توريد هذه الماشية كان يتم فصليا الامر الذي يجعل وجودهم في هذه المنطقة يتفق مع عادة الانتقال الفصلي الذي تمارسه الجماعات الرعوية مصحوبة بماشيتهم . (1)

اما في المدن الاخرى مثل اسين نجد أن شعب المارتو يقومون بدور المشتري للبضائع الجلدية بينما في لاجاش رأوا انهم يتسلمون حصصهم من الاطعمة ربما في مقابل اعمال ادوها في هاتين المدينتين . من هذا نتبين انه في المدن التي تقع في اقصى الشمال (درهم واسين) والقريبة من الموطن الاصلي لشعب المارتو جاء ذكر المارتو في نصوصها باعتبارهم اجانب علاقتهم بالادارة في أور لاتتعدى العلاقات التجارية مثل بيع الماشية وشراء المنتجات الصناعية . بينما في سومر نفسها ظهر المارتو كأفراد مقيمين يأخذون اجورا من الادارة في أور لقاء اعمال قاموا بها . ولعل هؤلاء المقيمين ماهم الا مهاجرين من وطنهم الاصلي وفي سبيلهم الى الزمان في المجتمع الذي هاجروا اليه على الرغم من أنه لايزال ينظر اليهم كعنصر متميز بين السكان الاصليين . كما نرى الاختلاف واضحا أيضا في

---

(1) M.Liverani, RSO 43 (1968), P. 121, n.2.

اسماء الاشخاص في المدن الشمالية منها في الجنوب . ففي دركم واسين تسمى المارتو باسماء سامية غربية (آمورية) بصفة عامة . بينما في لاجاش وأوما تسموا بأسماء سومرية واكدية في اغلب الاحيان اى الاسماء الشائعة في المنطقة التي أقاموا وعملوا فيها . من هذا يتضح أن المهاجرين من شعب المارتو سواء كانوا جماعات أو افراد وجدوا انه لامفر من الاختلاط بالسكان الوطنيين عن طريق الزواج وتعلم واستخدام اللغة المحلية .[1] وبالتدريج نسى شعب المارتو عاداته القديمة وسرعان ماذاب في العالم السومرى ـ الاكدى .

ولكن ماهى الفكرة السائدة التي كانت لدى سكان بلاد الرافدين الاخرين عن الامورين ؟

لقد امدتنا بعض النصوص التي يرجع تاريخها الى عصر اسرة اور الثالثة والسنوات التي أعقبتها مباشرة بصورة واضحة عن صفات الامورين بالرغم من أنها صفات نمطية بسيطة التركيب ولعل الوصف الذى تقدمه لنا " اسطورة مارتو " عن الالة مارتو[2] يعكس بوضوح الخصائص الحضارية لهذا الشعب الذى يحمل نفس الاسم . فتصف هذه الاسطورة هذا الالة بأنه : " هو الذى يعيش في خيمة معرضا للرياح والمطر والذى يحفر الارض بحثا عن الكمأة عند سفح الجبل والذى لايثنى ركبتيه (ليزرع الارض) والذى يأكل طعامه نيئا والذى لايملك بيتا

---

(١) بشأن ما اثاره اختلاف اللغة بين المهاجرين الامورين والسكان السومريين من مشاكل ، أنظر الاشارة الى عبارة " مترجم اموري " eme-bal mar-tu في G.Buccellati, op.cit., 328-9.

(٢) عن الالة مارتو / أمورو وصلته بالامورين ، قارن : J.R. Kupper, L'iconographie du dieu Amurru dens la glyptique de la I'ere dynastie babylonienne (Brussels, 1961).

طوال حياته ولا قبر عند وفاته" [1] وهناك نصوص اخرى تؤكد ملامح هذه الصورة فتذكر : " المارتو الذى لايعرف الحبوب" " المارتو الذى لايعرف المنازل والذى لايعرف المدن، الرجل الجلف الذى يعيش فى الجبال لعله يحضر ضأنا وأغناما " "المارتو الذى له قوة دفع الرياح الجنوبية والذى لايعرف المدن " ، " المارتو المغيرون ذوو الغرائز الحيوانية مثل الذئاب" [2] من هذا نتبين أن الاموريين كانوا شعبا من الرعاة الرحل يعيش فى الجبال بعيدا عن الوديان الزراعية الخصبة ، لا يعرف الزراعة او حياة المدينة سمته التأخر وعدم المشاركة فى حياة المجتمع المدنى فى بلاد النهرين . ولكن يجب ملاحظة ان هذه الصورة التى رسمها اهل العراق القديم للاموريين لم تكن منصفة الى حد ما بالنسبة لاسلوب حياتهم وتراثهم الحضارى ، حيث أنها خضعت للعموميات وسوء التقدير الذى دائما مايصاحب الوصف العام " للاجنبى " فى الحضارات التى تتعصب لعرقها . واذا كانت بعض عناصر هذه الصورة قد تكونت نتيجة للملاحظة المباشرة مثل " المارتو الذى يعيش فى خيمة " او " الذى لايعرف الحبوب" فأن العناصر الاخرى كونجا التحيز أو عدم المعرفة مثل " الذى ليس له قبر " أو " الذى يأكل طعامه نيئا [3] .

---

(١) E. Chiera, Sumerian Epics and Myths (Chicago, 1934), no. 58 iv, 24-9 ; cf. G. Buccellati, op. cit.92f

(٢) أنظر, G. Buccellati, op. cit.92-5; Ur Excanations, Texts, I,N.206, P.6;L. Legrain, Historical Fragments (Philaclelphia, 1922), pp.28-32, nos. 3-6

(٣) Cf. M.Liverani, "Per una considerazione storica del problema emorreo, "Oriens antiquus 9(1970),22-6
حيث يظهر أن عناصر أخرى من هذا الوصف الادبى تتعارض مع نصوص هى اقرب الى الحقيقة مثل التى تصف المارتو بعدم الاستقرار أو ممارسة الزراعة .

وهكذا يبدو أن الفكرة التي كونها سكان بلاد الرافدين القدماء عن الاموريين ينقصها الدقة والمعرفة الى حد ما لانها كانت تخص الاموريين الذين وفدوا الى مدنهم بحثا عن عمل أو مجموعات المغيرين الذين كانوا يعترضون طريق التجار وحاملي الرسائل حينما كانوا يغادرون مدنهم ويخترقون "الجبال". لقد انخدع بعض العلماء بهذه الصورة عن الاموريين فرأوا فيهم بدوا رحل سكنوا الصحراء الغربية السورية حيث كانوا يمارسون ضغطهم على العراق القديم (١) ، ولكن الامر المشكوك فيه هو ما اذا كان كل الاموريين ، بما فيهم أولئك الذين يعيشون في وطنهم الاصلي سوريا ، ينطبق عليهم الوصف الذي ذكره عنهم اهل بلاد الرافدين الذين كانوا على غير معرفة كبيرة بالحضارة السورية . (٢)

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو ما اذا كان كل الاموريين رعاة رحل كما صورهم سكان بلاد الرافدين ام أن هناك آموريين آخرين فيما وراء "الجبال" — يعيشون في مدن وينتظمون في هيئات سياسية وأجتماعية يملكون مقومات الحياة المدنية التي لا تختلف كثيرا او تقل عن تلك التي كانت سائدة في بلاد الرافدين. ولاعطاء اجابة مرضية عن هذا السؤال يجب أولا فحص المعطيات الاثرية التي خرجت من سوريا — الوطن الاصلي للاموريين — وهذا قد يؤدي بنا الى رأي اقرب الى الصواب عن حضارة الاموريين من ذلك الرأي الذي يحمل طابع التحيز الذي يتردد كثيرا في النصوص الادبية السومرية . كذلك من الاهمية بمكان التحليل اللغوي للاسماء الاموريه السذي يظهر ما اذا كانت اللغة الاموريه احدى اللغات او اللهجات الكثيرة المتعاصرة والتي كان يتكلم بها شعوب مختلفون في أصلهم واسلوب حياتهم ام انها كانت تمثل كل مجموعة اللغات السامية الغربية خلال الفترة حوالي نهاية الالف الثالثة وبداية الالف الثانية قبل الميلاد . وهناك من يميل الى الاعتقاد بأن الاموريين لكونهم بدوا رحل ويكونون مجموعة بشرية متماسكة

---

(١) Moscati, The Semites, P.54.

(٢) cf. G. Roux, Ancient Iraq (Bungay, 1966), p.161.

يمكن مقابلتهم بالكنعانيين المستقرين الذين كانوا يسكنون سوريا فى الوقت الذى وصل فيه الاموريون اليها اى حوالى عام ٢٠٠٠ ق م . ولعل هذه النظرية الخاصة بوصول الاموريين الرحل الى سوريا وبلاد الرافدين من الصحراء السورية حوالى ٢٠٠٠ ق م مرتبطة الى حد كبير بالرأى القائل بأن حياة البداوة الدنيا استلزمت انتقال مجموعات كبيرة من البشر ، كما هو شأن الحياة البدوية فى وسط آسيا . — ومرتبطة أيضا بوجهة نظر القائلين بأن الشعوب السامية خرجت من الصحراء على فترات وفى موجات كبيرة . (١) ومن الصعب قبول هذين الرأيين فى ضوء ما هو معروف الان من أن حياة البداوة ابان العصر البرونزى لم تكن الا تحركات لمسافات قصيرة تقوم بها جماعات تنتمى الى مجتمع مزدوج الحرفة يعمل أفراده بالزراعة والرعى معا بحيث يكونون وحدة بشرية متكاملة . (٢)

علاوة على ذلك فقد اثبتت الابحاث اللغوية عدم وجود اى اثر للمنهجة كنعانية مستقلة عن اللهجة الامورية حتى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ، ذلك الاستقلال الذى قد يوحى باختلاف فى اصلهما او فى وقت وصولهما الى منطقة سوريا — فلسطين . فاللهجة الامورية هى اللهجة السامية الشمالية الغربية الوحيدة التى ثبت ظهورها بين عامى ٢٣٠٠ ، ١٦٠٠ ق م ، بل فى الحقيقة هى اللهجة التى تطلق اليوم على اللغة السامية الشمالية الغربية التى كانت سائدة فى ذلك العصر . بجانب هذا لايوجد أى اثر للهجة " الكنعانية " قبل منتصف الالف الثانية قبل الميلاد علاوة على أن الخصائص اللغوية التى تميز "الكنعانية" عن "الامورية" ليست الا عناصر مستحدثة وجدت فى " الكنعانية " وتعتبر تطورا محليا ظهر حوالى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد . وحوالى نفس الوقت بدأت —

---

(١) هناك عرض مستفيض لهذه النظرية فى Moucati, The Semites, pp. 52 ff.

(٢) عن انماط حياة البداوة فى الشرق القديم وعن فكرة "المجتمع مزدوج الحرفة" انظر M.B. Rowton, "The physical Environment and the Problem of the Nomads," in J.R. Kupper (ed.), La Civilisation de Mari (Paris, 1967), pp. 109-21.

بدأت اللغة الامورية تتشعب الى لهجات عديدة بصورة واضحة وقد استمرت هذه الظاهرة حتى الالف الاول قبل الميلاد الامر الذى أدى الى الاختلاف بين اللهجة "الارامية" و "الكنعانية". وفى الحقيقة ليس هناك مايبرر ارجاع حدوث هذه الظاهرة الى زمن اسبق معتبرين "الامورية" نوعا من لغة "ماقبيل الارامية" التى تميز الرحل فى مقابل "الكنعانية" التى تميز السكان المستقرين. (١)

وتتناقص هذه الوحدة اللغوية التى تميز الساميين فى سوريا خلال العصر الامورى مع ماتحدثنا به المصادر الادبية والاثرية من دلالات وذلك نتيجة لاختلاط حضارة مدنية زراعية مع اسلوب الحياة الذى يميز جماعات البدو الرحل. ومن الواضح من نقوش سرجون ونرام سين وكذلك من النصوص الادارية من عهد أسرة اور الثالثة يمكن أن نستدل على وجود مدن فى سوريا مثل أبلا وارمانوم وجبيلا كانت ذات صلة تجارية وسياسية بحكومات بلاد الرافدين التى أحيانا ما اخضعت هذه المدن لسيطرتها. (٢) ولقد اكدت الحفائر الاثرية فى العمق وحماه وتل ماريخ وجود مدن متطورة فى القرون الاخيرة من الالف الثالث تشهد تلك التى ثبت وجودها فى فلسطين. فهذه المدن التى تنتمى الى الدور الاخير من العصر البرونزى المبكر كانت ذات حضارة زاهرة يظهر فيها تأثير حضارة بلاد الرافدين خاصة فى الفنون التصويرية كما تتميز بتطور ملحوظ فى هندسة قصورها ومعابدها وقلاعها. وما هو جدير

---

(١) أنظر: S.Moscati, "Il Semitico di nord-ovest", Studi orientalistici in onore di G.Levi Della Vida, ii (Rome, 1956), pp.201-21.

(٢) انظر: H.Hirsch, AFO,20(1963), 38,74-5; D. Luckenbill A M essenger from Ibla", AJSL 39 (1922-3), 65-6; I.J. Gelb, "Studies in the Topography of Western Asia", AJSL, 55 (1938) , 77.

بالملاحظة ان هذه الخصائص الحضارية يعيتها من اقتصاد زراعي الى طراز بنـــاء القصور الى علاقات تجارية ودبلوماسية مع حكومات بلاد الرافدين • توجد أيضـــا في حضارة سوريا وفلسطين التي ترجع الى العصر البرونزي المتوسط في النصـــف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد • وتبين النصوص التي وصلتنا من ماري وألالاخ (VII) أن الاساس البشري الذي قامت عليه هذه الحضارة آموري في معظمـــه • ويضع المؤرخون الحضارة المسماه بالحضارة " المتوسطة بين العصر البرونزي البكر — المتوسط " بين هاتين الحضارتين ويميل البعض وخاصة Kenyon الـــى نسبتها الى شعب رحل • (1) ولقد ارجع هذا العصر " الوسيط " الذي يتميـــز بخصائصه الرعوية الى حوالي ٢٠٠٠ ق م ولقد ادت المقارنة بالنصوص السومريـــة التي تصف الاموريين في نفس هذا العصر الى الاستنتاج بأن هذه الحضـــارة " الوسيطة ماهي الا بقايا " الاموريين " الاثرية • ولكن يجب أن نتقبل هذه النظرية بشيء من الحذر حيث ان ضغط الاموريين على بلاد الرافدين حدث منذ ٢٦٠٠ ق م كما هو واضح من نصوص فاراوازد اد قوة أبان اسرة اكد وأور الثالثة بل استمر بعد ذلك لفترة طويلتكما سنرى • وبناء على ذلك فأن الضغط الاموري على بلاد الرافديـــن قد حدث في زمن اقدم بكثير من زمن الحضارة السورية الفلسطينية " الوسيطة " — علاوة على ذلك فأن الصفة الرعوية التي الصقت بهذه الحضارة الاخيرة يجـــب رفضها خاصة بالنسبة لسوريا • فلو أن التغيير الفاجيء بين العصر البرونزي — البكر والمتوسط استلزم انقلابا اجتماعيا وسياسيا فيصبح من المستحيل ايجاد علاقة بين موطن واصل العناصر المادية المستخدمة في هذه الحضارة وبين الموطن الاصلي

---

(1) Cf. K.M. Kenyon, Amorites and Canaanites(London, 1966); id.,"Syria and Palestine, C. 2160-1780, in CAH I/2, (Cambridge, 1971), Fasc.29,(1965),pp.38-61

للامورييين الذين نسبت اليهم هذه الحضارة.[1] والرغم من أن نظرية Kenyon تتناسب تماما مع الفكرة القديمة الخاصة بموجات الغزو التي قامت بها الشعوب الساميه وخاصة مع وصول الامورييين الرحل الى سوريا وفلسطين حوالى عام ٢٠٠٠ ق م فأنها لم تعد تتفق مع الفكرة التي تؤكد ان البدو الرحل مجتمع مستقبر مزدوج — الحرفة ولامع التجانس العرقي واللغوي بين الشعوب الرعوية والمستقرة التي عاشت في سوريا ابان العصر البرونزي. ونتيجة لذلك يجب التخلي نهائيا عن الفكرة التي نادت بأن الامورييين هم اصحاب هذه الحضارة "الوسيطة" بل الافضل أعتبار هذا "العصر المتوسط" والحضارة المدنية التي شهدتها نهاية العصر البرونزي الميكر (والعصر البرونزي بعد ذلك) البيئة التي عاش فيها الامورييين كبدو رحل وكشعب مستقر.

ومن الواضح أن هناك اختلاف ملحوظ بين الادلة المباشرة المتوفرة والخاصة بالضغط الذي مارسه الامورييون الرحل على دويلات بلاد الرافدين والادلة الثانوية القليلة التي تتعلق بالامورييين المستقرين في سوريا. ولعل مرجع هذا الاختلاف هو نوع الادلة التي ترجع في اصلها الى بلاد الرافدين والتي لاترقى الى المستوى التاريخي. وعلى الرغم من أن الظاهرة البارزة في مصادر الفترة حوالى عام ٢٠٠٠ ق م. هي تحرك جماعات الرحل نحو وادي دجلة والفرات فان مركز العالم الاموري كان لايزال في سوريا. وهناك ادلة صريحة على وجود آموريين مستقرين في المدن السورية في تلك الفترة فعلى سبيل المثال ماجاء في نص من كيلوكيا من ذكر لاثنين من الامورييين كانا يعيشان في مدينة نيهريا

---

(١) وقد لاحظ P.Lapp. ان العناصر المستحدثة في الحضارة المادية لهذا العصر مستمدة من حضارة البحر المتوسط بينما الغزو الاموري المحتمل يجب ان يكون قد بدأ من الصحراء السورية العربية. أنظر: P.Lapp, The Dhahr Mirzbaneh Tombs (New Haven, Conn, 1966).

وماذكر عن تجار أيلا الذين كانوا يتعاملون " بالفضة الامورية " [١]

لقد بلغ الاندفاع الاموري تجاه بلاد الرافدين شدته حوالى عام ٢٠٠٠ ق م اى فى السنين الاخيرة من عصر اسرة اور الثالثة . وقبل ذلك حدثت بعض الاغارات الامورية ايام حكم شار ـ كالى ـ شارى آخر ملوك اكد حوالى ٢٢٥٠ ق م منذره بقرب هبوب العاصفة . وهناك قوائم عديدة تسجل انواع الاسلاب التى استولى عليها ملوك أور من الاموريين [٢] . كما أن هناك ايضا اشارات الى اسرى أموريين فى نصوص من عهد شولجى (٢٠٩٤ ـ ٢٠٤٧ ق م) [٣] وكل هذا يشير الى حملات حربية ومعارك بين الجانبين . وقد سجلت احدى هذه المعارك فى نقش من أيام شو ـ سين (٢٠٣٧ ـ ٢٠٢٩ ق م) حيث وصفت وقائعها بالتفصيل [٤] ويبدو أن هذه العمليات الحربية التى قام بها ملوك أور ضد الاموريين كانت ردا على هجماتهم المستمرة على ممتلكاتهم . ويبدو أيضا أن الموقف كان جد خطير حيث أتخذ ملوك أور موقف الدفاع عن مدنهم وأخذوا على عاتقهم بناء سلسلة من الاستحكامات ربطت نهر دجلة بالفرات لحماية المدن الاكدية والسومرية من أى اعتداء آمورى يأتى من الشمال [٥] وقد بدأ العمل فى هذه التحصينات فى عهد شولجى . وتعرف

---

(١) S.Smith, Cuneiform Texts from Cappadocian Tablets, ii (London, 1924), no. 49, 13-14, and B.Kienast, Altassyrische Texte (Berlin, 1960), no 32,17-22.

(٢) cf.S.J. Lieberman; JCS, 22(1968-9), 53-62.

(٣) G.Roux, Ancient Iraq, P.161.

(٤) M.Civil, "Šu-Sin's Historical Inscriptions, Collection D", JCS, 21 (1967),31-2 .

(٥) C.Wilcke,"Zur Geschichte der Amurriter in der Ur-III- Zeit", WO 5 (1969), 1-31; C.J. Gadd, " Babylonia c.2120-/800 B.C", in CAHI,Part ii (1971),pp.612-1

من الرسائل المتبادلة بين الملك وموظفيه ان حائط الدفاع هذا قد تم بناءه في العام الرابع من حكم شو سين والذي سمي : " العام الذي شيد فيه شو سين ملك أور الحائط الاموري (المسمى) "الذي يصد ديد (أ) نوم" (١) كما نعرف من خطاب آخر ارسله احد الموظفين للملك ان طول هذا الحائط بلغ ٢٨٠ كيلو مترا .

وبفضل بناء هذا الحائط استطاع ملوك اور مراقبة تحركات الاموريين والتحكم في محاولاتهم للتسلل الى بلاد الرافدين حيث لم نعد نسمع عن الاموريين خلال السنوات العشر التي تلت بناء هذا الحائط ، ولكن ذلك كان مرتبطا بمقدرة الحكومة في أور على الاستمرار في صيانة هذا الحائط وامداد حصونه بالجند اللازمين لادارتها . ولكن يبدو ان الامور بدأت تسوء في عهد الملك أبي سين (٢٠٢٨ - ٢٠٠٤ ق م) آخر ملوك اسرة اور الثالثة . ففي ايامه اهتزت اركان الامبراطورية بسبب الازمات التي توالت عليها . وبالرغم من أننا لانستطيع تحديد اسباب هذه الازمات ، الا أنها كانت ذات نتائج سيئة للغاية . ففي السنوات الاولى من حكم ابي سين توقف اعتماد ادارات الاقاليم على الادارة المركزية تماما ولم تعد توفي بالتزاماتها نحو الحكومة في أور . علاوة على ذلك فقد ادت قلة المحصولات الزراعية واستحالة الحصول على مواد غذائية من المدن الشمالية الى ارتفاع اسعار السلع الغذائية في العاصمة نفسها فعلى سبيل المثال زادت اسعار الحبوب ستون ضعفا والاسماك خمسون ضعفا والزيت ستة اضعاف (٢) ولقد كان اقتحام الاموريين للاستحكامات

---

(١) Cuneiform Texts from Balylonian Tablets in the British Museum, xxxii, n.103354; H.F.Lutz, Sumerian Temple Records of the Late Ur Dynasty I (Barkeley, 1928), Tab. 8,44,85.
وتعني كلمة "ديد (أ) نوم" بالاكدية البلاد التي تقع غربي الفرات وسكانها وهي ترادف الكلمة "مارتو" في السومرية أنظر: G. Roux, Ancient Iraq, p.161.

(٢) T.Jacobsen," The Reign of Ibbi-Suen", JCS 7 (1953), 36-47 .

التي شيدها ملوك اسرة اور الثالثة جزءا من هذه الصورة العامة حيث تبع ذلك انتشارهم في البلاد التي كانت تعاني قلة الموارد والعجز في الدفاع عن نفسها (١)

لقد بدأ الاموريون هجومهم على حصون اور في السنة الخامسة من حكم أبي سين وتوغلوا عميقا في داخل سومر (٢) واذا كان ابي ـ سين قد أطلق على أحد سنوات حكمه " السنة التي فيها استسلم الاموريون، الاعصار الجبار، الذين لم يعرفوا المدينة منذ القدم " (٣) الا أنه يبدو ان هجوم الاموريين كان كاسحا ولم تستطع تحصينات اور أن تصدهم وفي النهاية دخلوا اور نفسها ، الامر الذي يمكن الاستدلال عليه من احد نصوص هذا الملك التي ذكرت ان " العدو، أمورو الذي دخل المدينة ، في المنطقة الان " (٤) ولقد حاول أبي ـ سين في السنة السادسة من حكمه القيام باصلاح خطوط الدفاع حول المدن الهامة مثل اور ونيبور ولكن الامور كانت تزداد سوءا ، فيدلنا خطاب كتبة أشبي ـ أرا احد قواد الملك وأحد مواطني مدينة ماري الى أنه كلف بشراء كمية كبيرة من الحبوب من منطقة اسين وكازالو واستطاع شرائها بثمن معتدل ولكنه اتضح أن ثمن الحبوب قد تضاعف وأن الاموريين قد بدأوا في الهجوم على البلاد وأخذوا يستولون على القلاع الواحدة بعد الاخرى بل قطعوا كل الطرق المؤدية الى العاصمة ، الامر الذي اعاقه من ارسال الحبوب التي اشتراها الى أور ولقد اقترح على الملك أن يعينه لحماية اسين ونيبور فأجيب الى طلبه ، وأن رخص ثمن الحبوب التي اشتراها اشبي ـ ارا ليدل على أن ـ الاموريين قد بدأوا هجومهم بعد جمع المحصول مباشرة ، ويبدو ان الموقف في

---

(١) Ibid; 39-40; C.Wilcke, WO5 (1969), 12-13.

(٢) G. Rouz, Ancient Iraq, P.162.

(٣) Ur Excavations, Texts, I,no.206,P.6.

(٤) J.Legrain, Historical Fragments, p.33,n.9.

العاصمة اور اصبح ضيقا للغاية لان أبى ـ سين اشار على اشبى ـ أرا بأن يدفع ثمن الحبوب مضاعفا اذا تمكن من ارسالها الى العاصمة . وقد نتج عن هذا ارتفاع الاسعار في أورنمو خاصة في السنة السابعة والثامنة من حكم أبى ـ سين . كما بدأ شبح المجاعة يخيم على كل مكان لاستيلاء الاموريين على حقول القمح كما تشير الوثائق الادبية اللاحقة لهذا العصر الى قيام ثورات ضد أبى ـ سين نفسه (١) .

لقد أدت الازمة الاقتصادية والغزو الاموري الى تفكك امبراطورية اورو تولست كل مدينة مسئولية الدفاع عن نفسها وحماية مواردها حيث لم يعد يرد اليها شيء من العاصمة . وليس ادل على التفكك الذى اصاب امبراطورية اور انه في السنة الحادية عشرة من حكم أبى ـ سين اعلن احد موظفيه المدعو اشبى ـ ارا استقلاله في اسين وقد استمرت هذه الاسرة في الحكم من عام ٢٠١٧ حتى عام ١٧٩٤ ق م (٢) كما سيطر شيخ آموري يدعى نابلانوم على الامور في لارسا التي تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من أور وكونا اسرة فيها كانت معاصرة لاسرة اسين وحكمت من حوالي ٢٠٢٥ الى ١٧٦٣ ق م . كما استقلت المدن المتاخمة للامبراطورية مثل موسيا وماري وأشنونا بحيث لم يعد لاور الا مساحة محدودة تسيطر عليها واخيرا استقلت فريسة في يد العيلاميين الذين اعملوا فيها كل وسائل التخريب والتدمير الامر

---

(١) H.W.Saggs, The Greatness that was Babylon (London 1962), P.58.

(٢) ولقد تركت اسرة اسين اثارا تدل على أهتمام ملوكها بالعمران وكان لخامس ملوكها لبت ـ عشتار شريعة سبقت قوانين حامورابى باكثر من قرن وتصنف القرن كتبت باللغة السومرية . انظر : عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٢٤ (القاهرة ١٩٦٦) .

الامر الذى كان له صداه فى عالم ذلك الزمان ". [1]

لقد لعب الاموريون دورا هاما فى هذه الاحداث كما كان لهم الفضل فى ادخال نظام سياسى جديد. [2] فأحيانا تجدهم يعملون فى جماعات حتى ان كلمة "اموريين" قد تشير الى مجموعة صغيرة او الى قبيلة او الى جيش من المرتزقة وليس بالضرورة الى كيان سياسى يعمل أفراده فى وحدة متماسكة لقد طلب أبى ـ سين نفسه المساعدة من الاموريين ضد الصيلاميين وقوات عدوه اشبى ـ ارا. [3] وقد صرح اشبى ـ ارا نفسه أنه حطم مدينة آمورية. [4] ولقد سجل ملوك اشنونا الاوائل احداثا تنم عن علاقتهم بالاموريين فنقرأ فى وثائقهم : "السنة التى ضرب فيها الارتو ارض أبى ـ سين" ، "السنة التى فيها خرب الارتو آشور" ، "السنة التى فيها عهد الارتو بالسيطرة على آشور لبيلالاما" ، "السنة التى فيها ضرب بيلالاما اشاكو اشنونا الارتو على الرأس" ، السنة التى فيها سلم الارتو نفسه". [5]

ولم تكن هذه الاحداث الا صدى الانشطة العسكرية واعمال السلب والنهب التى قام بها الاموريون فى الفترة التى أعقبت اقتحامهم لتحصينات أور والتى شهدت غياب حكومة مركزية قوية. وفى نفس الوقت تمكن افراد من الاموريين من تبوء مناصب كبيرة بل أن بعضهم اصبحوا ملوكا. ومن الامثلة المعروفة المدعو نابلانوم حاكم لارسا

---

(١) قارن البرشيتين التين تظمتا حزنا على تدمير اور فى : S.N.Kramer, AMET, pp.455-63,611-19.

(٢) انظر D.O.Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babylonien(Wiesbaden, 1956),p.31.

(٣) انظر الخطاب الذى ارسله أبى سين الى بوزور ـ نوبوشدا حاكم كازالو فى : AMET,pp.480-1;cf.A.Falkenstein,"Ibbisin-Išbierra", ZA 49 (1950),59-79. G.Buocellati, op.cit.93.

(٤) T.Jacobsen, The Gimilsin Temple and the Palace of the Rulers at Tell Asmar (Chicago, 1940), 175-82 (nos. 56, 64-8,70,81.).

وقد تبعه آخرون مثل سومو-أبوم وسومو-لا - إل في بابل [١] وياسمي - ال وسومو نوحيم في ماراد ، وزنو - تاحتون - ايا وانا - بالتي - ال في سيباره وعبدي - اراح وسومو - ديتانا وياوم في كيش ، وماجيد - ليم ويأخذون - ليم في ساري على الفرات الاوسط وشمس - اداد الاول في آشور الذي تدل وثائق ماري على أنه كان معاصرا ومنافسا لحامورابي ملك بابل وغيرهم في مدن أخرى. [٢]

وقد وضع ظهور هذه الاسر الامورية نهاية للحكم السومري الاكدي في المدن التي قبضوا فيها على السلطة. وكان مؤسسو هذه الاسر من الذين أستوعبوا الحضارة السومرية الاكدية بحكم أتصالهم المستمر بها ولم تمثل اللغة الاكدية مشكلة لديهم اذ سرعان ما أستخدموها في كتاباتهم. كما أنهم عبدوا الالهة السومرية التي كانت تحمل اسماء سامية. [٣] بل يمكن القول أن مجيئهم لم يغير الا قليلا في مجموعة الالهة السومرية - الاكدية. وبجانب الالهة العراقية القديمة ، استمر الاموريون يتعبدون لالههم "أمورو" في معابد شيدوها خصيصا له ولكنه ظل الها على قدر قليل من الشهرة. [٤] والراجح أن كثيرا من أسماء الاعلام في العصر البابلي

---

(١) قامت هذه الاسرة بعد أن قامت اسرتي اسين ولارسا بأكثر من قرن أي عام ١٨٤٩ ق.م وكان أشهر ملوكها حمورابي الذي ذاع صيته من أجل مجموعة قوانينية ، أنظر (عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ص ٧٥).

(٢) قارن بصفة عامة : D.O.Edzard, op.Cit.99-184.

(٣) G.Roux, Anicent Iraq, P.165.

(٤) كان الاله "أمورو" الله الصيد والحرب وتعرف زوجته بأسم "عاشرة" وتتصف بحب المسرات والنشاط وتشبه نموذج عشتار المعروف. كما عرف الاموريون عبادة الافعى التي كانت تتصل بمعبود لها علاقة بالقمر ويقابل اسمها "أشيرا" بالعبرية وهي عبارة عن عمود مقدس أو جذع شجرة يستعملان في بعض الطقوس الدينية (نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ٣ ، ص٢٧ (دار المعارف ١٩٦٦).

القديم قد دخل في تركيبها اسماء الالهة السورية والفلسطينية مثل "ال" و"لـــيم" و"خامو" فيتضح الدليل على أنها كانت تتمتع بعيادة منتظمة في العراق القديم (١) كما عبد الاموريون قوى الطبيعة وأهمها "حدد" وهو اله المطر والعواصف ثـــم الاله "رشف" ويحتمل أنه كان له صلة بالنار ثم الالة "دجن" اله السمك عبد في غـزة كان في الاصل من آلهة الاموريين. (٢) ولقد ادخل الاموريون في المدن التي حكمـوا فيها نظما جديدة خاصة بملكية الارض التي أجبروها اما من ملكيات القبيلة او الملـك او الافراد وهذا بخلاف الاعتقاد الذي ساد المجتمع السومري بأن الارض يملكهـــا الالة المحلي وحده. (٣)

وكثيرا ما قامت الحروب والمنازعات بين حكام هذه الاسر الجديدة مثل ذلك — النزاع الذي نشب بين لبت — عشتار (١٩٣٤ — ١٩٢٤ ق.م) حاكم اسين وبـــين بحاكم لارسا جونجونوم الذي هاجم اسين في السنة الثامنة من حكمه (١٩٢٤ ق.م) كما احتل اور وبذلك حق له ان يدعي السيطرة على سومر واكد وبعد سنوات قلائـــل سقطت سوسا ولاجاش ورسا اوروك في يديه وبهذا امتلكت لارسا نصف العراق — الجنوبي ومنفذا على "البحر الاسفل". ووفاة لبت عشتار حاكم اسين حل مكانـــه مغتصب على العرش الذي بدوره هزم وقتل بيد ابي — سار حاكم لارسا، وبعـــد ذلك بعشرين سنة فقد مغتصب آخر يدعى ارا — اميتي بنئور ليستولي عليهـــا منافسة سومو — ال وسرعان ما انكمشت مملكة اسين الى مدينة اسين نفسها والاراضي الملاصقة لها. وفي نفس الوقت تمكن كل من تور — اداموسين — ادينام حاكمـــي لارسا من ارسال قواتهما شمالا فاتحة مدينة بعد أخرى. (٤).

---

(١) G.Roux, Ancient Iraq, P.190.

(٢) عبد الحميد زايدة الشرق الخالد ص ٢٣٩.

(٣) Saggs, op.Cit.p.60.

(٤) G.Roux, Ancient Iraq, P;167 f.

وفى السنة الاولى من حكم سومو ـ ال ملك لارسا (١٨٩٤ ق٠م) اختار أحد شيوخ الامويين وهو سومو ـ ابوم عاصمة له مدينة تقع على بعد اميال قليلة الى الغرب من كيش على الضفة الغربية من الفرات وهى باب ـ اليم "بابل" واستطاع الخمس ملوك الاول فى بابل من فتح بلاد اكد كلها ٠ وفى عام ١٨٣٤ ق٠م قتل سيملى ـ اداد حاكم لارسا اثناء حربه مع بابل فأصبح عرش لارسا شاغرا حتى تمكن كودور ـ مابوك ٠ أحد الموظفين العيلاميين الذى كلف بمراقبة القبائل الامورية بين دجلة وزاجروس ٠ من احتلال لارسا حيث عين أحد ابنائه ملكا فى هذه المدينة قانعا بلقب "والد (أى حامى) أمورو" ويجب ان نلاحظ أن ابنى كودور ـ مابوك المدعوان وراد ـ سين وريم ـ سين اللذين حكما فى لارسا يحملان اسماء سامية وليست عيلامية ٠ وقد تمكن ريم ـ سين من هزيمة تحالف بقيادة منافسة البابلى ونجح فى عام ١٧٩٤ ق٠م فى الاستيلاء على اسين وبعد ذلك بسنتين اعتلى حامورابى عرش بابل ٠ (١)

وبعد سقوط الامبراطورية السومرية اصبحت آشور مستقلة ٠ واذا كان بوزور آشور الاول اول سلسلة الملوك الذين حملوا اسماء اكدية ٠ فان مؤسسى القوة الاشورية الحقيقية كانوا من الامويين ٠ وقد استطاع هالى احد شيوخ القبائل الامورية ان يثبت نفسه فى مكان مابين الخابور ودجلة وحكم خلفاؤه فى فلك ملوك آشور الاكديين ٠ وأخيرا نجح احدهم ويدعى الا ـ كايكابو فى الاستيلاء على المدينة وأعلن نفسه ملكا مبتدئا بذلك سلسلة من الملوك الامويين فى آشور كان أولهم شمسى ـ اداد العظيم (١٨١٤ ـ ١٧٨٢ ق٠م) ٠ (٢)

---

(١) Ibid., P.169

(٢) Ibid., P.172.

وحوالى عام ١٩٠٠ ق.م أحتل مدينة ماري جماعتين الاموريين يحتمل أنهم جاءوا من منطقة خابور وأتخذوها عاصمة لمملكة امتدت على طول الفرات من نهر الخابور حتى قرب مدينة عناة وهي منطقة تشكل ممرا طبيعيا له أهميته من الناحية التجارية وتنقل التراث الحضاري وكان من الناحية الغربية يؤدي الى البحر المتوسط ومن الناحية الشرقية الى منبع الفرات . ويعتبر ياجيد ليم أول ملك آموري حكم مملكة ماري وكان معاصرا للا ـ كابكابو ملك آشور . وسرعان ماقامت الحرب بين الاشنين تحطمت اثناءها قلعة ياجيد ـ ليم ولكن ابنه ياحدون ـ ليم تمكن من أستعادة ملك والده بل وصلت فتوحاته حتى البحر المتوسط . وأخيرا سقطت ماري في يد شمشي ـ اداد الاول ليضمها الى الامبراطورية الاشورية . [1] وقد استطاع André Parrot ان يكشف عن تراث حضارة "ماري" حينما قام بحفائره في تل الحريري ، التي تقع على بعد ميل واحد تقريبا من غربي الفرات بالقرب من بلدة ابو كمال ، وقد وفق للعثور الى جانب العدد الكبير من البنايات الضخمة بما فيها القصر الملكي الكبير الذي كانت مساحته مايقرب من ستة افدنة والذي يحوي حوالى ثلاثمائة حجرة مزينة بالصور الملونة وملحق بها عدد كبير من الحمامات ، على اكثر من عشرين الف لوح من الالواح الطينية نقشت بالخط المسماري واللغة الاكدية استطاعت ان تميط اللثام عن مرحلة حضارية من أهم المراحل في هذه العصور ، اذا أنها تشير الى قيام علاقات تجارية وتنظيم اداري متقدم وكانت تمثل كلها الارشيف الخاص بالملك زمري ـ ليم آخر ملوك ماري (١٧٧٩ ـ ١٧٦١ ق.م) الذي قضى حامورابي ملك بابل على دولته . وكان العثور على هذه المجموعة من الوثائق مما ساعد على القاء ضوء على مختلف الوان الحياة في هذا الاقليم في الالف الثانية قبل الميلاد وعلى العلاقات السياسية بينه وبين جيرانه . ولعله من المهم ان نشير الى بعض اسماء البلاد السورية التي وردت في

---

(١) G. Dossin, "L'inscription de fondation de Iahdun Lim roi de Mari", Syria, 32 (1955), pp. 1- 28

هذه الالواح نمن بينها خلبو (حلب) عاصمة مملكة يامخد الامورية وكذا جوبلـــــة (جبيل ــ بيبلوس) التي كان اميرها ينتين عمو يرجع الى اصل آموري ه كمـــــا ورد ذكر غيرها من البلاد الهامة. كما وردت بها بعض اسماء الالهة مثل "أمـــورو" وزوجة عشرتا وحدد اله الرعد والمطر والعاصفة ورشف اله المنار الذي أنتقلت عبادته الى مصر وجان اله الخصب والطعام. (١)

وتوضح لنا المراسلات بين ملوك هذه الدويلات الامورية الاعداد الهائلـــة من الجنود التي كانت تقدر بالالاف والتي كانت تعسكر في حاميات هذه الدويلات لحماية مكانتها المستقرين من غارات الرحل المتنقلين. فهاهو باسماداد ملـــك ماري يكتب الى أخيه شمبي ــ داجان موضحا له أن خمسمائة جندي كلفوا بحراسة المدينة بينما خمسمائة آخرى انيط بهم حماية قطعان الماشية. كما كان التعـــاون قائما بين الحكام الاموريين سواء في النواحي الاقتصادية او الحربية او السياسية (٢)

وتشير وثائق ماري وكذلك" نصوص اللعنة " المصرية على أن القرون الاولى من الالف الثانية قبل الميلاد التي شهدت قيام ممالك آمورية في كثير من المدن ــ العراقية ه تشهدت ايضا وجود ممالك امورية في سوريا وفلسطين ومن أهمهـــا مملكة قرقميش وقطنة وخلبو وألالاخ (٣). ولقد خطت هذه الممالك خطوات كبيرة في ميدان الحضارة حيث أنها ظلت لمدة طويلة تحت تأثير الحضارة السوريـــة ــ الاكدية. فحول قصور الحكام المحليين شيدت مدن كبيرة محصنة وأن ماعثـــر عليه من أدوات ومنحوتات في قصر يارم ــ ليم ملك ألالاخ (تل عطشانة الحاليـــة) ــ على سبيل المثال ــ كانت ادنى في صناعتها من مثيلاتها التي عثر عليهـــا في قصر زمري ــ ليم ملك ماري المعاصر له. (٤) كما تقدم لنا ارشيفات ماري دليلا

(١) نجيب ميخائيل: المرجع السابق ج٣ ص٢٨ ومابعدها.
(٢) Saggs, op.Cit.p. 67
(٣) G.Roux, op.Cit,P.214.
(٤) Sir Leonard Wooley,A Forgotten Kingdom, 2nd ed. (Harmondsworth,1959);Alalakh (London, 1955).

كافيا على الصلات الودية بين بلاد الرافدين وسوريا فى تلك الفترة ، بل لقد توسعت الصلات التجارية فى ذلك الوقت ايضا بين سوريا وكريت فنجد أن جالية من التجار المينويين قد استوطنت فى ميناء اوجاريت (رأس شمرا) كما تجددت العلاقات بين مصر ولبنان اذ عمدت مصر الى الوقوف فى وجه النفوذ الحورى المتزايد فى شمال سوريا وذلك بأغداق الهدايا للملوك الاموريين وهذا ماتثبته لنا مجموعة الاوانى والحلى والتماثيل الملكية التى أرسلها فراعنة الاسرة الثانية عشرة الى ملوك وحكام بيلوس وصيدون واوجاريت وقطنة ونيراب (قرب حلب) . (١)

ولقد حاول البعض ربط قيام هذه الممالك الاموريةفى بلاد الرافدين بحركة الغزو الاموري التى عاصرت حكم أبى — سين ملك أور وافترضوا ان هؤلاء الغزاة لم يفدوا من سوريا التى لم تكن تعرف الوحدة السياسية فى ذلك الوقت ، بل كانوا من البدو الرحل الذين كانوا يقطنون الصحراء العربية السورية (٢) حيث أن أسماء افراد هذه الاسر الحاكمة ومن طراز اسماء هؤلاء الرحل . (٣) وقد دللوا على ذلك بأن العناصر الاموريةتغلب بين سكان مدينة ماري كما تدل على ذلك اسماء الاشخاص ، بينما تقل هذه العناصر فى الجنوب والشرق والشمال وتندر فى المدن البعيدة عنها مثل بابل وآشور حيث كان الاموريون يمثلون اقلية استطاعت ان تقبض على السلطة فى يدها . (٤)

---

(١) W.A. Ward,"Egypt and the East Mediterranean in the Early Second Millennium B.C.",Orientalia 30 (1961),pp.22-45;129-155.

(٢) Mosxati, The Semites, p.55

(٣) Kupper, Les Nomades, pp.34-5,68-72.

(٤) Moscati, The Semites, p.56.

ولكن يبدو ظهور هذه الممالك الامورية بالغزو الامورى فى عهد أبى ـ سين وأعمالهم الحربية التى تلت ذلك أمر غير مؤكد . ومن غير المؤكد ايضا وصول هؤلاء الامورين الى مراكز السلطة نتيجة لاعمال حربية وسياسية قامت بها قبيلتهم . ولكن يبدو أن هذه الممالك قامت على أكتاف اشخاص قبضوا على السلطة اثناء اقامتهم فى مدن بلاد الرافدين . ولقد ساعدهم على ذلك موقعهم كمهاجرين وأنتمائهم لشعب نزاع الى الخرب ومعيشتهم فى ظل حياة قبلية متماسكة . وفى هذه الاثناء لم يبد السكان الاصليين من السومريين والاكديين اى مقاومة بسبب انحلال السلطة المركزية بسقوط مملكة أور . وفى ظل هذه الظروف اصبحت الفرصة مواتية للامورين ليأخذوا بايديهم زمام المبادأة السياسية ويسيطروا على البلاد . ويظهر أزدياد نفوذ الامورين السياسى فى الالقاب التى حملها ملوكهم مثل لقب " أد ـ دا كورما رتو " الذى يعنى " والد امور " ولقب " أد ـ دا اموتبالا " أى " والد ياموتبال " احدى القبائل الامورية " وقد حمل هذين اللقبين كودور ـ مابوك حاكم لارسا وكذلك لقب " لوجال مارتو " أى ملك أمورو " الذى أتخذه حامورابى ملك بابل . (١) وأحيانا يشير لقب الملك الامورى الى أن رعيته تشمل الامورين والسومرين والاكديين كما هو الحال فى اللقب " ملك اوروك وملك امنانوم (اسم قبيلة امورية) الذى حمله سين كاشيد ملك أوروك (٢) ويبدو ذلك أيضا من الرسالة التى كتبها احد الموظفين فى ماري الى مليكة مخاطبا أياه بقوله " لو كنت ملكا للخانيين (اسم قبيلة امورية فأنت أيضا ملك للاكديين (٣) وتتضح ظاهرة هذا الشعب الخليط بصورة منتظمة فى سوريا فنجد أن قائمة اعداء ياخدون ـ ليم الامورى ملك ماري تذكر: " لاوم ـ ملك سامانوم وأرض امرابوم وباخلوكوليم ملك توتول وأرض أمنانوم وأيالوم ملك أباتوم وأرض رابوم". (٤)

لقد بدأت اعداد الامورين تزداد بين سكان بلاد الرافدين نتيجة التسلل البطئ الذى أستغرق قرونا ونتيجة الغزو المفاجئ اثناء السنة الخامسة

---

(١) Kupper, Les Nomades, 174-7

(٢) G.Pettinato, "Unveröffentlichte Texte des Königs Sinkāšid von Uruk", OA 9(1970),97-112.

(٣) ARM,4,no.76,20.I.

(٤) G.Dossin, op.Cit.14 (iii,4-9).

من حكم أبي — سين والانسياج التدريجي الذي اعقب ذلك • ولقد تأثرت بهذه الهجرات المناطق المكشوفة من العراق القديم مثل وادي الفرات الاوسط وآشور وحوض ديالا كما كان هذا التأثير ملحوظا الى حد كبير في سومر واكد اي في قلب بلاد الرافدين • واذا كان من اليسير تمييز العنصر الاموري ابان عصر سلالة أور الثالثة • فقد اصبح ذلك من الصعوبة بمكان الان خاصة حينما توقفت النصوص الادارية بعد حكم اشبي — ارا وخليفته من تعريف المهاجرين الاموريين بأنهم "مارتو" ولعل في هذا اشارة بأن الادارة الملكية لم تعد تنظر بعين الاهتمام الى ظاهرة اصبحت من الامور العادية • وبان عدم الاكتراث بهؤلاء الاموريين اصبح أمرا مألوفا في بلاد الرافدين • واذا كان من الممكن تتبع انتشار اسماء الاعلام التي يدل اصلها اللغوي على أنها آمورية • فأن الاعتماد على مثل هذا المصدر لن يفيد كثيرا بسبب ظاهرة ذوبان الاموريين في المجتمع السومري الاكدي كما حدث ابان عصر سلالة أور الثالثة لذلك فكثير من الاموريين وأبنائهم أتخذوا اسماء اكدية في مكان اقامتهم الجديد خلال العصر البابلي القديم • (١)

ولقد اثير كثير من الجدل حول ما اذا كان الاشخاص الذين وصفوا بأنهم "مارتو" في نصوص اسرة اور الثالثة ينتمون الى نفس المجموعة البشرية التي ينتمي اليها اصحاب الاسماء الامورية (السامية الغربية) في نصوص العصر البابلي القديم (٢) • ولكن ثبت يقينا انتماء كلا الفريقين الى جنس واحد حيث كشف لنا تحليل اسماء المارتو عن التشابه الكبير بينها وبين الاسماء السامية الغربية من العصر البابلي القديم • (٣) ومن جانب آخر فهناك قائمة للمارتو من العصر البابلي القديم لا تحتوي الا ....

(١) cf. G.Buccellati ,op.Cit.100.

(٢) cf.B.Landsberger,ZA 35 (1923), 236-8.

(٣) Buccellati, op.Cit.213-31, cf.Moscati, Th Semites, P.57.

على اسماء سامية غربية. [١] فمن المؤكد أذن ان الصفة " أموري " اصبحت عامة وبالتالي قل استعمالها ، بينما ظهرت مسميات خاصة ذات طابع قبلي كما يظهر من اسم الخانيين (خانا) والبنيامينين (دوموبا-مي-نا) والسوتيين (سو-تي اوم) وهناك مجموعات اصغر مثل الامنانو والرابو ودومو سمل وياخرور وغيرها . [٢]

وتعتبر هذه أهم المسميات في عالم اصبح آموريا بصفة عامة، وليس بالمستغرب ان تكثر مثل هذه المسميات في نصوص مدينة ماري التي كانت قريبة من هذه القبائل بسبب موقعها الجغرافي حيث يجاور نهر الفرات ورافده المنطقة التي كانت تسكنها القبائل البدوية ويمارس فيها افرادها حياتهم كرعاة وغيرهم .

ولاول مرة تمدنا نصوص ماري بصورة واضحة عن حياة هؤلاء الرحل الغربيين اي القبائل المختلفة ذات الاصل الاموري في بيئتهم الحقيقية وأيضا عندما أصابهم التفكك بعد اتصالهم بالمدن المجاورة . فما كان يذكر من قبل تلميحا ، اصبح الان مؤكدا وبصورة واضحة تصور لنا نصوص ماري أن حياة هذه القبائل الاموريـــة كانت تعتمد اساسا على تربية الاغنام والماعز بينما لم يكن الجمل معروفا لديهـــم (وما عرف على نطاق ضيق) كما استخدموا الحمار كدابة حمل [٣] وكان جل أعتماد حياة الترحال على الاماكن التي يتوفر فيها المرعى والماء القريبة من الاراضي الزراعية ونعرف أيضا أن هؤلاء الرحل كان لديهم خبرة محدودة بالزراعة فنراهم احيانـــا

---

(١) I.J.Gelb, "An Old Babylonian List of Amorites," JAOS 88 (1968, 39-46.

(٢) Cf. J.R. Kupper, op.Cit.

(٣) Cf. J.Henninger, Uber Lebensraum Und Lebensformen der Frühsemiten (Köln-Opladen, 1968).

يبذرون الحبوب ويحصدون محاصيلهم لفترة من الوقت في مكان معين وأحيانا أخرى يتركون وراءهم من يكمل العمل . فلا تعجب اذن ان تكون مواطن استقرارهم عبارة عن قرى صغيرة ذات بيوت مبنية توحي بنوع من حياة الاستقرار لدى هؤلاء الرحل (١) ولقد كان للمجموعات المختلفة منهم نظم داخلية تعتمد على صلة الدم والقرابة التي تجعل من الاسر عشائر وقبائل بل أتحادات قبلية . (٢) وكان الكبار يحفظون التقاليد ويدعون لاصدار الاحكام او لتوجيه الارشادات للمجموعة كافة (٣) وهناك أيضا اشارات الى رؤساء ذوى مراكز متميزة يحتمل أنهم كانوا يشغلونها بصفة مؤقتة وكان يطلق عليهم لقب " ملك " الذى كان من سمات الجماعات المستقرة .

ولقد أظهرت علاقات هذه الجماعات البدوية مع ممالك المدن لمحات مختلفة توضح ماسبق أن لاحظناه أبان عصر اسرة أور الثالثة . فلا زلنا نستبين ذلك التهديد المستمر من جانب هؤلاء الرحل لطرق الاتصال بين هذه المدن وغزوهم الدوب لامتلاك الاراضى الزراعية التى يتوفر فيها الماء والمرعى عوضا عن أراضيهم القاحلة الجرداء . كما نلاحظ أيضا التدفق المستمر لهؤلاء الرحل داخل المدن بحثا عن العمل اما كجنود مرتزقة أو كموظفين فى الادارة الحكومية او كمزارعين واخيرا تلك المحاولات التى كانت تقوم بها ادارات المدن لاخضاع هذه الجماعات

---

(١) بخصوص خبرة الرحل الزراعية . أنظر : J.R.Kupper, Les Nomades, P.56.

وعن "مدينة الرحل" ، قارن على سبيل المثال "مدينة خامان التى بناها آباء الخانيين" في : G.Dossin, Syria 32 (1955), 15 (iii,28-9).

(٢) ومن الامثلة على ذلك قبائل أو يولبو دياخورو وامنانو التى كانت ضمن أتحاد البنيامينين الكبير . أنظر : ARM iii,no.50,10-13.

(٣) H.Klengel,"Zu den Šibutum in altbabylonischer Zeit",Orientalia 39 (1960),357-75.

والاستفادة منها باستدعاء أفرادها للخدمة العسكرية والعمل في السخرة وأرهاقهم بدفع الضرائب.

وتعتبر نصوص ماري مصدرا هاما عن حياة الاموريين الرحل في شمال بلاد الرافدين وتمدنا أيضا بمعلومات وفيرة عن ممالك المدن الاموريه في سوريا والتي بدأت تلعب دورا هاما بعد منتصف الالف الثانية بقرون من الزمان. ومن هذا يتضح لنا أن الاموريين عاشوا رحلا وبداة وكذلك كمواطنين في مدن ومزارعين حيثما تتوفر الامكانات الزراعية. فتذكر هذه النصوص أخبارا عن مراكز أمورية كبيرة مثل قرقميس وخليو (يامخد) وقطنه وألالاخ وحازور وهذه كلها شاركت في سياسة وتجارة عالم ذلك الوقت، كما شاركت مراكز الحضارة في بلاد الرافدين حضارة متجانسة بالرغم من وجود بعض الاختلافات المحلية [1]. وهكذا نجد أن الاموريين قد جمعوا في حياتهم بين الرعي والترحال وبين الزراعة والاستقرار. ففي الوقت الذي نجد فيه موظفا أموريا في مدينة خليو، نجد أيضا راعيا أموريا في وادي الخابور أو في صحراء تدمر.

وفي هذه المرحلة من تاريخ الاموريين، لازلنا نطلق عليهم هذا الاسم طالما يتخذون نفس الاسماء التي كان يتخذها المارتو الذين عاشوا في العصر السابق. ولا شك أنهم قد ورثوا طرائق الحياة القديمة واستمروا في الموكب التاريخي الذي بدأه المارتو. وبالرغم من ذلك فلم يعد لديهم الاحساس بالانتماء الى جنس واحد بل سادت بينهم حاسة الانتماء الى قبيلة او مدينة بعينها. ففي بلاد الرافدين نفسها، كما لاحظنا من قبل، قل استخدام الكلمة "أموري" — تدريجيا في الوقت الذي زادت فيه استعمالاتها الثانوية — فعلى سبيل المثال

---

(١) وعن دويلات المدن الاموريه في سوريا وفلسطين، أنظر: J.R.Kupper, "Northern Mesopotamia and Syria," CAH, II, Rev.edt. (Cambridge, 1963), Fasc; 14; H.Kengel, Geschichte Syriens in 2.Johrtausend v.u.z.i-ii (Berlin, 1965, 1969).

نجد أن الالقاب البابلية Wakil Amurri "المشرف على الامورييين" و Rab Amurri "رئيس الامورييين" و Tupšar Amurri "كاتب الامورييين" [1] التي حملها الموظفون الاداريون والعسكريون في بابل وسارى توحي بان استخدام الكلمة "أموري" يشير الى جماعة من المرتزقة او على الاقل أن الامورييين كانوا يعملون في خدمة دويلة المدينة. ونجد نفس هذه الظاهرة في مدينة سوسا التي تقع عند نهاية الحدود الشرقية لموطن الامورييين. فتدل وثيقتان تتعلقان بمنح ارض" لرماة وجنود وامورييين". [2] على أن استخدام الكلمة "أموري" قد حاد عن معناه الاصلي الذي يشير الى جنس معين الى مفهوم وظيفي جديد. ويرجع تاريخ هاتين الوثيقتين الى نهاية العصر البابلي القديم. ولكن في نفس الوقت يشير نص من عهد أمي - صادوقا ملك بابل (١٦٤٦ - ١٦٢٦ ق.م) على أن الكلمة لاتزال تستعمل بمعناها الجنس. ففي هذا النص أستخدمت الكلمة "أموري" في مقابل الكلمة "اكدي" لتشير الى العناصر السامية الغربية التي عاشت سكان بلاد الرافدين من الاكديين ولتدل ايضا على أن الامورييين كانوا في زيادة مستمرة بعد قرون من التسلل والغزو وكيف انهم ذابوا في المجتمع البابلي الذي أصبحوا فيه على قدم المساواة مع السكان الاصليين. [3]

ويعتبر نص امي - صادوقا آخر مرجع يذكر فيه الامورييون كمجموعة بشرية مستقلة. لقد أخذ نفس هذا الاصطلاح يتغير حوالي منتصف الالف الثاني قبل الميلاد بسبب الظروف التاريخية من ناحية وبسبب أن معلوماتنا عن الامورييين اصبحت

---

(١) cf. J.R.Kupper, Les nomades, 185-95; J.M. Sasson, The Military Establishments at Mari (Rome, 1969) pp.12-13

(٢) V.Scheil, Actes juridiques susiens (Paris, 1932), pp.147-51. (nos.282.3).

(٣) J.Fin. Kelstein in ANET, pp.526-8.

ترك الينا الان من الغرب اى من أرض امورو نفسها من ناحية آخرى. لقد بـــــدأ التسلل الاموري في بلاد الرافدين ينحصر تدريجيا وبدأ المهاجرون الاوائل في الذوبان في المجتمع الاكدي الذي يفوقهم حضارة وعددا . ولكن يجدر ملاحظـــة ان تدفق الرحل الغربيين لم يتوقف نهائيا حيث اصبح في حقيقة الامر مظهرا دائمـــا من مظاهر تاريخ بلاد الرافدين مرتبطا بحقائق جغرافية واقتصادية ولكن بدأ ينضوي تحت اسماء آخرى بعضها استخدم قبل ذلك وكان يشير احتمالا الى فرع من المجموعة الامورية ولكنه الان اخذ صفة اكثر تحديدا . فأضحى الرحل يعرفون بالاحلامو فـــي أعالي بلاد الرافدين وبالسوتيين في سوريا .

الاختصـــــارات

AASOR: Annual of the American Schools of Oriental Research.

AFO : Archiv für Orientforschung.

AJA : American Journal of Archoeology.

AJSL : American Journal of Semitic Languages and Literatures.

ANEP : J.B. Pritchard, The Ancient Near East in Pictures relating to the Old Testament, 1954; Supplement, 1969.

ANET : J.B. Pritchard (ed.), Ancient Near - Eastern Texts relating to the Old Testament, 3rd edn., 1969.

AOS : American Oriental Series. New Haven: American Oriental Society.

AOTS : D. Winton Thomas (ed.), Archaelogy and Old Testament Study, 1967.

ARAB : D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926.

ARI. : W.F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, 1953

ARM : Archives royales de Mari.

BA : The Biblical Archaeologist.

BANE : G. Ernest Wright (ed.), The Bible and the Ancient Near East, 1961.

BASOR: Bulletin of the American Schools of Oriental Rersearch.

CAD : The Assyrian Dictionary of the Oriental In titute of the University of Chicago, 1956.

CAH : The Cambridge Ancient History, revised (2nd) edition, 1961 ff.

CRAIBL: Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, Paris.

CT : Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum.

EA : J. Knudtzon, Die El-Amarna - Tafeln, 1908-15.

HSS : Harvard Semitic Series.

HUCA : Hebrew Union College Annual.

IEJ : Israel Exploration Journal.

JA : Journal Asiatique.

JAOS : Journal of the American Oriental Society.

JBL : Journal of Biblical Literature.

JCS : Journal of Cuneiform Studies.

JEA : Journal of Egyptian Archaeology.

JNES : Journal of Near Eastern Studies.

JSS : Journal of Semitic Studies

KAI : H. Donner and W. Rölling, Kanaanäische und Aramäische Inschriften.

MIO : Mitteilungen des Instituts für Orientforschung.

OA : Oriens Antiquus.

Or : Orientalia.

PEQ : Palestine Exploration Fund Quarterly.

PRU : Les Palais royal d'Ugarit.

RA : Revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale.

RB : Revue Biblique.

RES : Revue des études Sémetiques.

RLA : Reallexi kon der Assyriologie.

RSO : Rivista degli Studi Orientali.

UT : Ugaritic Text.

VT : Vetus Testamentum.

WO : Die Welt des Orients.

ZA : Zeitschrift der Assyriologie.

ZDPV : Zeitschrift des deutschen Palästina Vereins.

النماذج والنظم الجغرافيـــة

للدكتـــورة / ايزيس لبيب السويفو

درج الجغرافيون منذ سنوات عديدة على استخدام النماذج ولا سيما فـــي بريطانيا فى معالجة الموضوعات التى تتناول عملية التنظيم المكانى ، وذلك محاكـاة للعلوم الاخرى مثل : الهندسة ، والاقتصاد ، وفن التخطيط العسكرى ، ويعود الفضل فى استخدام النماذج فى الجغرافية الى كل من شورلىChorleyوهجـت Haggett اللذان وضعا كتاب " النماذج فى الجغرافية " .

١ – مفهوم النموذج وأهميته وخصائصـــه :

ليس من السهل وضع تعريف شامل للنموذج ، حيث يختلف الجغرافيـــون فى وجهات نظرهم حول هذا الموضوع ، ولا يقتصر هذا الامر على الجغرافييـــن بل يتعداه الى المختصين فى العلوم الاخرى بالرغم أننا نستخدم كلمة النمـــوذج فى حياتنا اليومية مثل قولنا " بيت نموذجى " أو فلان نموذجى أى رجل صالـــح وهنا نشير النموذج الى معنى المثالية ، وقد تحمل كلمة النموذج معنى التوضيـــح ، مثل استخدام المدرس لنموذج طائرة لتعريف الطلاب بالاجزاء الرئيسية للطائـرة . وفى الوقت نفسه تحمل كلمة النموذج معنى التمثيل ، مثل ، عمل نموذج لمسجـــد او بناية حيث يمثل هذا المسجد او البناية بكامل ابعادها ولكن بمقياس صغير .

ولو أخذنا هذه المفاهيم مجتمعه وهى المثالية والتوضيح والتمثيل ، فـــان النموذج هو صورة مثالية للتعبير عن بعض الحقائق وذلك لتوضيح بعض خصائصهـــا المميزة او بمعنى ابسط هو وسيلة لتمثيل الواقع ليسهل فهمه ولكن ليس من السهل تمثيل الواقع الا بالمرور بخطوات البحث العلمى من تحديد المشكلة والملاحظـــة والتجربة ووضع الفرضيات ثم الاختبار او البرهان ، وعليه فالنموذج فى مراحلـــه الاولية ما هو الا نظرية بدائية او قانون او فرضية او حدس ، ويبقى كذلك حتى تتم مقارنته بالواقع للتأكد من صدقه فى تمثيل الواقع . ويتضح من ذلك أن النمـــوذج خطوة سابقة للنظرية ، لكنه يساعد على الاستنتاج السريع وبالتالى يختصر مـــن الوقت والجهد بشكل واضح . وفى الوقت نفسه فأن النماذج تمثل صياغة سهلـــة للظواهر ، مما يسهل رصدها وضبطها والسيطرة عليها .

وصف بعض الباحثين النموذج بأنه " ضرورة منطقية ووسيلة تفسيرية تساعـــد على استخلاص النتائج الصحيحة " ، فى حين وصفه البعض الاخر بأنه " تصغـــير

للحقيقة في صورة بسيطة نتلاحظه تستمد أصولها من الحقيقة " ، وهو بصورة مختصرة نظير أو شبيه أو تمثيل دقيق للظواهر المدروسة ، هذا مع العلم بأن النموذج لا يعنى بتمثيل جميع خصائص الظاهرة وعلاقتها ، انما يحدد هذا من بعض مظاهرها التي تساعد على تبسيطها .

فالجغرافي عند ما ينشيء خارطة انما ينشيء نموذجا ، لأنه يصغر الحقيقة ويبسطها ويصنع لها مخططا . وعن طريق هذه الخارطة أو بمقارنة العديد من الخرائط يستطيع ان يستنتج الحقائق .

مما سبق يمكن استخلاص الخصائص التالية للنموذج وهي : -

أ - أن النماذج لا تظهر جميع الحقائق وانما بعضها فقط ، والاختيار يتم للعناصر الهامة جدا مع استبعاد العناصر الاخرى غير الاساسية ، لكن يجب ان يبقى النموذج مثلا للواقع الفعلي للظاهرة .

ب - قد يخضع النموذج للحكم الشخصي ، حيث يعتمد في كثير من الاحيان على الباحث من حيث ميوله وغاياته ، لذا فهي لا تكون موضوعية في بعض الاحيان لتأثرها بمن يصممها وبالوقت الذي صممت لأجله .

جـ - يجب أن لا نتوقع أن يقدم النموذج لنا حلا لجميع مشاكل الظاهرة المدروسة ، وانما الحل يتركز على العناصر التي يريدها الباحث ، فالنموذج في هذا الوضع يقع ضمن حدود المشكلة التي يحددها الباحث وهذا ما يطلق عليه اسم سيادة النموذج أو حدود النماذج .

د - عند تحويل جزء من عالم الواقع الى نموذج فأننا نقوم بترجمته الى لغة أو صيغة مثل خارطة أو معادلة رياضية .

هـ - يوضح النموذج خصائص عناصر الظاهرة والعلاقات القائمة فيما بينها ، وعليه فالنموذج الجيد يساعد على التوقع بالمستقبل .

٢ ـ أنواع النمـــــاذج :

يوضح الشكل التالى ، أنواع النماذج الرئيسية وهى النماذج الرياضيـــــة والطبيعية والتجريبية والبيانية ، وسوف نتناول كل منها بالشرح والتوضيح .

أنواع النمـــاذج

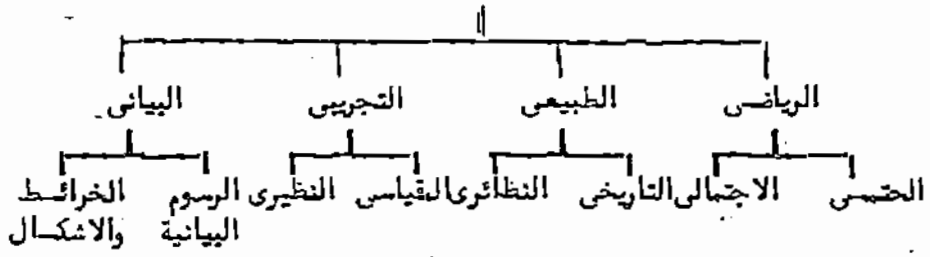

أنواع النمـــــاذج

أ ـ النماذج الرياضيـــــة :

تعد هذه النماذج من أهم النماذج فى معالجة المشكلات الخاصة بالانتاج والتوزيع ، وتمثل هذه النماذج ، نماذج نظرية يعبر عنها بصورة رياضية حيث تصاغ العلاقات بمعادلات رياضية ، وتستخدم هذه النماذج فى المعالجـــــة الاحصائية أو التى تتعلق بقياس المتغيرات وتحليلها . وينقسم هذا النوع مـــن النماذج الى :

(١) نماذج حتمية : وتقوم هذه النماذج على مبدأ العلية أو السببيـــة (السبب والنتيجة) ، وتتكون هذا النوع من مجموعة من الفرضيات الرياضيـــــة التى يمكن أن تعطى نتائجها عن طريق البراهين الرياضية . وتعتبر النمـــاذج الرياضية من أكثر النماذج شيوعا اليوم ، ومن الامثلة على ذلك نموذج بكمـــان Peckman الذى استخدم الاساس النظرى لديناميكية الوسائل أو ما يعرف بمعادلة الاستمرار " فى تحقيق تكاليف حركة نقل السلع المحلية ، كما استخـــدم ليتهل Lighthill وهوايتهام Whiteham مبدأ الطاقـــة

الحركية المجودة للموجات • كما قام البعض بالربط بين ظاهرة الفيضان فـــي الانهار وحركة النقل وتركزها فى الطرق الرئيسية المزدحمه • ومن الامثلة المألوفه هى استخدام قانون نيوتن فى الجاذبية لدراسة التبادل بين المراكز ، ويوضح الشكل التالى استخدام الرياضيات فى النماذج الجغرافية.•

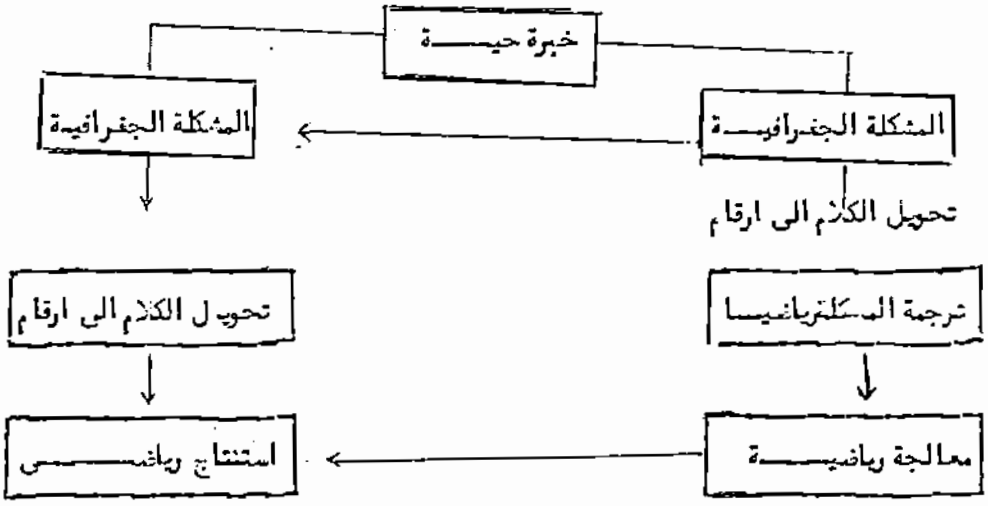

استخدام الرياضيات فى النماذج الجغرافيه

(٢) النماذج الاحتمالية : وهى نماذج قائمة على مبدأ الاحتمال بـــدلا من مبدأ اليقين الذى تقوم عليه النماذج الرياضية ويشيع استخدام هذه النمـــاذج فى الجغرافية البشرية ، لأن من الصعب اخضاع الانسان وسلوكه الى قانـــون أو ظروف حتمية ، فاستجابة الانسان للمؤثرات تختلف باختلاف المكان والزمـان ، لذا فأن الظواهر غالبا ما تكون خاضعة للاحتمال ، لذا فأن هذه النمـــاذج لا تعطى نتائج محدودة ، بل تعطى مجموعة من الاجابات المحتملة ، ويمكـــن أن يكون نموذج المحاكاة Simulation Model الذى جاء بـــه هيجر استراند Hāger S trand خير مثال على النموذج الرياضـــي الاحتمالى الذى يعالج مشكلة انتقال المفاهيم والافكار والاشخاص من منطقة لاخرى بناء على شروط خاصة تفرضها المسافة ووسائل المواصلات وقدرة الناس على الاستجابة (١)

(١) يصور هذا النموذج لحد ما طريقة الانتقال الشائعة بين الناس فهى تبـــدأ من فرد ثم اثنين فاربعة وهكذا ثم تنتقل الى مكان آخر حيث تبدأ العملية ثانيـــة وحتى تتم لابد من توفر شروط معينة •

ب- النماذج التجريبيـــــــة :

وهى نماذج بسيطة تعالج وتفسر ظاهرة الدراسة عن طريق تجسيدهـــــا واعادة انشائها وهناك نوعان من النماذج التجريبية وهما : -

(١) النموذج المقيـاسى Scale Model ويمثل هذا النوع محاكـاة لجزء من الواقع بحيث يتشابه معه من اوجه متعددة ، وقد يكون التشابه فى بعض الاحيان قريبا الى حد اعتبار النموذج القياسى مجرد جزء من الواقع . والفائـدة المرجوة من استخدام النماذج المقياسية هى امكانية الملاحظة بصورة وثيقة ، فـــى ظل الظروف التجريبية المبسطة واقتصاد الوقت .

وأهم المشاكل فى هذا النوع من النماذج هى تغيير المقاييس التى تمثـــل العلاقة بين خصائص الظاهرة فى النموذج من ناحية والواقع من ناحية أخـــرى ، ويمكن اعتبار الخارطة نموذجا مقياسيا مبسطا ، لانها تمثل جزءا محددا مـــن مظاهر السطح ، وعادة يكون التجريد فيها على مراحل متعددة حسب المطلوب من الخارطة ، فالخارطة تمثل بعدين من الظاهرة (المساحة) ، أما الخارطـة المجسمة فتظهر أبعاد الظاهرة الثلاثة وهى البعدين الافقين (الطول والعرض) والبعد العمودى الذى يمثل كثافة الظاهرة .

ومع شيوع استخدام المختبرات والمعامل فى الجغرافية ، فقد تم بناء نمـاذج لظواهر متعددة فى المختبر . مثلا ، لدراسة أثر الامواج على الشواطىء ، فقـــد تم بناء نماذج للشواطىء فى المختبر مع احداث امواج اصناعية تشابه حركة الامـــواج الحقيقة ، ومثل هذا النوع من النماذج يمكن التحكم فيه وايقاف اثر بعض المتغيرات وفصل بعضها عن بعض والتحكم بدراستها وتحليلهـا بحيث تعطى نتائج ايجابيـــة عما يحدث فى الطبيعة .

(٢) النموذج النظرى Analogue Model يشبه النمـــــوذج المقياسى ولكنه يختلف عنه فى أنه لا يستخدم نفس المواد الموجودة فى الواقـــــع وتهدف هذه النماذج فى تحليل دراسة العلاقات المتشابكة للظواهر المدروســـة

وذلك عن طريق استخدام بعض الظواهر المصممه تجريبيا التى يمكن الاستعانة بها لتوضيح بعض الفروض المطروحة ، كما تساعدنا هذه النماذج فى معرفة التغير فى خاصية معينة وأثرها فى الخاصية الاخرى ، ويعد هذا النوع من أكثر النماذج فائدة فى تمثيل الظواهر التى تتميز بأستمرار الحركة مثل حركة المرور فى المدن ، مثلا ، استخدمت الدوائر الكهربائيه فى دراسة حركة المرور فى المدينة ، حيث مثلت الدوائر الكهربائيه الشوارع ، كما مثل التيار حركة السيارات ، ومثلت قوته عدد السيارات التى تمر فى كل شارع . ومن الامثلة الاخرى استخدام سريان الحراره نموذجا لنظرية الهجرة البشرية . ولكن لشيوع استخدام الحاسب الالى فقد فقدت هذه الادوات أهميتها ، وترك للحاسب وضع تحيل لظاهرة الدراسة .

جـ- النماذج الطبيعية Natural Model

وهى نماذج تمثل ظروفا طبيعية معروفة لدى الباحث بحيث تكون مشابهة للظاهرة الواقعية ولكنه اكثر بساطة وايسر فهما ، وتقسم هذه النماذج الى نوعين وهما :-

(١) النماذج التاريخية : يمثل النموذج التاريخى ترجمة مبسطة معينة تمت لفترة زمنية - فى مكان ما ، وتقوم هذه النماذج على فرض أن ما حدث فى الماضى سوف يحدث فى مدة لاحقة ، وان ما حدث فى مكان ما سيحدث فى مكان آخر . وقد لاقت هذه النماذج ترحيبا كبيرا من قبل المؤرخين مثل ارنولد توينبى ، كما شاع استخدامها من المختصين فى التاريخ الاقتصادى والمختصين فى الجغرافيا التاريخية . ومن هذه النماذج ما يستخدمه علماء المناخ وعلم الارصاد فى التوقع بأحوال الطقس وذلك بالاعتماد على سجلات الارصاد الجوية السابقة .

ومن الامثلة الشائعة على هذه النماذج التشابه بين ظروف الهند الديموغرافيه مع الظروف الديموغرافيه التى كانت سائده فى أوروبا قبل الثورة الصناعية ، وكذلك التشابه بين خصائص الاقطاع ونظامه فى القرنين السابع عشر والثامن عشر

روسيا وبين أوروبا فى العصور الوسطى .

(٢) نماذج النظائر الطبيعية : نماذج النظائر الطبيعية هى تمثيل الظواهر بنماذج مبسطة ذات طبيعة مختلفة ، وتتم هذه عن طريق الاستفادة من بعض الظواهر الطبيعية وذلك بمعرفة ابعادها وكيفية عملها وارتباطها ببعضها ، وبمعرفة هذه الظواهر يتم تصميم نموذج يمكن تطبيقة على ظاهرات أخرى مشابهة .

من الامثلة الشائعة على ذلك محاولات الى بعض دراسة المجارى النهرية ونقاط التقاء روافدها وميزات مجاريها من حيث الاتساع والضيق وغير ذلك من صفات النظام النهرى ، ووضع ذلك على هيئة نموذج يمكن الاستفادة منه فى دراسة نظام المواصلات البرية والطرق الرئيسية والفرعية وغير ذلك من خصائص شبكات المواصلات المختلفة .

ومن الامثلة الاخرى محاولة بعض الباحثين استخدام الغطاء الجليدى فى تفسير النمو الحضرى وذلك بالاستفادة من حركة اتساع الجليد وتقدمه فى دراسة نمو وتوسع المدن وانتشارها على المناطق المجاورة لها .

مما سبق نرى ان استغلال المشاهدات الطبيعية واستخدام ظواهرها كنماذج سهلة التحليل ، ولكن لا يخلو هذا الاتجاه من مشاكل تتعلق بكيفية تطويع الظروف الطبيعية والتحكم فيها بحيث يجعل منها امورا تصلح للتشبيه وتخضع للقياس والتجربة ، ثم اعادة دراستها على النظام الاصلى وهو موضوع البحث .

د - النماذج البيانية Graphical Models

تعد هذه من ابسط النماذج واشيعها فى مجال الدراسات الجغرافية منذ زمن طويل وتأخذ اشكالا بيانية عديدة كالاشكال والرسوم البيانية ، وتغلب على هذه النماذج الصفة الوصفيه . وهى عبارة عن تمثيل مظاهر الظاهرة المدروسة بأشكال ورسوم .

من ابسط هذه النماذج نظرية النطاقات الدائرية فى المدن للباحث بارجس

Burgess

و تكون النماذج البيانية فى بعض الاحيان نماذج معيارية تظهر بصورة بيانية ما يمكن ان يطرأ على الظاهرة المدروسة من تغيرات تحت ظروف معينة • ومن الامثلة على ذلك نظرية المكان المركزى الذى اقترحها كريستيلر •

٣ – بناء النمـــــاذج :

تمر عليه بناء النموذج بعدد من المراحل يوضحها الشكل التالى :

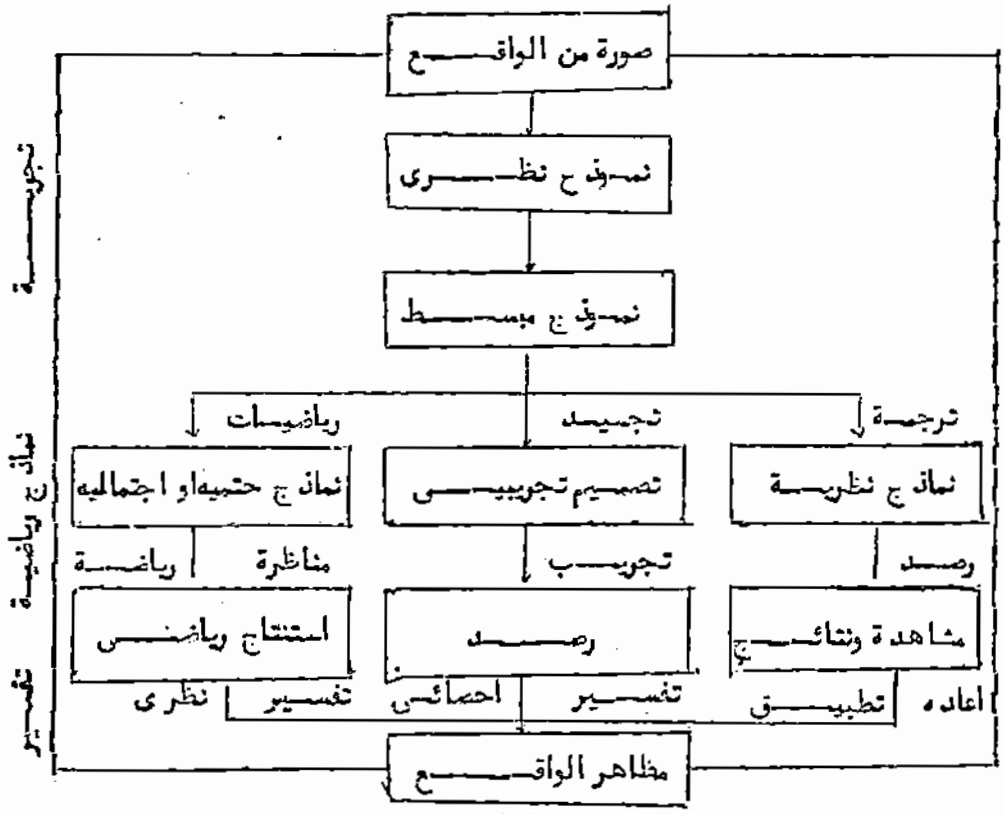

مراحل بناء النموذج

يوضح الشكل أن مراحل بناء النموذج يمثل دائرة مغلقة تبدأ وتنتهى بدراسة واقع ظاهرة ما • وهذا يكون بواسطة عملية التجريد حيث تهمل عناصر كثيرة مـــن واقع الظاهرة المدروسة وتستبقى بعض العناصر والعلاقات الهامة • وهنا يظهـــر

أثر الباحث فى تحديد العناصر الهامة فى دراسته للظاهرة ، وكلما كان الباحث دقيقا ، كلما كانت النتائج أقرب الى المعرفة - مثلا ، قد يؤدى أهمال الكثير من المعلومات عن طريق التجريد الى استبعاد حقائق هامة تؤدى الى فقدان النموذج قيمته ، لذا يجب ان يكون الباحث حريصا فى هذه المرحلة على اختيار العناصر الهامة فى دراسته .

تتكون لدينا بعد عملية التجريد صورة مبسطة عن الواقع . وهذه الصورة تحتوى على العناصر والعلاقات الرئيسية لظاهرة الدراسة ، لكن لابد من وضع الفرضيات التى من خلالها يقوم النموذج بأداء دوره ، مثلا ، افترض كريستيلر فى بناء نموذجه منطقة سهلية يتساوى فيها التوزيع السكانى . ان هذا الافتراض بالطبع بعيد عن الواقع ، ولكنه نوع من التبسيط لاستثناء بعض العناصر فى الدراسة .

بعد عملية التجريد تأتى عملية الترجمة وتمثل ترجمة النموذج الى أحدى أنواع النماذج السابق ذكرها ، بحيث يختار الباحث النموذج الملائم لدراسة الصورة المبسطة من الواقع ، واختيار النموذج الملائم يتوقف على طبيعة المشكلة المدروسة من جهة وعلى رغبات الباحث من جهة اخرى . ويهدف اختيار النموذج الى ترجمة الظروف المدروسة الى صيغة مشابهة أسهل تناولا وأكثر انضباطا وأسلس معالجة .

وتلى عملية الترجمة عملية الاستقراء وعملية الاستنتاج ، حيث يتم استخلاص بعض النتائج بأستخدام النموذج لبعض الحقائق من الواقع ، وتمثل هذه الحقائق فرضيات تحتاج الى فريق من البحث والتحقق من صحتها ، وتعتمد النتائج السابقه على نوع النموذج المستخدم ، مثلا ، اذا كان النموذج المستخدم من النوع التجريبى ، فالنتائج تكون نتيجة للتجربة الفعلية ، اما اذا كان النموذج رياضيا فأن النتائج ستعتمد على الاستقراء الرياضى .

اما الخطوة الاخيرة فى بناء النماذج فهى مقارنه النتائج (التى سبق أن ذكرنا أنها تمثل فرضيات) التى حصلنا عليها من خلال تطبيق النموذج والواقع . وتمثل هذه المرحلة مرحلة التأكد من صحة النتائج . ولا تختلف هذه المرحلة عن

مرحلة الاختبارات أو مرحلة البرهان • وهناك العديد من الاختبارات التى تمكن الباحث من معرفة وقياس الدرجة الاحتمالية التى تقيس مدى المطابقة بين النتائج والواقع •

اذا تم التأكد من نتائج النموذج بحيث تحدد مدى صلاحية النموذج للتطبيق فى مجالات مشابهة ، فأن هذا ينقل النموذج الى مرحلة هامة من مراحل بناء النظرية ، ويرى شورلى Chorley أن النموذج يتحول الى نظرية لتفسير الواقع عندما يستطيع النموذج حل المشكلات الواقعية وهذا يتطلب توافر شرطين فى النموذج وهما : -

أختزال الكثير من التفصيلات الجانبية فى مرحلة التجريد ، ثم القدرة على تقديم تفسيرات حيوية للواقع • (١)

خلاصة القول هى ان مراحل بناء النموذج تتصل مع بعضها بحيث تشكل دائرة مقفلة ، وان النماذج البعيدة التى ترقى الى مرحلة النظريات هى التى تمثل بعدد من المراحل خلال كل دائرة من دوائر النموذج ، بحيث يقرب كل منها النموذج خطوة الى الواقع •

٤ - استخدام النماذج :

للنماذج استخدامات متعددة قد يصعب حصرها ولكن سنورد هنا أمثلة على ذلك ، وأهمها : -

أ - الوصف :

ان غرض الباحث الذى يسعى لصياغة نموذج وصفى ، هو محاولة حصر الخصائص الهامة الموجودة فى ظاهرة الدراسة • وذلك بعد التقليل من تفصيلات وتعقيدات الظاهرة ، ومن ثم تحويلها الى لغة خاصة وعلاقات رياضية سهلة التناول ، وهذا ما يختصر العمل الميدانى ، وذلك بايجاد قيم أكيدة لتغيرات يصعب قياسها

1- Chorley Geography and Analague of the Association of American Geographers 1969. vol 59.pp 123 - 137.

بدون استخدام النماذج ، وتتوقف منجزات الباحث فى هذا المجال على :-

- كمية البيانات المدخلة للنموذج .

- الفرق بين دقة وتكاليف دراسة الظاهرة بأستخدام النموذج من جهة وبين دقة وتكاليف دراسة الظاهرة دون استخدام النموذج من جهة اخرى ، وفى العادة كلما نقصت تكاليف الدراسة بأستخدام النماذج (مع الاحتفاظ بالدقة) مقارنة بتكاليف الدراسة دون استخدام النماذج كلما حقق الباحث انجازا أكبر .

فى حالة سهولة دراسة الظاهرة من حيث الحصول على البيانات ومن حيث الجهد والوقت ، وفى نفس الوقت ضعف احتمالية تعميم نتائج الدراسة ، فأنه يستحسن العدول عن بناء النموذج ، اما اذا كان الامر على عكس ذلك فأن بناء النموذج يكون له فائدة وجدوى .

- مدى انطباق النموذج على ازمنة وامكنة اخرى - فكلما صلح النموذج للتطبيق فى اماكن وازمنة اخرى غير المكان والزمان الخاصين بدراسة ظاهرة الدراسة ، كلما حقق الباحث نجاحا أكبر .

ب- التوقع :

أن التوقع بالمستقبل لظاهرة ما ، يقتضى فهم العلاقة بين عناصر الظاهرة وعادة يكتفى بالنموذج الوصفى بذكر الظاهرة " س " وارتباطها بالظاهرة " ص " مثلا ، ولكن فى حالة التوقع بالمستقبل فأن على النموذج ان يقدر قيمة (ص) فى أية فترة زمنية مستقبلية . وهذا يتطلب معرفة العلاقة السببية كأن يقال مثلا أنه اذا تغيرت " س " قيمة واحدة فأن ذلك سيؤدى الى تغير فى قيمة " ص " بنسبة معينة .

وتجدر الملاحظة ان هناك ما يسمى التوقع الشرطى وهو محاولة معرفة الظاهرة فى المستقبل حينما نتوقع حدوث وقائع غير معلومة . وعادة تكون هذه الوقائع خارجة عن ارادة الباحث ، وفى هذه الحاله فأن النموذج سيأخذ الصورة التالية :

اذا حدث الحدث " ل " فأنه سيترتب عليه حدوث الحدث " ق " وهنا لابد من وضع العديد من الاحتمالات لمحاولة التغلب على العوامل الخارجية ان وجدت وهذا مما يعطى للنموذج ميزة تخطيطية .

جـ- التخطيـــــط :

تمتاز النماذج التى تخدم اغراض التخطيط بأنها تشتمل على التوقع الشرطـــى كما ان نتائجها تقيم وتختبر طبقا للاهداف التخطيطية . اما أهم الخطوات التى يجب ان تراعى فى مثل هذه النماذج هى :-

- القـدره على ايجاد بدائل متعددة للخطة .
- التوقع بالنتائج لكل بديل من البدائل السابقة .
- تقييم النتائج فى ضوء اهداف التخطيط .
- اختيار البديل الذى يحقق اكبر قدر من أهداف التخطيط .

ويجب الوضع فى الاعتبار ان النماذج التخطيطية وغيرها تتم عن طريـــــق استخدام الحسبات الالية حيث تعطى هذه الحاسبات العديد من البدائـــــل تحت الشروط الذى يضعها المخطط أو الباحث . وأكثر النماذج التخطيطيـــة استخداما هى النماذج التى تفترض العديد من الاختيارات . وعادة كل اختيـار سيؤثر فى الاختيارات الاخرى ، طالما ان هناك العديد من البدائل والنتيجـة هى وجود العديد من الحلول والنتائج المحتمله التى يختار المخطط أو الباحث ما يعتقد انه الاصلح للظاهرة المدروسة .

٥ - النظم الجغرافيـــــة :

من المعروف ان النظرية تبحث وتكشف عن النظام الذى تسير الظواهـــــر بموجبة ، وهذا بدوره يتطلب معرفة العناصر التى تتكون منها الظاهرة ثم طبيعـــة العلاقة القائمة بين تلك العناصر ، وهذا امر ضرورى حتى تصبح النظريـــــة قادرة على تقديم تفسير مقنع لظاهرة الدراسة . فالنظام فى هذا الوضع يمثـــل

سلوك وشكل ظاهرة الدراسة . وحتى نتمكن من التعرف الى سلوك الظاهرة لابد من معرفة عناصر الظاهرة وخصائصها ثم العلاقات التي تربط بين تلك العناصر وبين الخصائص ، فالنظام اذن مجموعة عناصر تربط بينها علاقات كما تربط بين خصائصها ، ويهدف الى التعرف الى سلوك الظاهرة . فهو لا يختلف كثيرا عن النظرية من حيث المفهوم والهدف ، سوى انه يركز كثيرا على العلاقات وأثر هذه العلاقات على الخصائص أو العكس أثر الخصائص في توجيه العلاقات ، هذا اذا ثبت صدق هذه العلاقات .

وتعد فكرة النظم قديمة نسبيا ، فقد كتب نيوتن مثلا عن النظام الشمسي ، وكتب الاقتصاديون قديما عن الانظمة الاقتصادية ، وكذلك كتب علماء الاحياء عن الانظمة الحيوية ، كما استخدمها الجغرافيون منذ ان ظهر علم الجغرافية وأتخذ له مكانة بين العلوم ، حيث كتب الجغرافيون عن النظم الاقليمية منذ أيام ريتر وهومبرتسون . ولا غرابة على الجغرافيين ما دام المظهر الاقليمي يمثل ميدان البحث الجغرافي ، وعليه فأن فكرة النظم ليست جديدة على الفكر الجغرافي .

وبالرغم من قدم فكرة النظم الا ان استخدامها ظل محدودا ، لذا يمكن اعتبارها طريقة جديدة من الناحية التطبيقية اذ أنها تمثل طريقة هامة من طرق التحليل الاقليمية . ويعد عالم الاحياء بيرتلنفلي Pertalanfly أول من صاغ نظرية المنظومات العامة حيث عرضها في مقالاته التي نشرها بين ١٩٤٩ - ١٩٥٣ بغرض البحث عن طرق بحث علمية جديدة .

أ - بنية النظام :

ذكرنا سابقا ان النظام عبارة عن مجموعة عناصر أو أشياء تربط بينها علاقات كما تربط بين خصائصها . وعليه فأن بنية النظام تتكون من وحدتين اساسيتين هما : -

(١) العناصر : تشكل العناصر وحدة أساسية للنظام ، ولكن من وجهة النظرة الرياضية فأن العنصر ليس له تعريف محدد شأنه شأن النقطة في الهندسة

وبالتالى يمكن تحليل الانظمة باستخدام الرياضيات دون الاخذ فى الاعتبار طبيعة العناصر • ولكن يصبح لا معنى للتحليل فى هذه الحالة • وفى الوقت نفسه لا نستطيع ان نتحاشى استخدام الرياضيات فى تحليل الانظمة لكونها تعتمد كليا على الرياضيات والمنطق الرياضى • اذن لا مناص للباحث الا ان يحدد للعنصر الرياضى مفهوما واضحا حتى يصبح لتحليله معنى ومغزى •

وهنا يواجه الباحث مشكلتين هما : -

مشكلة القياس : يتوقف مقياس العنصر على النظام الذى يعمل به • مثلا يحمل مفهوم الاقتصاد العالمى مفاهيم مختلفة باختلاف المقاييس المستخدمة ، فيمكننا على سبيل المثال اعتبار الاقتصاد العالمى مكون من اقتصاديات اقطار العالم التى هى بمثابة عناصر ، أو بمعنى آخر يمثل اقتصاد كل قطر عنصرا عاملا فى نظام الاقتصاد العالمى • ولكن فى الوقت نفسه يمكن اعتبار اقتصاد القطر الواحد نظام يتألف من العديد من المؤسسات والمصانع التى بدورها تمثل عناصر النظام، أو يمكن اعتبار اقتصاد القطر الواحد مجموعة من الاقتصاديات الاقليمية كل منها يمثل عنصرا فى النظام الاقليمى للقطر • وفى الوقت نفسه يمكن اعتبار الاقليم أو المؤسسة نظاما يتكون من مجموعة من العناصر وهكذا • اذن تعريف العنصر يعتمد على المقياس الذى تحدده للنظام •

مما سبق نرى ان النظام يتكون من مجموعة من النظم الفرعية المترابطة فلو افترضنا ان لدينا النظام (أ) الذى يتكون من العناصر (ب) ، فأن (ب) ايضا تتكون من عناصر مثل " ج " ، وعناصر " ج " تتكون من عناصر مثل " د " • وتكون " د " نظاما فرعيا فى النظام " ج " و " ج " تمثل هى الاخرى نظاما فرعيا فى النظام "ب" • وكذلك "ب" تمثل نظاما من النظام الرئيسى "أ" • مثلا، نظام المرور فى منطقة ما فى مدينة معينة هو نظام فرعى من نظام المرور فى المدينة وهذا بدوره نظام فرعى من نظام المرور فى القطر •

مشكلة تفسير المفهوم الرياضى للعنصر : اذا استطعنا تحديد النظام عن طريق تحديد المقياس ، فكيف نستطيع التعرف الى العناصر فى النظام ؟ هذا يعنى بشكل أو بآخر تحديد افراد النظام بموجب مقياس معين ، وهذه ليست سهلة

كما تبدو ولا سيما فى مجال الجغرافية عندما تكون الظواهر متصلة ومترابطة بحيث يصعب فصلها اما اذا كانت الظواهر منفصلة كأن تكون مراكز مصانع فالامر أسهل ويمكن تحديد أفراد النظام بشكل دقيق ، لكن اذا اردنا ترجمة العنصر الرياضى الى مفهوم جغرافى فانه يتطلب تحديد صفات أو خصائص العنصر أو الفرد وليس الفرد نفسه ، فعادة تمثل العناصر حالات ظروف الاشياء وليست الاشياء نفسها ، ففى النظم التى تشتمل على أشخاص فأن العنصر ليس الشخص نفسه وانما هو حالة تجويعه أو رغبة للصحبة أو حالة ابنائه او أية ميزة أو صفة مطابقة مع النظام ، وعليه فالامر يتطلب ليس فقط تحديد الافراد ، انما تحديد ، صفات وخصائص الافراد .

(٢) العلاقات بين العناصر : (Series relation) هناك عدة أشكال للعلاقات التى تربط عناصر النظام وهى ان نميز ما يلى : -

علاقات متتالية : وهى ابسط انواع العلاقات وتربط عدة عناصر متتالية وعادة تكون هذه العلاقات باتجاه واحد ، ويمكن تمثيلها بالشكل التالى : -

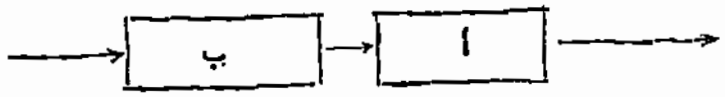

علاقة متتاليـــة

وتعد هذه العلاقات ذات ارتباط سببى

علاقات متوازية : Parallel relation وهى تشبه العلاقة السابقة ولكن تختلف عنها فى كون أحد المتغيرات يؤثر فى المتغيرات الاخرى بصورة مباشرة ويمكن تمثيلها بالشكل التالى : -

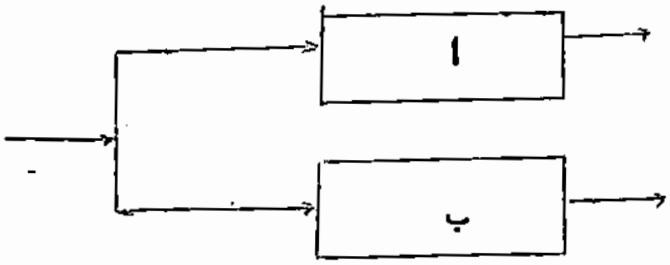

علاقات متوازيـــة

علاقة الارتـــــــداد : FEEDBACK RELATION وهى نـــوع من العلاقة تصف الوضع الذى يكون فيه المتغير يؤثر فى نفسه • مثله مثل النافورة التى تسحب الماء ثم ترجعـه ليعاد سحبه من جديد ويمكن تمثيل هذه العلاقـة بما يلى : —

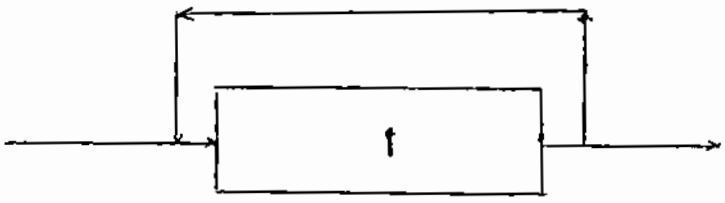

علاقة التغذية الرجعية

العلاقات المركبة : وهى علاقات متعددة تتكون من العلاقات السابقة ضمـــن نظام واحد ، ويمكن تمثيلها بالشكل التالى : —

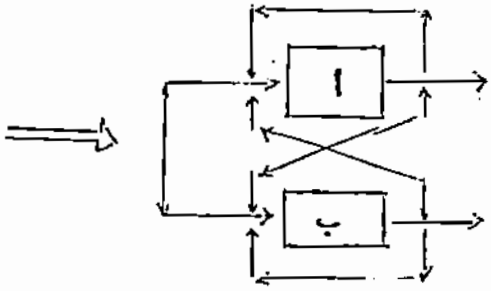

العلاقـات المركبـة

ب— أنواع النظـــم :

تترابط النظم بما يحيط بها من بيئات بعلاقات وظيفيه • ويمكن تقسيم النظـم تبعا لهذه العلاقات الى نوعين هما

(١) النظم المغلقة : وهى نظم تتميز بحدود لا تسمح بتبادل المادة والطاقـة مع النظم الاخرى • وهذا النوع نادرا ما نشهده فى الدراسات الجغرافيـــــة،

ولكن يمكن اعتبار العالم بأسرة نظاما مغلقا لا يسمح بتبادل الطاقة أو المادة أى ان الطاقة والمادة فى العالم ثابتة لا تخلق ولا تفنى ولكن قد تتحول من حالة لاخرى .

(٢) النظم المفتوحة : تتميز هذه النظم بمقدرتها على تبادل المادة والطاقة مع غيرها من النظم الاخرى . اى تسمح بتبادل المدخلات والمخرجات . ومعظم النظم فى الدراسات الجغرافية هى نظم مفتوحة مثل الاقاليم . ولكن نلجأ فى بعض الاحيان الى افتراض انها مغلقة مؤقتا لتسهيل مهمة التحليل .

ويتصف هذا النوع من النظم بقدرته على الثبات والاستقرار على المدى القريب . ولكن قد يصيب هذه النظم نوعا من الاختلال وعدم التوازن نتيجة ما يطرأ عليها من مدخلات ، مثلا ، تغير الطاقة (المدخلات) تعمل على تغير خصائص النظام وبالتالى يختل النظام ولكن لا يلبث ان يصل على المدى البعيد الى نوع من التوازن والاستقرار . وهذا النوع من التوازن يطلق عليه اسم التوازن الديناميكى ولكن اذا انقطعت المدخلات فأن النظام يتوقف عن العمل .

ويمكن تمثيل النظم المفتوحة بحوض مائى يتصل بأنبوبة للتغذية وانبوبة أخرى للصرف . فلو فرضنا ان ماء الانبوب الذى يصب الحوض توقف ، فأن الحوض يجف ويتوقف النظام ويصبح لا وجود له . اما اذا توقف الماء المتدفق وفى الوقت نفسه اقفل انبوب الصرف فأن النظام سيتخذ ملامح كثيرة من خصائص النظام المقفل . وفى هذه الحالة فأن التغيرات فى مورد المادة والطاقة الاتية من الخارج تؤدى الى تعديل ذاتى للنظام كى يتمشى مع هذه التغيرات . وكذلك اذا زاد تدفق الماء فى الحوض ، فأن مستوى الماء سيرتفع فوق المستوى المنصرف ، ولكن فى النهاية لابد من التوازن عن طريق زيادة الماء المنصرف ليتعادل مع الزيادة فى التدفق لذلك فأن مستوى الماء فى الحوض سيعود مرة ثانية الى حالة الثبات والتوازن .

جـ . أهمية النظم فى الدراسات الجغرافية :

ذكرنا سابقا أن فكرة النظم لم تكن جديدة فى الفكر جغرافى . ولكنها

كانت اكثر ما ترتبط بمفهوم الاقليم ، لانه يمثل نظاما معقدا يشتمل على العديد من العناصر والعلاقات . وبعود عدم شيوع النظم على نطاق واسع قديما فيما الدراسات الجغرافية الى صعوبة الكشف عن العناصر المختصة وارتباطها ضمن النظام لان ذلك يتطلب تقدما فى العلوم الاخرى سواء العلوم الانسانية أو الطبيعية . وبتقدم العلوم التى ساعدت الجغرافى فى الكشف على العناصر والارتباطات للنظام فى النصف الثانى من القرن الحالى شاع تطبيق النظم فى الدراسات الجغرافية سواء الدراسات الاقليمية او البيئية أو الدراسات الجيومورفولوجية أو دراسة المدن وغير ذلك . وسوف نتناول هنا بعض الدراسات الطبيعية والبشرية التى اعتمدت على النظم .

استخدام النظم فى الدراسات الطبيعية : تعد مادة الجيومورفولوجيا أول الفروع الطبيعية فى الجغرافية التى طبقت اسلوب النظم على نطاق واسع نسبيا ، وكان ذلك على يد سترهلر Strahler وكلنج Culling وهيك Hack وجودليت Good lett فى الفترة الواقعة بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وقد هدف هؤلاء الباحثون الى فحص الاسس الرئيسية لمادة الجيومورفولوجيا من حيث الهدف والمنهج . وقد أعادوا النظر فى أهمية التطبيقات الجيومورفولوجية السابقة التى اعتمدت الوصف والمعانى التاريخية . وفى عام ١٩٦٢ صاغ شورلى Chorley التفكير الجيومورفولوجى بمفهوم ديناميكية الحرارة التى تمثل نظاما مفتوحا يصلح للتطبيق فى مجال الجيومورفولوجيا وذلك ضمن بحث من الجيومورفولوجيا ونظرية النظم العامة .(١)

وقد برر الباحث اهمية النظم فى دراسة الجيومورفولوجيا بما يلى :-

- تساعد النظم الباحث فى تحليل دراسة شكل الظاهرة وكيفيه حدوثها ، أى انها تربط بين الشكل والعملية وهما شيئان ترابطا مع بعضهما بحيث يصعب معرفة السبب والمسبب ، ولكن دراسة الشكل تساعد على فهم العملية التى تم بها

---

(1) Chorly R.J., Geomorphology and General System Theory in the Conceptul Revolution in Geography.

الشكل وفى الوقت نفسه تساعد دراسة العملية على فهم الشكل ، كما تساعد على ابراز أهمية مظاهرة وبذلك انتقلت الجيومورفولوجيا من الاقتصار على دراسة الشكل فقط الى دراسة العملية والشكل معا .

- وهذا ما ساعد الجيومورفولوجيا على التحول من لغة الوصف الى لغة الارقام والرياضيات . وبذلك تزودت هذه المادة بمفاهيم محددة سواء للشكل أو للقوى التى ادت الى ظهوره ، كما مكن استخدام النظم الباحث القيام بعمليات مقارنة بين الاشكال المختلفة وبين العمليات المنتجة لتلك الاشكال .

- ساعدت النظم على الكشف عن سلوك الظاهرة المتعددة المتغيرات ، بعد ان كان الجغرافى يتحاشى دراسة مثل هذه الظواهر ، واذا فعل كان يعتمد على متغير واحد أو اثنين فقط ، وهذا كان يبعد الجغرافى عن واقعية سلوك الظاهرة ، مما دفع بعض الجغرافيين للاخذ بمبدأ الحتمية لعدم القدرة على فهم العلاقة المتبادلة بين متغيرات الظاهرة .

استخدام النظم فى الدراسات البشرية : من أكثر الدراسات البشرية التى استخدمت النظم هى الدراسات الاقليمية ، لان الاقليم فى حد ذاته يمثل نظاما مفتوحا يتمثل فى المدن والقرى والنشاطات البشرية المختلفة التى تتصل فيما بينها بعدد من العلاقات . وأهم أنواع الاقاليم التى استخدمت النظم فى دراستها هى الاقاليم البؤرية التى تعتمد فى تحديدها على تبادل المادة والطاقة بين عناصرها ، وتتمثل المادة والطاقة فى حركة السكان ورأس المال والسلع والمتطلبات الحيوية والاجتماعية للمجتمع .

يحتاج النظام الاقليمى الى حركة دائمة بين المراكز السكانية وبين المركز الرئيسى فى الاقليم . وهذا يحمل على اتساع المركز الرئيسى وانكماش المراكز الاخرى . ويمثل المركز الرئيسى فى الاقليم عنصرا فى النظام الحضرى أو النظم الاقليمية وبالتالى فهو يرتبط ايضا بحركة مستمرة بينه وبين المراكز الاخرى فى الاقاليم .

ومن الدراسات التى استخدمت النظم هى الدراسات التى تتعلق بالمواصلات ، حيث اعتبرت المواصلات ضمن مدينة أو قطر نظاما متكاملا ، وتمثل المواصلات الانفية

التى تتم من خلالها الحركة • وتشكل هذه الاقنية بمجموعها شبكة تنتظم فيما بينها بؤرا أو عقدا رئيسية تنتهى بظهور نظام متراتب فى المراكز الحضرية ، مثلا ، درس تاف (1) Taaffe تطور شبكة المواصلات فى غانا ، وقد وجد أن المدن والقرى والمزارع عبارة عن عناصر تربط بينها الحركة والمبادلة فى شكل سلع أو رأس مال أو سكان توجهها حاجات السكان الحيوية والاجتماعية ، والحركة على طول شبكات المواصلات تؤدى الى ظهور المدن ، وقد يتضخم بعضها مما يؤدى الى تأكيد التفاوت فيما بينها • وينتهى الامر كما يراه الباحث بتأثير تلك المدن فيما حولها من نظم واستعمالات ارض • وهذه الدراسة لا تختلف كثيرا عن الدراسات التى تتعلق بالنظم البؤرية أو العقدية •

وفى العقدين الاخيرين توجهت جغرافية المدن الى تطبيق النظم ومن أهم الدراسات فى هذا الصدد ، هى دراسة بيرى (2) Berry التى توضح كيفية الاستفادة من تطبيق فهم النظم على دراسة المناطق الحضرية ، وقد لفت أنظار على استخدام الطريقة العلمية التى تعتمد على استخدام الحاسبات الالية وأهم ما جاء فى بحثه هو تقسيم دراسة المناطق الحضرية الى مجموعتين : احدهما تعطى تعميمات استقرائية تمدنا بالاستنتاجات المنطقية • ويرى الباحث ان هاتين المجموعتين يجب ان تتكاملا اذا كنا بصدد تطوير الدراسة الحضرية ، وعن طريق هذا التكامل يمكن تحويل التعميمات الاستقرائية الى نظرية •

ويقترح الباحث مجالين لتحقيق مثل هذا التكامل ، هما :-

- دراسة الخصائص الحضرية وتشمل كثافات السكان فى الحضر وأحجام سكان المدن •
- دراسة الخصائص الحضرية الداخلية (ضمن المدينة) وتشمل المناطق الاجتماعية وخصائص المدينة •

ويركز الباحث على أهمية استخدام الرياضيات والاحصاء فى مثل هذه المجالات ، هذا بالاضافة الى تطبيق النظم على جغرافية الصناعة ،

1- Taaffe, E.J, Transport Expansion in Underdeveloped Countries Acomparative Analysis, geographical Reveiew, 1963.

2- Bery, B. "Cities as Systems Within Systems of cities in Conceptual Revolution in geography.

بما يسمى النظم الصناعية ، وكذلك على جغرافية التنمية وغير ذلك . ولا مجال للتفصيل هنا ، ان الغاية هنا هى التعرف الى طبيعة النظم . وان الخوض فى الدراسات التى اعتمدت النظم منهجا يتطلب قدرا كبيرا من الرياضيات والاحصاء والتفصيلات التى تحتاج لاكثر من كتاب .

المراجع الأجنبيـــة

Chorly, R.J., - Geomorphology and General System Theory in The Conceptul Revolution in Geography, London 1980.

Chorly, R.& P. Haggett - Socio-Economic Models in Geography, Methuen London 1983.

Chorly, R.& P. Haggett,- Models in Geography, Methuen London 1983.

Collins, L, (ed) - The use of Models in The Social Sciences, Methuen, London 1983.

Datton, R., Garlick J. - A sampling Techniques in Geography, George Philip and Son Ltd. London 1975.

Haggett, P. - Geography; A modern Synthesis, N.Y. Harper and Row, 1975.

Martin, R.L. etal (eds) - Towards The Dynamic Analysis on Spatial Systems, Methuen London 1983.

Silk, J. - Elements of Practical geography, London 1979.

الفكر الفلسفى فى روسيـــا

د . علاء حمـــزوش

مقدمة ضرورية :

قبل أن نبدأ فى تناول تطور الفكر الفلسفى فى روسيا يهمنـــا التأكد على أننا ننظر لتاريخ الفلسفة كعلم فلسفى وتاريخى فى ذات الوقت، توفر لنا دراسته امكانية فهم مسيرة الفكر الانسانى وقانونياتها واستيعـاب التجربة التاريخية العظيمة، تجربة معرفة الانسان للعالم، فتاريخ الفلسفة يطلعنا على ظهور أشكال الفكر النظرى ومقولاته ، وعلى طرائق المعرفـة العلمية ، وتاريخ الفلسفة يكشف لنا عن الاسباب الكامنة وراء الضلالات النظرية لمفكرى الماضى ، ليحذر من تكرارها فى المستقبل ، ومن الذاتية، ومن الجمود العقائدى فى النظرية والممارسة على السواء وتاريخ الفلسفـة يزرع فى نفوس البشر الأمل والثقـة بقوة العقل الانسانى وقدرته على معرفة العالم وقوانينه .

وتطور الفلسفة مر بمراحل وأطوار مختلفة تتفاوت فيما بينها بمستوى تطور المعارف الفلسفية واتجاهاتها ، واذا كان تطور الفلسفة يرتبـــط بظروف تطور المجتمع، فان مضمون الافكار والمفاهيم الفلسفية، لاسيما منهـا المقولات والصيغ المنطقية التى من خلالها يتطور الفكر الفلسفى تتعلق الـى حد بعيد بالصراع الايديولوجى القائم فى المجتمع وبتطور أشكال الوعـــى الاجتماعى القريبة منها ، وبتقدم العلوم وبتلك المادة الفكرية التى أورثتهـــا الاجيال السابقة .

ان التفكير النظرى خاصة عزيزيه لكن على شكل ملكة فقط، ملكـــة يجب تطويرها وصقلها ، وليس هناك ــ حتى الان، وسيلة كذلك سوى دراسة فلسفة الماضى كلها .

والفكر الفلسفى فى روسيا هو جزء من التراث الفلسفى العالمى ، وبمرور الزمن كانت تتغير المسائل والقضايا التى تدرسها الفلسفة ، وتغير وبالتالى موضوعها ففى المجتمع العبودى عندما لم تكن قد ظهرت بعد العلوم الخاصة عن الطبيعة والمجتمع وعن الاشكال المختلفة لحركة المادة كانت الفلسفة الشكل الاول والاساسى للمعرفة النظرية عامة ، وفى المجتمع الاقطاعى تطورت الفلسفة فى اتصال وثيق مع الدين وهذا يتضح من تتبعنا لتطور الفكر الفلسفى فى بلدان الشرق (الفلسفة العربية الاسلامية والفكر الفلسفى فى الصين والهند واليابان وبيزنطية وايران ..... الخ) .

ويتضح أيضا عند تتبعنا لتطور الفلسفة فى بلدان أوربا الغربية ولتطور الفكر الفلسفى فى روسيا (مابين القرنين التاسع والسابع عشر) ، وسنعالج فى دراستنا هذه الملامح الأساسية لتطور الفكر الفلسفى فى روسيا (فيما بين القرنين التاسع إلى التاسع عشر) ويهمنا أن نؤكد هنا أن الفكر الفلسفى قد تطور فى الشرق والغرب على السواء . وأن المذاهب الفلسفية التى ظهرت فى بلدان مختلفة قد عالجت المسائل الفلسفية الأساسية ذاتها ، وساهم كل منها بنصيبه فى اغناء تراث الفكر الفلسفى العالمى ، وكيفما تغيرت اهتمامات الفلاسفة على مر العصور وتغير وبالتالى - موضوع الفلسفة فان هناك عددا من القضايا العامة كقضايا الوجود والمعرفة والحياة الانسانية كانت - ولاتزال الشاغل الرئيسى لجميع المذاهب الفلسفية قديمها وحديثها .

والفكر الفلسفى فى روسيا قد مر بمراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : بواكير الفكر الفلسفى فى روسيا (مابين القرنين التاسع والسابع عشر) .

المرحلة الثانية : مرحلة النضج (صراع المادية والمثالية فى الفكر الفلسفى فى روسيا) (مابين القرنين الثامن عشر الى بدايات القرن العشرين) .

المرحلة الثالثة : الفكر الفلسفى فى روسيا السوفيتيه (منذ ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧) .

أ ـ بدايات الفكر الفلسفى فى روسيا :

اضطرت الشعوب السلافيه لقرون عديدة أن تخوض نضالا عنيفا ضد قبائل الهون والقبائل الرعوية المختلفة . التى كانت تحاول اخضاعها لسيطرتها وقد تمخضت هذه العملية عن توحيد القبائل السلافية الشرقية مابين القرنين التاسع والعاشر فى اطار الدولة الروسية القديمة الموحدة . وكانت عاصمتها مدينة (كييف) واستمرت هذه الدولة حوالى ثلاثة قرون لتنشأ على أساسها روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء .

أما المقدمات الاجتماعية . التاريخية لقيام هذه الدولة الروسية الاقطاعية فتتلخص فى ظهور الملكية الاقطاعية للارض ، بعد تفكك سقوط النظم العبودية والمشاعية البدائية وكان الملاك الاقطاعيون والفلاحون الطبقتين الرئيسيتين فى المجتمع الاقطاعى ، وكانت الطبقة الاقطاعية الحاكمة تشمل الامراء وكبار رجال الكنيسة وكانت الكنيسة من بين أكبر الاقطاعيين .

ولقد تطورت الدولة الروسية الاقطاعية من خلال الاضطهاد القاسى

للفلاحين مما أدى الى الانتفاضات الفلاحية فى القرى وفى أوساط الحرفيين فى المدينة تحت شعارات دينية فلقد كانت الايديولوجية المسيحية تسود الحياة الروحية للمجتمع بعد اعتناق المسيحية دينا رسميا فى القرن العاشر،

ولقد كان هذا الحدث هاما فى تطور الفكر الروسى حيث سمحت المسيحية للروس بالتعرف على الحضارة البيزنطية المتقدمة ، ومن خلالها بالحضارتين اليونانية والرومانية، كما ساعدت على تعزيز مواقع الدولة الروسية القديمة، وعلى تدعيم علاقاتها مع دول أوربا الغربية ، والشرق الاوسط ، وقبل اعتناق المسيحية، كانت الشعوب السلافية القديمة مشركة تؤمن بالعالم الآخر وتعبد الآلهة متعددة ، أشهرها :

بيروت اله الصاعق ، و" داجد " اله الشمس ، وشعارج آله النار ، ... الخ .

ولقد ظهرت الكتابة الروسية مابين القرنين الثامن والتاسع مما كان له أثر هام فى تطوير الثقافة الروسية، وكانت الكنيسة والاديرة مراكز الثقافة الروحية أدى تطور العلاقات الاقطاعية الى تزايد الغنى ، والى تدعيم سلطة الاقطاعيين والامراء المحليين مما أذكى النزعات الانفصالية الامر الذى انتهى بتقسيم الدولة الروسية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الى امارات صغيرة متفرقة ، وقد كان لهذا التقسيم الذى امتد الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر أثره فى وقوع روسيا فى أيدى الاعداء الخارجيين من الغزاه المغول والملوك السويديين والالمان ... الخ . مما جعل قضية توحيد الأراضى الروسية فى دولة واحدة محورا هتمام المفكرين والسياسيين الروس.

وفى القرنين الحادى عشر والثانى عشر بدأ مصطلح " الفلسفة " أو (حب الحكمة) يظهر على صفحات الكتب المخطوطة الكنيسية منها والمدنية .

ولقد أصبحت روسيا ما بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر على معرفة جيدة بمؤلفات الفلاسفة اليونانيين كأرسطو وأفلاطون وديمقريطسى وأبيقور ... الخ وبأعمال المفكرين البيزنطيين كميخائيل بسيل ويوحنا اينال وفلاسفة العصر الوسيط فى أوربا الغربية كاوغسطين وانسلم وبيرابليا وبيرنارا وف كليرفو وألبرت الكبير وتوما الاكوينى .

كما ظهرت فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر بعض الكتابات عن الاسلام والحضارة العربية الاسلامية ، وكان معظمها مترجما عن اللاتينية واليونانية. وتخلل القرون الاولى من بداية تكون الشخصية القومية الروسية عدد من المشاكل الثقافية والدينية ، فانفتحت روسيا الكيفية منذ البداية على أوربا الغربية بيزنطة والعالم الاسلامى ووجدت لغة مشتركة فى النصف الثانى من القرن التاسع وأوائل النصف الاول من القرن العاشر مع الخلفاء المسلمين من جراء وقوفهم ضد الامبراطورية البيزنطية ، وهذا مايشير اليه المؤرخ الروسى . شمولا فى كتابه " الشرق والغرب فى التاريخ الروسى " فالى جانب التأثير الحضارى الاوربى الغربى على روسيا ، كان هناك خط مواز ثقافى ترك أثره بدوره عليها وهو الخط المتمثل بالتأثير الثقافى الاسيوى . فرغم أن هذين الخطين كان كل منهما ينصب العداء للاخر فان روسيا كانت تتأرجح بينهما وتتأثر سلبا وايجابا بهما " .

ولكن مما لاشك فيه أن روسيا قد تأثرت أكثر بالثقافة الاغريقية والبيزنطية وهذا ماتثبته حقيقة تتبيها للارثوذكسية كدين للدولة . وبما أن الفكر الفلسفى فى روسيا لم يكن قد انفصل بعد عن الميادين المعرفية الاخرى ، وكان على صلة وثيقة باللاهوت المسيحى الذى يقوم على أساس الانجيل ومراسيم المجالس

المسكونية وآراء القديسين والاسناد المقدسة فان المسائل الفلسفيـــة التي تدور حول العالم والانسان ومكانه في الطبيعة والمجتمع والاخـــلاق قد طرحت في الأسفار والاساطير والمواعيظ حيث تشابكت بمختلف المعلومات التاريخية واصطبغت - عادة - بسموح دينية

١- الافكار الفلسفية في روسيا مابين القرنين الحادي عشر والرابع عشر:

- يطرح (ناستور في " حكاية السنين الغابرة " تاريخ الشعـــوب السلافية القديمة والبرهنة على وحدة مصيرها ، ويعرض للايديولوجيا الوثنية وسيطرة المسيحية في روسيا ، ويقدم صورة لمرحلة انتقـــال الشعوب السلافية من النظام القبلي الى الاقطاعية ومن الوثنية الى المسيحية في محاولة للنظر للتاريخ الروسي كجزء من التاريخ العالمي .

- ويطرح (ناستور) - أيضا - فكرة نشوء الدولة على أساس العقد الاجتماعي بين الشعوب والامراء .

- ويقدم " يوحنا " في مختارات سنة ١٠٧٦ " جملة متكاملة مـــن القواعد الاخلاقية التي تبلور سلطة الاقطاع كما تدعو في الوقـــت ذاته - الاغنياء ليحدوا من جشعهم كما تسترعي الانتباه - مـــن وجهة النظر الفلسفية " رسالة مطران مدينة " كييف " نيكيفور الى فلاديمير موتوماخ في القرن الثاني عشر والتي تطرح الى جانـــب المسائل اللاهوتية القضايا المتعلقة بالانسان ومكان روحه والعقل والاحاسيس كمصادر للمعرفة الانسانية .

- وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر ظهرت شروح وتعليقات علـــى المؤلفات الفلسفية البيزنطية (تفسير بالي) ، (النحلة) و (ديونيزا) وأهمية " تفسير بالي " تتمثل في عرضه للاساطـــير

الدينية المختلفة، وطرحه لمسألة علاقة النفس بالبدن، بالاضافة الى تقديمه لمعلومات وافرة عن العلوم الطبيعية

ويحتوى كتاب " النحلة " على مقتطفات من أعمال " أفلاطون " و " أرسطو " وأنكساغور، و " ديمقريطس " و " أبيقور " و " فيثاغورث " و " سقراط " وغيرهم من الفلاسفة القدامى .

ويؤكد الكتاب على أن الحكمة سيدة الفضائل جميعا وأن الفضيلة أصل أية حكمة ومصدرها .

— أما المؤلف الفلسفى (ديوبترا) فيطرح قضايا الصلة بين النفس والبدن وبيان الكون ويتقفى أثر التعاليم المسيحية فى الله والحكمة الالهية .

— وفى مستهل القرن الحادى عشر ظهر مقال فى القانون والسعادة لمؤلفه " ايلاريون " ويدور المقال حول فكرة أساسية وهى الدعوة لتوحيد الشعوب السلافية الشرقية فى دولة واحدة ويستنكر نظرية تفوق الشعب الاغريقى ويندد بالاطماع البيزنطية فى روسيا .

— والمبادئ المثل الاخلاقية لعصر الاقطاعيين المبكرة تتناولها (مواعظ فلاديمير موناخ) و (مقال دانيل زاتوتشنسك) وغيرهما ، وتتخذ موقفا سلبيا من التنسك والترهب وتدعو لتمجيد الحكمة وازدراء الجهل . وتنصح الامراء بتقريب الحكماء المنصفين لدائرتهم .

٢— الافكار الفلسفية فى روسيا بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر :

— على امتداد القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر شهدت روسيا صراعا حادا بين أنصار اقامة دولة مركزية وبين أنصار النزعات الانفصالية .

— وفى هذه الفترة بدأت تبرز اعادة موسكو لتغدو فيما بعد مركز الدولة الروسية الموحدة .

— فنجد " فيلوفى " فى رسالته الى " فاسيلى الثالث " أوائل القرن السادس عشر يعرض لنظرية (موسكو — روما الثالثة) يفسر فيلوفى سقوط روما القديمة والجديدة بأنهما خانتا الديانة المسيحية الحقيقية الارثوذكسية فاستحقتا بذلك العقاب الالهى . أما روما الثالثة — موسكو فهى الخلف الامين للمسيحية .

— وهكذا يصطبغ التاريخ العالمى بسموح دينية واضحة ، ولكنها من جانب آخر تؤكد أهمية توحيد الامارات الروسية فى دولة قوية تتزعمها موسكو .

— كما دعا كل من " ايفان بيريسفيتون والقس " برمولاى " الى ضرورة قيام دولة مركزية واحدة وقدما العديد من الاقتراحات الخاصة بالاصلاحات الاجتماعية .

— وثار فى القرن الخامس عشر والسادس عشر صراع بين اتجاهين :

— عبر عن الاتجاه الاول " يوسف فولوتسكى " وأتباعه من مفكرى الكنيسة الرسمية ووضعوا السلطة الروحية فوق السلطة الزمنية ، زاعمين أن كنيسة قوية تمتلك الاراضى الشاسعة هى وحدها القادرة على تنفيذ التعليمات والارشادات الالهية الشاسعة كما وقفوا ضد دنيوية ممتلكات الاديرة ودافعوا عن حق هذه الاديرة فى امتلاك الاقطاعات الواسعة لكن فولوتسكى " تحول فيما بعد الى السادة فأفضلية السلطة الزمنية (سلطة الامراء) وضرورة ولاء الامراء الاقطاعيين لموسكو ولاميرها الكبير " فاسيلى الثالث " واعتبر السلطة القيصرية سلطة من قبل الله .

- وعبر عن الاتجاه الثانى كل من " نيل سورسكى " و " فاسيان باتريكيف " وأتباعهم الذين وقفوا ضد تملك الاديرة لاراضى الفلاحين والكنيسة عندهم لا يجب أن تتدخل فى أمور السلطة الدنيوية ، ولذا يجب تحويل أراضى الاديرة وفلاحيها الى أغراض دنيوية .
- واتخذ موقفا مشككا من الطقوس الكنيسية ومعجزات القديسين وطالبوا بنظرة انتقادية لمضمون الكتب المقدسة .
- وقد انتهى الصراع بين الاتجاهين السابقين بهزيمة أنصار الاتجاه الثانى الذى انطوت آراؤه على بعض الافكار المتحررة وأتهم أنصاره بالهرطقة وتعرضوا لملاحقة الكنيسة الرسمية .

ولقد شارك " مكسيم الاغريقى " (حوالى ١٤٧٥ـ ١٥٥٦) آراء الاتجاه الثانى ودافع عنها بحماس وجرأة وهو يضع فى الفلسفة تعالم أفلاطون وسقراط وأرسطو فى المقام الاول بعد أن يؤولها تأويلا مسيحيا .

- ويلاحظ أن الافكار الهرطقية والآراء المتحررة المناوئة للايديولوجية المسيحية تنتشر فى روسيا مابين القرنين الرابع عشر والسادس عشر وقد عبر عنها كل من " كوريتسين " و " باشكين " و " ارنيمى " و " كوسوى " ولكن لم يصل أى من هؤلاء المفكرين الى مرتبة الالحاد ولكن احتوت آراؤهم المتحررة على طابع عقلى واضح .
- وتطلع المفكر البارز (سيمون بولوتسكى) (١٦٢٩ـ ١٦٨٠) الى تشريع صالح وحكام صالحين ومجد التنوير .

ويرى " برلوتسكى " أن العالم المادى والروحى مصنوعان لله وأن مهمة الفلسفة هى تنوير الناس واصلاح أخلاقهم ، وتعليم الحكمة

وارشاد الناس الى الحياة القويمة .

والفلسفة فى رأيه تتألف من أجزاء ثلاثة :

المنطق ، والفيزياء ، والأخلاق .

ـ وقد جاءت آراؤه ممتحمة بالنزعة العقلانية وبالايمان بتطور العقل وتقدمه

ـ وقام اندريه بلوبوتسكى " بشروح وتعليقات على كتاب المفكر السكولائى الكبير " دايموندلوك " (العلم الاول والأكبر) تشكل فى حد ذاتها عملا فلسفيا مستقلا . والعالم فى رأيه مخلوق الله ، تسيره المشيئة الالهية ، والأرض كروية الشكل تقع فى مركز الكون العالم قسمان :

ـ مادى (مملكة الاشياء) .

ـ وروحى (مملكة العقل) .

ـ وابيفانى سلافنتسكى (توفى ١٦٧٥) أول من أدخل نظرية كوبرنيك ، فى مركزية الشمس الى روسيا .

وكان لعرض هذه النظرية قيمة ايجابية كبيرة فى صياغة النظرة العلمية الى بنيان العالم .

ـ كذلك كتب " يورى كريجانيتش (١٦١٨ ـ ١٦٨٣) كتابا هاما (السياسة) هاجم فيه الانظمة القاسية والطغيان والترف الزائد وتطلع الى حكم صالح يشكل فيه العمل لاسعاد الشعب شرف الملك ومجده ، فليست المملكة موجودة لاجل الملك بل الملك لاجل المملكة .

ويرى أن جسم الانسان مؤلف من العناصر الاربعة :

(التراب ـ والماء ـ والهواء ـ والنار) .

وهذه العناصر تتصارع باستمرار . وهو يرى أن مهمة الحكمة ادراك الامور

الأسمى والاهم كالله والسماء والارض وأخلاق الناس والقوانين والأنظمة والحكمة مدعوة لارشاد الناس الى ملك الاشياء والفيلسوف (صاحب الحكمة) يصل من خلال العلل الى معرفة النتائج .

ويقسم " كريجانتيش " الحكمة الى روحية ودنيوية .

الاولى تؤول الى اللاهوت واما الثانية فتشمل الميكانيكا والرياضيات والفلسفة .

وتتألف الفلسفة بدورها من المنطق (القواعد والجدل والخطابة والشعر) والفيزياء (دراسة الخامات والصخور والاشجار والنباتات) .والحيوانات والاخلاق (الاخلاق الفردية والاقتصاد والسياسة أو علم قيادة الشعب)

— وفي أواخر القرن السابع عشر قامت الاوساط العلمية الروسية بترجمة العديد من الكتابات الالمانية ، والايطالية أهمها :

السلسلة التي صدرت عام (١٦٨٤) تحت عنوان " حكايات عن محمد منذ بداية رسالته وحتى النهاية .

ولعل هذا يعكس رغبة الاوساط العلمية الروسية لمواكبة أوربا علميا وحضاريا

وبحكم العلاقة الروحية بين روسيا وأوربا فانها لم تشذ عن قاعدة العداء الاوربي الى الشرق الاسلامي مع لفت الانتباه بأنها كانت مضطرة أن تراعي واقع التركيبة البشرية والدينية لامبراطوريتها في القسم الاسيوي بيد أن الثقافة العربية بكافة انجلياتها وخاصة الفكر الفلسفي لم تصل الى روسيا مباشرة من العالم العربي ، بل أنها مرت في البداية عبر الصفاة الاوربية الغربية .

— وتعرفت روسيا على بعض أعمال المتكلمين والفلاسفة العرب ـ المسلمين ـ وعلى سبيل المثال كتاب (مقاصد الفلاسفة) لابي حامد الغزالي .

وكانت تنقل الى الروسية بشكل مشوه . وحتى أوائل القرن التاسع عشر الذى شهد نهضة علمية استشراقية كبرى . ساعدها فى ذلك وصول المخطوطات العربية الى خزانات المخطوطات فى كل من بطرسبرج وقازان .

الخلاصـــه :

عن طريق بيزنطيه تسربت الى روسيا للمرة الاولى ـ الافكار الفلسفية وبعض مؤلفات اليونان القديمة وبيزنطية وأوربا العصور الوسطى والشـــرق الاوسط ولقد أدخلت على هذه المؤلفات تغييرات وتعديلات كان لها قيمة كبرى بحد ذاتها واصطبغت الافكار الفلسفية عادة بصبوح دينية ، وقـــد أولى المفكرون عناية خاصة بالتعاليم الاخلاقية ألتى كانت تستجيب لظـــروف روسيا الاقطاعية كما سعوا للاسهام فى قيام الدولة الروسية الموحدة كمـــا استنكروا العبودية ، ودافع بعضهم عن الشعب المضطهد وساهموا فـــى التعرف الواسع على التراث الفلسفى العالمى وفى هذا تكمن القيمة التاريخية للفكر الفلسفى والاجتماعى فى روسيا مابين القرنين التاسع والسابع عشر .

ـ ولكن هذا لايلغى الحقيقة فى أن الايديولوجية المسيحية فى روسيا كانت من القوة بحيث أن الحركات الواسعة التى قامت بها الطبقات الدنيا عكفت على ايجاد التبرير الايديولوجى لها فى التصورات والمبادىء المسيحية وكان أغلب ممثلى الفكر الفلسفى خدما للايديولوجية الكنيسية فى الوقت نفسه على أن المعتقدات الدينية الاساسية كما ان ممثلين عن علم الكلام المسيحى خاطبوا العقـــل وأكدوا فى الوقت نفسه على أن المعتقدات الدينية الاساسية لايمكن فهمها بواسطة العقل أى أن علم الكلام المسيحى عقلى من حيـــث

- الشكل وليس عقليا من حيث المضمون •
- ولكن مما لا شك فيه أن مرحلة بواكير الفكر الفلسفى فى روسيا مهدت الطريق الى مرحلة جديدة لتطور الفكر الفلسفى — مرحلة النضج •
- أو صراع المادية والمثالية والتى تشغل الفترة مابين القرن الثامن عشر والى بدايات القرن العشرين •

(ب) صراع المادية والمثالية فـــى الفكر الفلسفى فى روسيـــــا

(١) مقدمة ضرورية :

ظهرت بدايات أسلوب الانتاج الرأسمالى فى بعض مدن حوض البحر الابيض المتوسط بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر مما كان يعنى الانتقال من الحرف والصناعات اليدوية المتميزة لاسلوب الانتاج الاقطاعى الـــى الرأسمالية وشهدت ايطاليا قبل البلدان الاوربية الاخرى نموا عاصفا للمدن والحضارة المدنية وكان التطور الرأسمالى عاصفا فى هولندا وانجلترا خاصـــة حيث كانت ، وتأثر التراكم الرأسمالى الأولى عالية بالمقارنة مع البلدان الاخرى وقد تكللت نجاحات اسلوب الانتاج الرأسمالى فى أوروبا الغربية بالثـــورات البرجوازية الأولى واتخذ بعضها شكل الاصلاح الذى عبر عن حركة واسعـــة الانتشار مناهضة للاقطاع ومناهضة للكاثوليكية فى النصف الاول من القـــرن السادس عشر صاحبته بداية البرتستانتيه وتعد حركة الاصلاح أول ثـــورة برجوازية غير ناضجة فى تاريخ البشرية وفيها وقفت البرجوازية متحالفة مـــع النبلاء ضد الكنيسة الحاكمة وقد بدأت حركة الاصلاح من قيمة الكنيسة ورفعـــت قيمة الايمان الشخصى الداخلـــى فوق المظاهر الخارجية للدين وأدت الـــى الارتداد عن المذهب الكاثوليكى فى انجلترا واسكتلندة والدانمرك وغيرها ولقـــد كانت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنيكية وراء التحول الذى أصـــاب الحياة الروحية للشعوب الاوربية فقد تهاوى استبداد الكنيسة بعقولهم والـــى اضعاف النفوذ الاقتصادى والسياسى للكنيسة الكاثوليكية التى كانت على امتداد

العصور الوسطى كلها - القوة الايديولوجية المسيطرة والمرجع الاعلى للاقطاعيين في أوروبا وقد أدى انتصار الحركات الاصلاحية الى انحسار سلطة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عن عدد من البلدان الاوربية ويعتبر القيصر بطرس الأول من أهم الشخصيات الروسية التي لعبت دورا هاما في الاصح من أعلى ولقد ساهم في تدشين مرحلة الانتفاح على العلم والتطور وساهم هو وانصاره في دفع روسيا نحو الغرب حيث تعرفوا على المعالم الحضارية والثقافية .

مما دعاه الى دعوة الفيلسوف (لايبنتز) واختياره له مستشار في الشئون العلمية والسياسية والفلسفية في القضايا الاوربية ولكن نتيجة للوضعية الخاصة لروسيا وسيطرتها على جزء من آسيا الوسطى فنجد القيصر بطرس الأول قد عمل على تأسيس قسم خاص في أكاديمية العلوم الروسية يهتم بدراسة الحضارة العربية الاسلامية وتهيئة الكوادر العلمية وعمل على ادخال أول مطبعة عربية الى روسيا وعمل على تحضير كوادر علمية روسية وتاسيس معاهد لتعليم اللغات الشرقية وبداية التحقيق في المخطوطات الشرقية والبدء بترجمة الادبيات الاوروبية عن الشرق وبداية التحقيق في المخطوطات الشرقية ولكن هذه الاصلاحات بالرغم من طابعها المناوئ للاقطاعيين تحركت ضمن اطار الايديولوجية الدينية ولكنها من ناحية أخرى ساهمت في اظهار فئة كثيرة العدد من المثقفين الروس . عملوا على استخدام التراث الثقافي القديم وسعوا من أجل التأكيد على الثقافة الانسانية في مقابل الثقافة اللاهوتية المدرسية. عملوا على معارضة العلم الكنيسي بالعلوم الدنيوية ويمكن القول أن فلسفة الانسانيين عملت على نقد الفهم المدرسي لارسطو ولم ينتقدوا أرسطولية العصر الوسيط بآراء الاقدمين المادية فحسب وانما جابهوها أحيانا بفلسفة افلاطون والافلاطونية الجديدة .

٢ـ . الفكر الفلسفى فى روسيا فى القرن الثامن عشر :

ويعد ميخائيل فاسيلفتش لومانوسوف (١٧١٠ـ ١٧٦٥) مؤسس الفلسفة المادية فى روسيا وقد أرسل لاكاديمية سان بطبرج للعلوم فى ١٩٣٦ ثم الى الخارج الى جامعة هاربورنج باعتباره أفضل طلبة الاكاديمية السلافية اليونانية اللاتينية فى موسكو وأعاد الى روسيا فى عام ١٧٤١ ومما لا شك فيه أنه قد استفاد كثيرا بدراسته للفلسفة الطبيعية التى تدرس الطبيعة بعيدا عن التطورات اللاهوتية والتى لعبت دوراً هاما فى دفع الفلسفة المادية الى الامام . ولقد ساهم لومانوسوف كمفكر موسوعى فى تطور علمى الطبيعة والكيمياء وعارض الآراء التأملية المختلفة التى كانت تسود العالم فى أيامه .

وأصر فى وجه النظريات المثالية على الاصل الطبيعى للاجرام الطبيعية وبنى تفسيره للظواهر الطبيعية على تحول المادة .

وفيما يتعلق بقضية المعرفة اعتبر لومانوسوف أن أثر العالم الخارجى على الحواس مصدر لمعرفة وعارض نظرية الافكار الفطرية ويعتبر مؤسس الكيمياء الفيزيقية وكمؤسس لجامعة موسكو (١٧٥٥) وكان مسئولا عن العلماء والدارسين الذين عملوا على تطوير العلوم الطبيعية والفلسفة المادية فى روسيا ولومانوسوف ينادى بالتنوير والاصلاح الاخلاقى للمجتمع باعتبارهم الوسيلة الوحيدة لتحسين حياة المجتمع ولومانوسوف كان كداعية للتنوير يوجه مواعظه الى جميع طبقات المجتمع وبالاساس الى أولئك الممسكين بالسلطة وقد ساهم التنوير فى التغلب على نفوذ الايديولوجية الكنيسية

والاقطاعيين ومارس دورا كبيرا على تكوين النظرة العامة الاجتماعية للقرن الثامن عشر ومن أهم مؤلفات لومانوسوف (حول طبقات الارض) (تاريخ روسيا القديمة) (تأملات فى سبب الحرارة والبرودة) .

ويعد ياكوف بافلوفتيش كوريلسكى (١٧٢٨-١٧٩٤)فيلسوف تنويرى ومن أنصار الفلسفة المادية وعمل على فصل الفلسفة عن اللاهوت وأعتبر مهمة الفلسفة أن تكون (علم اختيار الأسباب بواسطة الحقائق) وفى آرائه الطبيعية طور أفكار ماديو القرن الثامن عشر الالية الميكانيكية واعتبر الطبيعة هى الام الكلية لجميع الاشياء ولقد تأثر فى المنطق بكرستيان وولف واعتبر الادراكات الحسية العنصر الاولى فى نظرية المعرفة وقسم كل معرفة الى تاريخية وفلسفية ورياضية والحقائق التى يبلغها الى طبيعية وأخلاقية ومنطقية وانتقد النظام الاقطاعى ومدرسيهم العصور الوسطى والصوفيه) ومن أهم مؤلفاته (القضايا الفلسفية) و (منهج فى المعرفة الانسانية) .

ومن أهم الأحداث العلمية فى نشاط الهيئات الاكاديمية الروسية فى أوائل القرن الثامن عشر هو ترجمة الدكتور بيوتر بوستيكوف للقرآن فى عام (١٧١٦) عن الترجمة الفرنسية التى قام بها المستشرق الفرنسى (يودرى فى عام ١٦٤٧) وعملت القيصرة كاترين الثانية على زيادة الاهتمام بالأدبيات العربية وترجمتها من الالمانية والفرنسية، وبهذا تكون الثقافة العربية فى عصر كاترين الثانية قد دخلت اهتمامات ومخيلة المثقفين والمفكرين الروس ونشرت أخبار العلوم والفلسفة فى صدر المجلات الثقافية .

ولقد كتب الكسندر نيقولايفتش راديشيف(١٧٤٩-١٨٠٢) العديد من المؤلفات التى تدافع عن الفلسفة المادية منها (الانسان وفنائه وخلوده) وعارض فيه بين نسقين متناقضين من الاراء آراء الماديين الفرنسيين والانجليز

فى القرن الثامن عشر (هولباخ — هلفيتيوس ؟ وجوزيف برسيتلى) وآراء المثاليين الالمان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر (كينتبر وهدر ومندلسون) ووصف فيه آراء وأدلة أصحاب الاتجاه الأول بأنها مؤسسة على الخبرة والبرهان واعتبر موقف أصحاب الرأى الثانى تأمليا قريبا من الخيال وكانت أفكار راديشيف السياسية تقوم على تعميم أهم أحداث القرنين السابع عشر والثامن عشر والثورات البرجوازية المنتصرة فى الغرب وافلاس سياسات القيصرة كاترين الثانية القائمة على النزعة (المطلقة المتنورة) ومن أهم كتب راديشيف (الرحلة من بطرسبرج الى موسكو) والذى حكم عليه من أجله بالنفى الى سيبريا .

— ويعد نيقولاى نيكيتش بوفسكى (١٧٣٠ـ١٧٦٠) من فلاسفة التنوير وون تلامذة لومانوسوف وترجم للروسية كتاب جون لوك (أفكار حول التربية) وكتاب الكسندر بوب (مقال فى الانسان) وهو أول من حاضر فى الفلسفة باللغة الروسية فى جامعة موسكو ودعا لفصل الفلسفة عن اللاهوت والى حركة التنوير وتطور العلوم .

— وبافونى سيرجيفتيس باتورين من مفكرى التنوير الروس أيضا ومن المؤلفة الف كتاب (دراسة مختصرة عن العرب) ودراسة كتاب الاخطاء والحقيقة وهو مناقشة فلسفية تحلل أفكار المتصوف " سان مارتان " التى عرضها فى كتابه (الاخطاء والحقيقة والمبدأ الكلى للعالم) أو مادية باتورين ميتافيزيقية فى طابعها ومؤلفه فى شكلها .

— ومن أبرز الفلاسفة المثاليين الروس الكسندر ايفانوفيتش جاليش (١٧٨٣ـ١٨٤٨) . وهو مثالى موضوعى معارض للمادية القى بمحاضراته

فى جامعة بطرسبرج ومن مؤلفاته (صورة الانسان) و (تاريخ المذاهب الفلسفية) من جزئيين ، والذى حاول أن يقدم فيه تصورا للقوانين التى تحكم تطور الفلسفة وهو من أوائل من نادوا فى روسيا بفلسفة الجمال الرومانسية .

— ومن المعبرين عن التيار المثالى والفكر الفلسفى الروسى ايفان ايفانوفتيش (دافيدوف (١٧٩٤ — ١٨٦٣) وهو من المتأثرين بفلسفة شلنج ويتضح ذلك فى مؤلفاته (أساس أولى للمنطق و (خطاب تعريف حول امكانات تبين فى قيام علم) وهو كجالتيش كان المهتمين بفلسفة الجمال وبعد دافيدوف من أنصار الحركة السلافية التى تدعو لتمجيد الارثوذكس والحياة المشاعية ويرى أن ديانة شعب من الشعوب تحدد طابع وتفكيره وبالتالى هى أساس حياته الاجتماعية واعتبر الارثوذكسية هى الدين الحقيقى وكتب مقالا (هل تقبل روسيا الفلسفة الالمانية) انتقد فيه هيجل وأشاد بالتميز القومى للفلسفة الروسية .

الفكر الفلسفى فى روسيا فى القرن التاسع عشر :

— وبعد الكسى سيتانوفيتيش خومانوف (١٨٠٤ — ١٨٦٠) من أبرز مثلى ودعاة الفلسفة المثالية وأنصار السلافية وأعتبر العنصر المثالى والعقلانى والحر المبدأ الاول لكل ما هو موجود ولا يمكن ادراك هذا العنصر بوسائل المعرفة العادية التى يملكها الانسان ، الاحساسات والعقل وانما من خلال (معرفة داخلية) أى بمساعدة الدين وعارض خومياكوف المادية والتزم بعقيدة العناية الالهية وخومياكوف ايديلوجى طبقة النبلاء الروسية حاول تقديم اقتراحات باصلاحات سياسية واقتصادية لتمكين طبقة النبلاء الروسية من الحفاظ على امتيازاتها فى فترة انتقال روسيا الى طريق التطور الرأسمالى .

— وينقولاى فلاديميروفيتش ستانكيفتيش (١٨١٣ — ١٨٤٠) اهتم بعلم

الأخلاق واعتبره مفتاحا لمشكلات اجتماعية متعددة، ودعا للاصلاح الخلقي والتنوير واصبغت آرائه الفلسفية بلون من الجدل المثالي، ووافق على أفكار الهيجليين الشباب وخاصة تشيشكوفسكي وفيورباخ.

— وميخائيل الكسندروفتيش باكونين (١٨١٤ — ١٨٧٦) صاحب نزعة تلفيقية في الفلسفة واضع ايديولوجية المذهب الفوضوي — ومؤلفه الاساسي (سلطة الدولة والفوضى) عبر فيه عن فكرة أن القاهر الرئيسي للانسان هو الدولة.

وهاجم باكونين الماركسية ودعا لنسف الدولة، والى أن يستبعد مبدأ السلطة من حياة الناس، وانتشرت آرائه الفوضوية في السبعينيات في روسيا، وكذلك في ايطاليا والنمسا وغيرها.

— ويعد يوريس تيقولا نفيتش شيتشيرين (١٨٢٨ — ١٩٠٤) من الفلاسفة المثاليين الذين تأثروا بهيجل ومذهبه في الفكرة المطلقة والجدل والمعرفة عنده تكون ممكنة فقط بتطبيق المبادئ التأملية على الموضوعات المدروسة ومصدر العلاقات الاجتماعية هو الفرد، ويعد شتيشرين زعيما للحركة الليبرالية ومن دعاة الملكية الدستورية ومن أهم مؤلفاته (الفلسفة الوضعية ووحدة العلم) و (فلسفة القانون) و(الملكية والدولة) و(العلم والدين) و (التصوف والدين) و(أسس المنطق والميتافيزيقا).

— ونيقولاي غامر بيوفتيش تشيرنيشفسكي (١٨٢٨ — ١٨٨٩) تأثر بالفلسفة الكلاسيكية الالمانية وخاصة فيورباخ — ورأى منبع المعرفة في العالم الموضوعي الذي يؤثر على الحس عند الانسان وهو فيلسوف مادي ذو نزعة انثيولوجية وسعى لاعادة صياغة جدل هيجل بالروح المادية. ويعد زعيم الحركة الديمقراطية الثورية في روسيا في العقد السادس من القرن التاسع عشر وحلم ببلوغ الاشتراكية عن طريق المشاعة الفلاحية القديمة ومن

مؤلفاته (نقد الابتسارات الفلسفية ضد الملكية المشاعية) و (المبدأ الانثربولوجى فى الفلسفة) و (طبيعة المعرفة الانسانية) .

* وأيف نيقولا يفتش تولستوى (١٨٢٨ـ ١٩١٠) تأثرت أفكاره بالفلسفية الدينية بالمسيحية والكونفوشيسية والبوذية وكذلك روسو رشونهور والمفهوم الرئيسى فى تعاليمه هو مفهوم الايمان الذى فهمه بشكل عقلانى الايمان هو معرفة ماهيته الانسان وحياته وهو صاحب نزعة انسانية ظهرت فى أعماله الادبية وأكد على دور الفن فى الحياة الانسانية ودعا لتشييد مملكة الله على الارض ولذا فهو يرى أن الفكرة الدينية يجب أن تكون الفكرة المرشدة فى الفنون ومن مؤلفاته (ماهو الفن) و (فحص اللاهوت القطعى) و (ماالذى أومن به) ..الخ .

. أما مسكيم الكسيفتيش انطونوفيتش فيعد من أنصار الفلسفة المادية ومقالاته فى مجلة (المعاصر) (الفلسفة المعاصرة) عبرت عن انتقادات واضحة للفلسفة الكانطية والهيجلية ويعد من أنصار المبدأ الانثروبولوجى الذى نادى به فيورباخ و وتشيرن شفتسكى ومادية ذات طابع تأملى ميتافيزيقى .

. ومن أشهر الفلاسفة الروس الذين تأثروا فى القرن التاسع عشر بالكتابات المسيحية فلاديمير سولوفيوف (١٨٥٣ـ ١٩٠٠) وتأثروا أيضا بأفكار البوذية والافلاطونية الجديدة وهو يرى أن مهمة الفلسفة هى تبرير المثل الاعلى الدينى الاجتماعى ومن ثم يتعين عليها أن تحترم اللاهوت ويعد من أيدولوجى طبقة النبلاء الروسية وأثرت وجهات نظره على الفلسفة الدينية والمثالية الروسية فى نهاية القرن وخاصة على برديائيف وترويتسكوى ومن مؤلفاته (نقد المبادئ المجردة) و (محاضرات فى الانسان والله) و (تاريخ ومستقبل السلطة الدينية) .

• الكسندر ايفانوفتش جرتسن (١٨١٢ - ١٨٧٠) فيلسوف مادى حياته الفلسفيه ونشاطه السياسى يمكن تقسيمها الى مرحلتين المرحلة الاولى حتى عام ١٨٤٨ - وفى هذه المرحله والتى عاش فيها فى روسيا - كتب أهم أعماله الفلسفيه (الهوايه فى العلوم) و (رسائل فى دراسة الطبيعه) - والمرحلة الثانية والتى عاش فيها بالمهجر فى (فرنسا ، ايطاليا ، انجلترا) والتى اهتم خلالها بالقضايا الاجتماعيه وكتب مقال بعنوان (النزعه السلافيه الشامله فى موسكو ، والنزعه الاوربيه الروسيه ؟) وآمن جرتسن بالتعاونيه وبالمشاعه الروسيه - وأعطى أهمية كبرى لدور الفلاحين فى تطور روسيا ، وانتقد بشدة الرأسمالية فى الغرب •

وموقفه الفلسفى عرضه فى رسائل فى دراسة الطبيعه (خاصة الرسالتين الاولى والثانيه) وأكد جرتسن على أهمية العلاقة التبادليه بين الفلسفه والعلوم الطبيعيه ، ووحدة النظريه والتطبيق ، والنظر الى الديالكتيك كقانون للتطور ، ولقد تأثر جرتسن بفيورباح وانتقد مثالية هيجل •

• وسيرجى نيقولا نفيتش تربوتسكوى (١٨٦٢ـ١٩٠٥م) مؤلف العديد من الكتب التاريخية فى الفلسفة القديمة ومن مؤلفاته الهامة (طبيعة الوعى الانسانى) و (مبادئ المثالية) و (نظرية اللوغوس وتاريخها) وهو فيلسوف مثالى تأثر بالفلسفة الكلاسيكية الالمانية ومؤيدا متحمسا للملكية وكان رئيسا لتحرير صحيفة (مشكلات الفلسفة وعلم النفس) وانتخب بجامعة موسكو •

• ومن دعاة الماركسية الاوائل جورجى فالنتينوفتيتر بلينخانوف وقدم عرضا للنظرية الماركسية فى مؤلفاته الرئيسية (تطور النظرة الواحدية للتاريخ) و (مقالات فى تاريخ المادية) و (دور الفرد فى التاريخ) وعلى الرغم من أنه من أنصار الماركسية الا أنه لم يقبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ •

• ويعد من مؤسسى علم الجمال الماركسى والنقد الادبى الماركسى ولقد كانت روسيا بلدا يسير فى طريق الرأسمالى لكن هذا التطور كان أبطأ مما عليه فى انجلترا وفرنسا ومرحلة عصر التنوير الروسى عمل الفلاسفة من أجل انتصار الفلسفة القائمة على العقل وفى القرون التاسع عشر ظهر فى روسيا جماعة من المفكرين المتنورين •

الذين كان من بينهم عددا من رجال الفلسفة المادية حاولوا تطوير الفهم المادى وخاضوا صراعا ضد رواسب العصور الوسطى ضد الاقطاعيين فى المؤسسات والافكار ولقد أثرت الفلسفة فى أوربا الغربية تأثيرا واضحا على الفكر الفلسفى الروسى فى القرن التاسع عشر ويعد هيجل وكانط من أبرز ممثلى الفكر المثالى فى الفلسفة الذين أثروا على الفلاسفة المثاليين الروس كما يعد فيورباخ من أبرز ممثلى الفكر الفلسفى المادى الذين أثروا على الفلاسفة الماديين الروس•

ومن ناحية أخرى فقد قام المستعرب الروسى غريمى (١٨٣٥-١٨٨٧) فى تعريف المثقفين الروس على كتاب (الاغانى) للاصفهانى وقام غورلياند (١٨٤٣-١٨٩٠) بتقديم (دراسة حول تأثير الفلسفة الاسلامية على فلسفة ابن ميمون) كما قدم بروتولد (١٨٦٩-١٩٣٠) دراسات متعددة حول الفكر الاسلامى منها (تأثير الحضارة العربية على بلاد الاندلس) وكذلك كريميسكى (١٨٧١-١٩٤١) الذى قام بالقاء العديد من المحاضرات حول الفكر العربى الاسلامى ومن أهم زملائه س ٠ ا وهنتاس الذى كتب (دراسة فلسفية وتأملات حول تطور الافكار الدينية والفلسفية فى الاسلام) ٠

عرف بندلى الجوزى (١٨٧١-١٩٤٣) القارى الروس جوانب متعددة من الفلسفة العربية الاسلامية وعلم الكلام المعتزلى ٠ ولقد لعبت مدرسة الاستشراق والاستعراب دورا هاما فى الكشف عن جوانب هامة من تراثنا الفلسفى العربى الاسلامى الذى أغنى بدوره الفكر الفلسفى الروسى ولقد رافق ذلك محاولات لخلق تصورات مشوهة عن الفكر الفلسفى العربى الاسلامى وكان يقف وراء هذه التصورات البلاط العنصرى ورجال اللاهوت الروس المتعصب للارثوذكسية والمثقفين الروس المتأثرين بالاراء الصهيونية ٠

ومع بدايات القرن العشرين نشأ اتجاه فلسفى دينى (البحث عن الله) وشاعت آرائه التى تهدف الى تقوية الاعتقاد الدينى خصوصا بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ويبشر هذا الاتجاه بموقف جديد من الانجيل - واصلاح دينى واعتقد أنصار هذا الاتجاه أن هدف الحياة هو البحث عن الله وأن الغرض من التاريخ تحقيق الله فى الانسانية ٠

• ويعد نيقولا الكسندروفتيش برد يائيف من أنصاره وانتقد الماركسية واعتبرها عاجزة عن أن تحل مشكلة نشاط وحرية الشخص لانها تدمج الشخص فى مفهوم الطبقة واتجه بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ للتصوف والدعوة له ويرى أن التحرر الانسانى باطنى وروحانى فى الشخصية عن طريق الدين ومن أهم مؤلفاته (فلسفة عدم المساواة) وتجربة الميتافيزيقيا الاخروية) و(فلسفة الحرية) •

• كما يعد اناتولى فاسيافيش لوناتشارسكى (١٨٧٥ــ ٣٣ م) من أبرز الداعين لاتجاه (تشييد الله) والذى نشأ بعد هزيمة ثورة (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧) والذى ارتبط ارتباطا وثيقا بفلسفة بوجدانوف والتوحيد بين الاشتراكية والدين ويعد لوناتشارسكى من مؤيدى الفيلسوف النمسوى ارنست ماخ أحد مؤسسى التجريبية النقدية والذى أثرت فلسفته فى تشكيل الوضعية الجديدة على بعض الفلاسفة الروس•

كبوجدانوف وبوشكيفتش ولقد ارتبط مكسيم جوركى بهذا الاتجاه لفترة من الوقت•

• أما الكسندر الكسندروفتيش بوجدانوف(فلقد انتقل بين تيارات فلسفية مختلفة فلقد عبر عن وجهة نظر ماركسية وانتهى به الامر الى تأكيد فلسفة ماخ ومحاولة التغلب عليها ومن أعماله (فلسفة التجربة الحية)و (المعروفة من وجهة النظر التاريخية) ولقد كان الصراع بين المادية والمثالية فى قمته قبل ثورة ١٩١٧ ولذا نجد فلاديمير ايليتش لينين(١٨٧٠ــ١٩٤٠) يكتب مؤلفه الفلسفى الاساسى •

(المادية والتجريبية النقدية) سنة ١٩٠٨ والذى ينتقد فيه ماخ الذى يدافع عن المثالية بالتركيز على مبحث المعرفة والمنطق•

ويقدم أيضا تحليلا لانجازات العلم الطبيعي في ضوء الماديه الجدليه ، ودعا لتطوير الفلسفة الماركسية ، ومع انتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ ـ دخل الفكر الفلسفي في روسيا مرحلة جديده سادت فيها الفلسفه الماركسية السوفياتيه .

والمرحلة الثالثه لتطور الفكر الفلسفي في روسيا ـ أي تطور الفكر الفلسفي في روسيا السوفيتيه سنخصص لها دراسة مستقله . نظرا لأهمية هذه المرحله ليس فقط بالنسبة لتطور الفكر الفلسفي في روسيا فقط ، بل وبالنسبة لتطور المدارس الفلسفيه المختلفه في العالم .

والماركسيه السوفياتيه أو الماركسية اللينينيه ، هي الماركسية في العصر الحديث ، فعقب ثورة أكتوبر ١٩١٧ تطورت الماركسية التي وضع مقوماتها الأساسيه كل من كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) وفردريك انجلز (١٨٢٠ ـ ١٨٩٥) علي يد لينين (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤) خلال صراع مع اعدائها الفكريين ، في ظل حقبة تاريخيه جديده .

قائمة المراجع

كوفاكين .ب .أ : الفلسفة الدينية في روسيا ـ موسكو ١٩٨٠

نارسكي .ي.س : فلسفة أوربا الغربية في القرن ١٨ ـ موسكو ١٩٧٣
فلسفة أوربا الغربية في القرن ١٧ ـ موسكو ١٩٧٤
فلسفة أوربا الغربية في القرن ١٩ ـ موسكو ١٩٧٦

ميردونس .ج.ح : فلسفة العصور الوسطي ـ موسكو ١٩٧٩

شمورلا .ي : الشرق والغرب في التاريخ الروسي ـ موسكو ١٩٨٥

الكسييفيتش .ق : مدخل لدراسة الاستشراق السوفيتي ـ مجلة الاستشراق السوفيتي ١٩٤٧ .

بريسلكوف .أ.و : خواطر حول التاريخ السياسي للكنيسة الروسيه الكيفيه بين القرن العاشر الي الثاني عشر ـ بطرسبرج ١٩١٣ .

برتولد .ف .ف : تاريخ دراسة الشرق في أوربا وأسيا ـ لينينجراد ١٩٢٥

الكسندروف وآخرون : تاريخ الفلسفة ـ ٣ أجزاء ـ موسكو ١٩٤٠

كراتشكوفسكي .ي.أ : حول تاريخ الاستعراب في روسيا والاتحاد السوفيتي ـ من كتاب (دور العلم الروسي في تطور العلم والثقافه العامليين) المجلد الثالث موسكو ١٩٤٦ .

سكالوف .ف .ف : الفلسفة الاوربيه من القرن الخامس عشر الي القرن السابع عشر ـ موسكو ١٩٨٤ ، مختصر فلسفة عصر النهضة ـ موسكو ١٩٦٣.
فلسفة العصور الوسطي ـ موسكو ١٩٧٩ .

جورفكيل .أ. ح : فلسفة عصر النهضه ـ موسكو ١٩٨٠

كوربا توف .ج.ل : مسائل التركيب الاجتماعي والايديولوجيه لمجتمع العصر الوسيط لينينجراد ١٩٨٠ .

نيقولا لوسكي : تاريخ الفلسفه الروسيه ـ ترجمة د./ فؤاد كامل / القاهرة

د./ مراد وهبه : محاورات فلسفية في موسكو ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٩٧٧

- جلاكتينوف ، تاريخ الفلسفة الروسية - موسكو ١٩٦٩ .
- أ . كوجمه ، دراسات حول تاريخ الفكر الفلسفى فى روسيا - باريس ١٩٥٩ .
- ج . ى . بليخانوف ، تاريخ الفكر الاجتماعى الروسى - موسكو ١٩٢٥ .
- تاريخ الفلسفة والفكر السياسى والاجتماعى لشعوب الاتحاد السوفييتى موسكو ١٩٥٥ .
- تاريخ فلسفة شعوب الاتحاد السوفييتى - ٤ مجلدات - موسكو ١٩٧١ - ١٩٧٧ .
- القاموس الموسوعى الفلسفى - موسكو ١٩٨٢ .

الكنـدى

الممثل البارز لمرحلة الانتقال من علم الكلام الى الفلسفـة

د. علاء حمـروش

١ـ شخصيته ودوره:

أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى ـ المنحدر من قبيلـة كنده العربية ـ عاش فيما بين عامى (١٨٥ـ ٢٥٢ هـ / ٧٩٦ـ ٨٦٣)[١] أول الفلاسفة العرب المسلمين، ولد بالكوفة ، وكان والده أميرا على الكوفه حيث قضى الكندى طفولته ، وحيث تعلم الطب والرياضيات والفلسفـة، حصل بعض علومه بعد ذلك فى البصرة، ثم فى بغداد ، أى فى حواضـر الثقافة فى عصره، حظى برعاية الخليفتين العباسيين المأمون والمعتصـم وكان الأمير أحمد بن الخليفة المعتصم صديقا للكندى ، وأهداه الكنـدى عددا من مؤلفاته ، أما أثناء خلافة المتوكل (٢٣٢ـ٢٤٧ هة / (٨٤٧ـ ٨٦١م) فقد زالت حظوة الكندى شأنه فى ذلك شأن أصدقائه المعتزلة[٢].

لن نعالج الكندى وآراءه باعتباره مؤسس الفلسفة العربيـة الاسلامية فأساسا لفلسفة العربية الاسلامية قد بنى قبل الكندى فى زمـن يمتد أكثر من قرن على أيدى مفكرى المعتزلة ولكن الكندى أول من تلمـس درس الفلسفة بتؤده، ومهد الطريق أمام تطور الفكر الفلسفى العربـى الاسلامى المستقل على أيدى الفارابى وابن سينا بالمشرق.

---

(١) مقالات فى أصالة الفكر المسلم، د. فوقيه حسين محمود، ص٤٦

(٢) تاريخ الفلسفة الاسلامية، هـ. هنرى كوربان، ص ٢٣٦.

وأهل العصر الذى ظهر فيه الكندى هم الذين أطلقوا عليه لقب (فيلسوف العرب) أو (فيلسوف الاسلام) ـ فهو لقب قديم لم يخلعه عليه المتأخرون فى عصره وليس لهذه التسمية أى دلالة عرقية (عنصرية) كما اتجه لهذا بعض الباحثين وهو لا يعنى سوى أن ظهور الكندى من حيث الدلالة التاريخية كفيلسوف قد ظهر فى وقت لم يكن قد ظهر فيه بين العرب والمسلمين من له وجه فلسفى صريح المعالم غيره، فلقد ظهرت على يد الكندى بداية أول تجليات الفلسفة العربية الاسلامية خارج اطار علم الكلام (المعتزلى والأشعرى) وعلى الرغم من الطابع الموسوعى لشخصية الكندى وتنوع معارفه واهتماماته فى مجالات الأدب والترجمة وعلم الكلام والرياضيات والفلك والمنطق والموسيقى والطب والاخلاق والسياسة وتصانيف العلوم ..... الخ (١) فلقد غلبت النزعة الفلسفية عنده على غيرها من النزعات الاخرى بحيث اعتبره معاصروه أول فيلسوف عربى أو اسلامى خاض غمار الفلسفة والكندى يعتبر الممثل البارز لمرحلة الانتقال من الفلسفة ذات الشكل الكلامى الى مرحلة الفلسفة المستقلة نسبيا ، فمن خلال الكندى الذى تفهم واستوعب التراث الانسانى المحيط به وخاصة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية والتى وجدت طريقها الى الفكر العربى الاسلامى من خلال حركة الترجمة ـ ظهر لنا محاولة للتوفيق بين الفلسفة والشريعة تقوم على أساس أن هدفهما واحد وغايتهما الوصول الى ادراك الحقيقة، فالكندى تلقى العلوم الاسلامية على يد كبار رجال الفقه واللغة والحديث والأصول والتفسير فى عصره مما جعل فلسفته مجالا لتلاقى اتجاهات متنوعة ، فالكندى أخذ على نفسه مهمة اثبات أن الفلسفة لا تعارض الدين، ودعا الى دراسة الفلسفة

---

(١) النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية جـ ٢ حسين مروه ص٥٤.

لأنهـا (علم الأشياء بحقائقها) جوهر الشريعة الاسلاميـة وجوهر الفلسفـة واحد من وجهة النظر الكندى .

والكندى كغيره من الفلاسفة العرب المسلمين يتميز بشمولية الفكـر وغزارته — ومن هنا علينا أن نتوقف أمام مؤلفاته وخاصة الفلسفية والتى توضح لنا المامه بعلوم عصره على اختلاف أنواعها وحبه للفلسفة .

٢— مؤلفاتـــه :

لقد أورد النديم فى " الفهرست " قائمة بكتبه الفلسفية والمنطقية والحسابيات والنجوميات والهندسيات والفلكيات والطبيعيـات والاحكاميـات والجدليات والاحثيات والسياسيات ... الخ . ويهمنا هنا أن نشـــير خاصة الى كتبه الفلسفية .

١— كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيـات والتوحيد .

٢— كتاب الفلسفة الداخلة والمسائل المنطقية والمعتاصة وما فـــوق الطبيعيات .

٣— كتاب رسالته فى أنه لاتنال الفلسفة الا بعلم الرياضيات .

٤— كتاب الحث على تعلم الفلسفة .

٥— كتاب ترتيب كتب أرسطو .

٦— كتاب فى قصيد أرسطوليس فى المعقولات اياها قصدا والموضوعة لها .

٧— كتاب ماهية العلم وأقسامه .

٨— كتاب أقسام العلم الانسى .

٩— كتاب رسالته الكبرى فى مقياسه العلمـــى .

١٠— كتاب رسالته بايجاز فى مقياسه العلمى .

١١ـ كتاب فى أن أفعال البارى جل اسمه كلها عدل لاجور فيها .
١٢ـ كتاب فى ماهية الشىء الذى لانهاية له وبأى نوع يقال الذى لا نهاية له .
١٣ـ كتاب رسالته فى الابانه أنه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية وأن ذلك انما فى القوة .
١٤ـ كتاب فى الفاعلة والمنفعلة فى الطبيعيات الاولى .
١٥ـ كتاب فى عبارات الجوامع الفكرية .
١٦ـ رسالته فى رسم قاع الى الخفاء والوزراء .
١٧ـ كتاب فى بحث قول المدعى أن الأشياء الطبيعية تفعل فعلا واحدا بايجاب الخلقه .
١٨ـ كتاب فى أوائل الاشياء المحسوسة .
١٩ـ رسالته فى الترفق فى الصناعات .
٢٠ـ كتاب مسائل سئل عنها فى منفعة الرياضيات .
٢١ـ رسالته فى قسمة القانون .
٢٢ـ رسالته فى ماهية العقل والابانه عنه .

ولقد ورد فى كتاب الفهرست أن للكندى ماينيف على مائتى وستين كتابا تحمل اسمه، ولكن أكثر هذه الكتب لم يصل الينا ، ولقد عرف الغرب بعضا من مؤلفات الكندى كانت قد نقلت فى العصر الوسيط الى اللغة اللاتينية وقد عثر منذ سنوات فى اسنطبول على نحو ثلاثين رسالة من رسائل الكندى نشر منها قسم فى ذلك الحين لاسيما رسالة فى (الفلسفة الاولى) (١) ورسالة عن "تصنيف كتب ارسطو" .

---

(١) الكندى فيلسوف العرب ، د . أحمد فؤاد الاهوانى ، ص٧٩ .

٣— تصنيف العلوم:

لقد قسم الكندى الفلسفة لعلوم ثلاثة — أولها العلم الرياضى والثانى علم الطبيعيات والثالث ، هو علم الربوبية، ولقد سبقه فى مجال تصنيف العلوم فلاسفة اليونان وخاصة (أرسطو)[1] ويلاحظ على تصنيف الكندى أنه فصل القول فى العلوم الرياضية وبين أهميتها وجعل لها السبق فى التعليم على العلم الطبيعى بل على المنطق نفسه كما يلاحظ أنه أضاف الى تصنيف العلوم لارسطو القائم على المشاهدة الحسية من جهة وعلى البرهان العقلى من جهة أخرى علم المسلمين الخاص بهم والقائم على القرآن الكريم فالكندى كان أول من وضع لمفكرى الاسلام التخطيط العام لتصنيف العلوم وقسمه لقسمين أساسيين علوم فلسفية وعلوم دينية تبحث فى أصول الدين والعقائد والتوحيد .

وتابعه فى نهجه العام لتصنيف العلوم كل من الخوارزمى فى "مفاتيح العلوم" والفارابى فى (احصاء العلوم) ولكن يلاحظ أن الكندى جعل الرياضيات أسبق من المنطق على حين أن الفارابى يقدم المنطق باعتباره أداة كل تفكير، ولقد أثر الفارابى من خلال كتابه احصاء العلوم الذى يعد الأول فى مجاله على ابن سينا وابن رشد واخوان الصفا[2] .

٤— الكندى والفلسفة اليونانية:

يحاول بعض المستشرقين الغربيين ، تصوير فلسفة الكندى وكأنه من الاخذين بمذهب ارسطو فأرسطو تبوأ مكانا كبيرا فى ثبت الكتب التى

---

(١) الفلسفة ومباحثها ، د . محمد على أبوريان، ص١١٠

(٢) الكندى فيلسوف العرب ،د . أحمد فؤاد الاهوانى، ص١٠٠

صنفها الكندى ، وهو لم يقنع بمجرد ترجمة كتب أرسطو بل درس ما ترجم منها وحاول اصلاحه وشرحه، ويحاول البعض الاخر تصوير الكندى وكأنه من الآخذين بالمذهب الافلاطونى الجديد مع اضافات من المذهب الفيثاغورى الجديد ، وكل هذه الآراء تصور فلسفة الكندى وكأنها الفلسفة اليونانية بلغة عربية، متجاهلين أن فلسفة الكندى كانت تعبيرا عن احتياجات المجتمع العربى الاسلامى مستفيدة من ترجمة الفكر الفلسفى عامة واليونانى خاصة، ومن التفاعل الفكرى والحضارى بين سائر الشعوب والقوميات التى دخلت فى تركيب المجتمع العربى الاسلامى ومتجاهلين أن فلسفة الكندى كانت ايضا تعبيرا فلسفيا عن تطور الفكر الفلسفى فى تطوره نحو الاستقلال من علم الكلام المعتزلى الى الفلسفة المستقلة.

فلسفة الكندى لم تظهر كنتاج عامل خارجى هو العامل الوحيد فى انتاجها كما يحاول بعض المستشرقين الغربيين تصويرها بل يمكن القول أن الكندى وغيره من الفلاسفة العرب المسلمين قد ساهموا فى اعادة صلة الفلسفة اليونانية بالحياة الفكرية بعد عزله انقطعت خلالها عن حركة التاريخ البشرى لبضعة قرون (اغلاق الامبراطور جوستنيان مدارس أثينا الفلسفية ٥٢٩ م.) كما أن الفلسفة اليونانية اكتسبت بحضورها الجديد على يد الكندى وغيره من الفلاسفة العرب المسلمين حياة جديدة قطعت بها شوطا بعيدا عن حياتها القديمة فى العصور اليونانية والرومانية لانها هذه المرة حضرت فى عالم تغيرت فيه العلاقات الاجتماعية تغييرا نوعيا بانتقال هذه العلاقات من كونها علاقات عبودية الى كونها علاقات

اقطاعية ، كما أن القضيا الفكرية والفلسفية التى واجهها المجتمع العربى الاسلامى تختلف نوعيا من الفلسفة اليونانية فى شوبها القديم .

ولقد استفاد الكندى من التراث الفلسفى القديم شرقه وغربه فى ضوء واقع جديد ، وعصر جديد كما استفاد أيضا من العلوم الاسلامية والتراث الكلامى والمعتزلى وهو الذى دشن انتهاء مرحلة قيام الفكر المعتزلى بدوره التاريخى وهو حضانته للفكر الفلسفى وبداية المسار المستقل للفلسفة عن علم الكلام المعتزلى . (١)

فالكندى لم يكن مجرد مرددا لآراء التيار المثالى فى الفلسفة اليونانية وخاصة عند أفلاطون وأرسطو ولم تكن فلسفته وليدة الاصل اليونانى وحده ، كما أن اطلاعه على التراث الفلسفى اليونانى لا يمكن أن يصمد أمام حقيقة أن غيره من المعتزله والمترجمين قد أطلعوا على الفلسفة اليونانية ولكن لم يظهر لنا مفكر فلسفى كالكندى . فالاطلاع وحده وبحد ذاته على فلسفة ما لا ينتج لنا فليسوفا .

ومن ناحية أخرى علينا أن نلاحظ أنه على الرغم من استخدام الكندى لبعض معقولات أرسطو ومصطلحاته الفكريه ولكنه كان يستخدمها فى سبيل يفترق عن أرسطو (٢) ويؤدى الى نتيجة تعارض أحيانا النتيجة التى انتهى اليها أرسطو وهو فى الوقت نفسه يضع مصطلحاته الخاصة المستقلة بعضها .

فاذا رأينا الكندى يستخدم مثلا تعبير أرسطو (المحرك الأول) فانما هو يضع لهذا التعبير مفهوما آخر غير الذى يضعه أرسطو -

---

(١) النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية جـ ٢ ، حسين مروة ص ١٣٤

(٢) مقالات فى أصالة الفكر المسلم ، د . فوقيه حسين ص ٩٥ .

فالكندى حين يقول (المحرك الاول) يقول بقوله مجاراة لارسطو شكلا فى حين يقصد به (المبدع الاول) مضمونا والفرق بين هذا المضمون ومضمون أرسطو فرق جوهرى جذرى فان (المحرك الاول) الارسطى لا يحرك العالم بوصف كونه الصلة الفاعلة بل بوصف كونه الصلة الغائية بمعنى أن العالم يشتاق الى كمال الله وبهذا الشوق الدائم يتحرك العالم نحو الله تحركا متصلا دائما أما عند الكندى فان المحرك الاول هو الصلة الفاعلة الأولى المبدعة لكل علة ، وهو (الفاعل الحق الاول والتام) وأساس الاختلاف بين المفهومين هو أن مفهوم أرسطو يتضمن القول بقدم العالم (أزليته) أولا وانكار القول بخلق العالم من العدم المطلق ثانيا — وأن مفهوم الكندى يقوم على القول بحدوث العالم أو بخلق العالم من العدم المطلق ثانيا .(١)

ونلاحظ من ناحية أخرى تباين نظرة كل من الكندى وأفلاطون لقضية (الله والعالم) . فالكندى يرى أن الوجود الحقيقى الثابت المنزه عن الحركة والتغير والصيرورة والتحديد المكانى والزمانى ينحصر فى الله ولكنه عند أفلاطون يتعدد بقدر ما فى العالم الحسى من أنواع أو من أشياء تنطوى ضمن هذه الانواع — نظرا الى أن لكل نوع أو شىء من هذا العالم الحسى (مثالا) أو (فكرة) فى عالم (المثل أو الأفكار) أو (الوجود الحقيقى) هذا أولا ثم يأتى الاختلاف ثانيا — من أنه ليس فى العالم الحسى شىء مخلوق من لاشىء مادامت الاشياء فى هذا العالم كلها فى النظرية الافلاطونية ليست سوى انعكاسات الافكار الازلية القائمة فى عالم الجواهر بوجودها الفعلى الموضوعى ويأتى الاختلاف ثالثا — من أن سبب

---

(١) النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية ، جـ٢ ، حسين مروه ص ٧٣ .

وجود الاشياء فى العالم الحسى واحد هو الله عند الكندى ومتعدد بتعدد الاشياء نفسها أو أنواعها عند أفلاطون . لان كل فكرة هى سبب للشىء الذى هو وظلها أو ظاهرتها فى العالم الحسى . (١)

ولنأخذ على سبيل المثال من ناحية ثالثة تباين وجهات نظر الكندى والافلاطونية المحدثة فى قضية (الله والعالم) فنظرية الفيض ترى صدور الوجود عن الله صدورا اضطراريا أى غير مقترن بارادة واختيار بينما يرفض الكندى تصور فعل الخلق من الله دون ارادته بصورة جديه مطلقة لان فكرة الفيض أو الخلق - اضطرارا تناقض كليا صفات : العلم والحكمة والارادة التى هى أسمى وعلى رأس صفات (المبدع الاول) بمفهومه الاسلامى الذى هو نفس مفهوم الكندى .

كما أن من أوليات الميادئ التى تقوم عليها فلسفة الكندى خلق العالم من العدم ولكن نظرية الفيض الافلاطونية الجديدة ترفض هذا المبدأ وهى ترى أن العالم شعاع من نور (الاول) الله - لان كل ماكان بعد الاول فهو من الاول اضطرارا فالعالم اذن وجد من وجود لا من عدم .

كما أن العالم فى نظر الكندى حادث غير أزلى فى حين أن معطيات نظرية الفيض يقضى بأن يكون العالم قديما أزليا ، كما أن الأفلاطونية المحدثة تقول بالاساس الالهى للطبيعة فهى تنفى الازدواجية بين الله والطبيعة - مادام لكل شىء أساس الهى فى نظرها وهذا يتضمن شكلا من الحيلولة أو معنى من معانى (وحدة الوجود) بمفهومها المثالى بينما نظرة الكندى ترفض كل شكل من أشكال الحيلولة وكل معنى من معانى (وحدة الوجود) وتقول بالانفصال التام بين الله والعالم ونظرية الفيض الافلاطونية

---

(١) المرجع السابق الاشارة اليه ص٧٣ .

الجديدة تعتبر العالم المادى ـ عالم سفلى خسيس لانه الدرجة الدنيا من درجات الفيض.

بينما الكندى ينظر للطبيعة نظرة متميزة بطابعها الفلسفى يتمثل فى أنه يمنح الطبيعة مكانة فى عالم الكائنات . تضعها بمنزلة العلل والاسباب الفاعلة ، بل تضع علاقتها بالله مساوية لعلاقات سائر الكائنات دون تفضيل كائن آخر عليها ويظهر ذلك بكثير من الوضوح فى قوله " لان الطبيعة هى الشىء الذى جعله الله علة وسببا لعلة جميع المتحركات الساكنات عن حركة " (١) .

ونحاول الآن أن نتوقف عند جملة من القضايا التى عالجها الكندى وتقدم لنا المعالم الرئيسية لفكر الكندى وآرائه الفلسفية .

٥ـ قضية المعرفة :

يرى الكندى أن معارفنا تنقسم الى ثلاثة أقسام المعرفة الحسية وهى التى تدرك الجزئى أو الصورة المادية والمعرفة العقلية وهى التى تدرك الكلى ـ أى الصورة العقلية والمعرفة الالهية وهى التى يكون موضوعها الله أو الشريعة ويسميها ـ الربوبية .

وهو يرى أن للمعرفة مصدرين أساسيين المصدر الالهى والمصدر البشرى وتشغل مسألة العقل من أهمها ـ رسالته فى النفس ـ وهى رسالة الى المعتصم بالله فى الفلسفة الاولى والانسان لا يسمى عند الكندى عاقلا ـ الا اذا أدرك الكليات التى يتم ادراكها بالعقل وان كليات الاشياء تسمى عقلا ، ومن هنا جاءت تسميته الانسان أنه عاقل لانه يكتسب هذا العقل الخارجى (٢)

---

(١) رسائل الكندى الفلسفية ـ نشرة د . أبوريده ، ص ١١١

(٢) الكندى ـ فيلسوف العرب ، د . أحمد فؤاد الاهوانى ، ص ٢٥٧ .

والكندى يرى أن العقل الخارج عنا ، الذى هو كليات الاشيـــاء متكثر وليس واحدا لان الكليات نفسها كثيرة .

وعرف الكندى الفلسفة بأنها (علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقـــة الانسان) وشغلت مسألة العقل مكانا بارزا أكثر مما شغلته مسألة النفس والعقل والنفس ـ عنده مفهومان فلسفيان لا يقعان تحت الحس ولكن مقالتـــه فى العقل أثرت فى اللاحقين عليه من الفلاسفة العرب المسلمين وخاصـــة الفارابى وابن سينا وابن رشد .

فالعقل الفعال له فى فلسفة المعلم الثانى والشيخ الرئيسى وفيلسوف قرطبة أهمية كبرى لانه آخر العقول العشرة المتسلسلة عن الكواكب وهو الذى يتصل به الانسان فيدرك المعقولات ولكننا لانجد لدى الكندى تصورا محددا فيما يتعلق بنظرية اتصال الانسان بالعقل الفعال ولكن مما لاشك فيه أن الكندى يعتبر أول من عالج نظرية العقل هذه النظرية التى تعد من المعالم المميزة للفلسفة العربية الاسلامية (١) والكندى يرى أن الفلسفة التى تبحث العلة الاولى هى (الفلسفة الاولى) لكونها أشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة ـ وبناء على ذلك نستطيع أن نستنتج أن الكندى فى معالجته لنظرية المعرفة كان يؤكد على مقولة أساسية هى أنه ليس هناك حدود تقف عندها عقـــل الانسان فى طلب المعرفة فالكندى لا يحصر العلم الالهى بالأنبياء والرســـل بل يرى أن علم الانبياء والرسل هو أحد الطرق الموصلة الى المعرفة الالهية فالكندى من المؤمنين بقدرة العقل الانسانى وبأهميته فى الوصول الى المعرفة .

٦ـ الكندى والتوفيق بين الفلسفة والدين :

لم يكن الكندى أول من حاول هداية الخلفة بنور الفلسفة ، فقد سبقه

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ تأليف دى بور ترجمة وعلق عليه د. أبوريده ص١٨٥ .

المعتزلة حتى أصبحت آرائهم سياسة الدولة، تلك الآراء التى نشأت عنها محنة ابن حنبل حين رفض القول بخلق القرآن كان المعتزلة يقدمون العقل ويأخذون عن الفلاسفة بعض آرائهم وبخاصة الطبيعية منها - وكانت الخصومة فى ذلك العصر حادة بين الفقهاء والمتكلمين المعتزلة ودار صراع نظرى وسياسى من حول قضية (خلق القرآن) وأثارت هذه القضية صراعا حول الموقف من التراث الفلسفى ، فالمعتزلة وقفوا الى جانب أهمية الاستفادة من هذا التراث الفلسفى ، بينما وقف الفقهاء موقف العداء للفلسفة على أساس أن دخول الفلسفة الى الفكر العربى الاسلامى كان السبب الرئيسى فى نشوء فكرة (خلق القرآن) الهرطقية فى نظرهم ولم يكن أيسر من أن يرى الفقهاء المعتزلة بالكفر حتى يحل عليهم نقمة الخليفة وغضب الجمهور .

ونجد الكندى يقف مدافعا عن الفلسفة وينفى تهمة الكفر عن الفلسفة ويحاول أن يوضح أهمية التراث الفلسفى للفكر العربى الاسلامى فالفلسفة كما يرى الكندى هى بحث عن الحق لمعرفته واقتدائه والعمل به ، والدين طلب للحق والاهتداء به .

وحاول الكندى أن يكشف القناع عن وجوه أعداء الفلسفة وحرية التفكير والفضل يعود للكندى لطرحه مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة على أساس أن كلا منها هو طلب للحقيقة وان اختلفت الوسائل والطرائق حاول فى ظل الحضارة العربية الاسلامية التى عاشت ظلها ابان القرنين الثانى والثالث للهجرة فى ظل مرحلة الانتقال من اطار علم الكلام الاسلامى الى الفلسفة أن يقدم تصورا فلسفيا لهذه القضية ولقد شغلت مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة - بال كل الفلاسفة العرب المسلمين من الكندى الى الفارابى الى ابن سينا وابن طفيل وابن رشد ولكل منهم رأى فى هذه القضية .

ولكن يعد ابن رشد أشهر من كتب فى معالجة هذه القضية المركزية الفلسفية فكتب (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ولكن الكندى اعتبر أن هناك اتفاق بين الدين والفلسفة من جهة الموضوع - لان موضوع الفلسفة معرفة الله وحدانيته ومعرفة الفضائل النافعة لاتباعها والرزائل الضارة لاجتنابها وهذا هما موضوع الدين الذى يأمر بمعرفة الله وتوحيده كما أنه يأمر بالتقوى وهى فعل الحلال وتجنب الحرام والتحلى بمكارم الاخلاق - فكلاهما يطلب الحق والخير.

والفلسفة والدين كلاهما يسلك طريق البرهان ولكن الدين ينفرد الى جانب ذلك باتباع طريق السمع والخبر ، لان الدين حتى اذا فرضنا أنه لايسلك طريق العلة والبرهان وهما الطريق الفلسفى فمن واجبه اذا أنكر الفلسفة أن يبرهن على هذه الافكار، وعندئذ يسير فى طريق البرهان (١) .

ولقد اختلطت مباحث الفلاسفة بعلوم الفقه والكلام عند المتأخرين كما تنبأ الكندى ، والكندى فى موقفه هذا كان معبراً عن تلك المرحلة من مراحل تطور الفكر الفلسفى العربى الاسلامى حيث تداخلت عوامل استقلال الفلسفة مع عوامل ارتباطها لعلم الكلام المعتزلى ، ومحاولته لازالة التعارض بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية كانت بالاساس حصيلة ظروف عصره ومجتمعه باعتباره فيلسوف الحضارة العربية فى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى - فالفلسفة فى عصره كانت تضم سائر العلوم ومناحى المعرفة .

---

(١) الكندى فيلسوف العرب د . أحمد فؤاد الاهوانى ، ص٣١٣ .

٧— الكندى الموسوعى :

قدم الكندى كفيلسوف موسوعى مسهمات فكرية متعددة فوضع قواعد بعلم الموسيقى وصاحب أول مدرسة للموسيقى فى الاسلام وتطورت مدرسة الكندى على يد الفارابى الذى ألف كتاب (الموسيقى الكبير) حتى لقد قيل أنه المعلم الثانى لانه أول من وضع تلك التعاليم كما سبق أن أشار بالمعلم الاول لانه أول من وضع المنطق، وبلغت المدرسة ذروتها عند ابن سينا الذى فصل فى كتابه (جوامع علم الموسيقى) فصلا تاما بين بين الموسيقى كعلم وبينها كفن وصنعه وطبع للكندى (فى خبر صناعة التأليف) ، (كتاب المصوتات الوترية) (فى أجزاء خبرية عن الموسيقى) (فى تاليف النغم وصنعه العود) و (الرسالة الكبرى فى التأليف) .(١)

كما كتب الكندى فى مجال علم النفس رسالة (القول فى النفس المختصر من كتاب أرسطو وأفلاطون وسائر الفلاسفة) وغيرها وينحو فى معالجته لمسألة النفس نحو روحانيا ويتجه الى الزهد والاعتقاد ببقاء النفس بعد فناء البدن) وعالج الظواهر النفسية المختلفة كالرؤيا والأحلام ....الخ .

كما اهتم الكندى بالرياضيات — وجعلها مقدمة لطالب الفلسفة وضرورة لاغنى عنها لمن يرغب فى طلب الفلسفة وعالج مسائل علم الحساب والاعداد ...الخ . وله العديد من المؤلفات فى مجال الرياضيات ، ونظر الكندى فى مجال العلوم الطبيعية ضئيلا — وبحث فيها عرضا بمناسبة صلتها بعلم الفلك والذى يعتبره الكندى أحد العلوم الرياضية .

---

(١) المرجع السابق الاشارة اليه، ص٢٤١ .

٨- أثر الكندى:

من أشهر تلاميذ الكندى أبوشعر البلخى الفلكى المعروف، وأبوزيد البلخى وهو أديب صاحب نزعة فلسفية ، وأحمد بن الطيب الرخشى ويعد من الفلاسفة وآثاره مفقوده لليوم (١) ولم يخرج تلاميذ الكندى بوجه من الوجوه عن آرائه - والكندى لم يكن يدير أية مدرسة، وانما كان يعطى دروسا .

وأعجب الأوربيون بالكندى - فلقد عده (غليوم كورانو) الايطالى فى كتابه (اللطائف) واحد من الاثنى عشر عبقريا الذين جاد بهم الزمان منذ الخليقة حتى القرن السادس عشر وذهب (روجه بكون) الى أن الكندى فى الصف الاول مع بطليموس لاشتهاره فى البصريات (٢) ورغم تعدد المعارف والعلوم التى استوعبها الكندى الا أنه يعد بحق الممثل الفلسفى لمرحلة استقلال الفكر الفلسفى عن الفكر الكلامى ، ومهد الطريق لتطور أكثر عمقا وسعة فى مجال الفكر الفلسفى العربى على يد الفارابى وابن سينا فى المشرق وابن طفيل وابن رشد فى المغرب.

---

(١) تاريخ الفلسفة الاسلامية - هنرى كوربان - ص ٢٤١ .

(٢) دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها - عبده الشمالى - ص ٢٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

صور من التغليب

دكتورة : نجاة عبد العظيم الكوفى

تمهيد :

تميزت لغة العرب بأنها إيجاز ومجاز ، وقد عُرفت ظاهرة التغليب فى أبواب متفرقة من كتاب النحو العربى وبخاصة فى التثنية والجمع وهما من مظاهر الإيجاز .

وتفيد الأبحاث المقارنة [١] أن التثنية أو المثنى وجدت فى اللغات السامية واللغة اليونانية وفى السنسكريتية ، ولها آثار فى اللغات الجرمانية ، لكنها لم تبرز بجلاء ووضوح إلا فى العربية من اللغات السامية ، فالمثنى زال تقريبا من اللغة السريانية [٢] ، واقتصر فى النصوص البابلية على أعضاء الجسم المزدوجة ، وفى اللغة العبرية يستعمل فى أعضاء الجسم المزدوجة مثل (يدايم) لليدين ، وفى الأدوات التى تتألف من شقين مثل (رحايم) للرحى . ويتبين من الأمثلة أن علامة التثنية فى العبرية ياء وميم مفتوح قبلها [٣] أما العربية فقد اهتمت بالمثنى ، فشاع فيها الخطاب للمفرد بصيغة المثنى للتأكيد والتقرير ، من ذلك قول " امرئ القيس " [٤] :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ٠٠ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فالظاهر من قوله (قفا) أنه يخاطب رفيقين ويحتمل أنه أراد (قِفَنْ) بنون التوكيد الخفيفة فأبدل الألف من النون إجراء للوصل مجرى الوقف . ويجوز أنه خاطب رفيقا واحدا جريا على مألوف العرب أنها تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين ، ويبدو ذلك واضحا فى قول الشاعر :

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يا ابنَ عفَّانَ أَنْزَجِرْ ٠٠ وإِنْ تَدَعانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا

ومنه قول الحجاج : (يا حَرَسِيّ اضربا عنقه) ، وهو عند " ابن الحاجب " محمول على معنى تكرير الفعل تأكيدا وتقريرا ، وتأول على ذلك قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) [٥] قال : [وأما نحو قوله تعالى (ربّ ارجعون) على تأويل ارجِعْنِي ارْجِعْنِي ارجعنى ، وقول " الحجاج " : يا حرسى اضربا عنقه أى اضرب اضرب فليس الأول بجمع ، والثانى بتثنية ، إذ التثنية ضم مفرد إلى مثله فى اللفظ غيره فى المعنى ، والجمع ضم

---

(١) فقه اللغة المقارن ص ٧٥ (٢) المرجع السابق ص ٧٩
(٣) المرجع السابق (٤) شرح القصائد العشر ص ٤ (٥) المؤمنون ٩٩

مفرد إلى مثليه أو أكثر فى اللفظ غيره فى المعنى ، وارجعون واضربا بمعنى التكرير .... والتكرير ضم الشىء إلى مثله فى اللفظ مع كونه إياه فى المعنى للتأكيد والتقرير ، والغالب فيما يفيد التأكيد أن يُذكر بلفظين فصاعدا.لكنهم اختصروا فى بعض المواضع بإجرائه مجرى المثنى والمجموع[(١)]

ويفهم من النص أن العرب كانت تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين أو الجمع للدلالة على تكرار الحدث ، فقوله (قفا) فى معنى (قف قف) .

وجعل " الفراء " من ذلك قوله تعالى : (أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) .[(٢)]

قال : [العرب تأمر الواحد والقوم بما يُؤمر به الاثنان فيقولون للرجل : قُومَا عنّا ، وسمعت بعضهم : ويحك ارحلاها وازجراها ... ألا ترى الشعراء أكثر شىء قيلا : يا صاحبىّ يا خليلىّ ، فقال " امرؤ القيس " :

خَلِيلَىَّ مُرَّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ .. نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

ثم قال :

أَلَمْ تَرَانِى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا .. وَجَدتُ بِهَا طِيبًا وَإِن لَمْ تَطَيَّبِ

فقال : ألم تر ، فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان][(٣)]

ويؤكد اهتمام العرب بالتثنية ما سمع فى لغتهم من المصادر التى تَرِد مُثَنّاه مثل : حَنَانَيْك ، قال "طرفة بن العبد " :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا .. حنانيك بعضَ الشرِّ أهونُ من بَعْض

فثنى (حنانيك) لإرادة التكثير ، لأن التثنية أول مراتب التكثير ، قال "سيبويه" :

[وزعم " الخليل " رحمه الله أن معنى التثنية أنه أراد تحننا بعد تحنن][(٤)]

وهذا نظير قولهم : (اضربا) فى خطاب الواحد للدلالة على التكرير ، وإن اختلفت طرائق الأداء .

---

(١) كتاب الكافية فى النحو ١/ ١٥ (٢) ق ٢٤

(٣) معانى القرآن ٣/ ٧٨ ، ٧٩ (٤) الكتاب ١/ ٣٤٨

ونظير (حنانيك) ، (لبيك) بمعنى إجابة بعد إجابة ، كأنه قال : كلما أجبتك فى أمر فأنا فى الأمر الآخر مجيب ، وكأن هذه التثنية أشد توكيدا (١)

(وسَعْدَيك) بمعنى تقربا إليك ومتابعة لأوامرك .

(وحَذَاريك) ، أى ليكن منك حذر بعد حذر ،

و(هَذَاذَيْك) ، أى قطعا بعد قطع .

وهذه المصادر تكون ملازمة للياء لأنها تُنْصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره .

وربما كان اهتمام العرب بالمثنى راجعا إلى أنه داخل فى حيز الجمع فأرادوا تمييز معالمه خشية أن يَغْنَوا بالجمع عن المثنى كما حدث فى الضمير (نحن) . وكما تشهد نصوص العربية فى قمة بلاغتها حيث يأتى ضمير الجمع عائدا على المثنى نحو (وَدَاوُدَ وسُلَيْمَانَ إذ يَحْكُمَانِ فى الْحَرْثِ إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِم شَاهِدِينَ) (١) ، أو يأتى الجمع مرادا به المثنى نحو (إِنْ تَتُوبَا إلى اللَّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) (٢) فجاء لفظ القلوب مجموعا والمراد به المثنى ، موافقا لمنهج العرب ، إذا أرادوا أن يتحدثوا عن الجارحة المفردة من جوارح البدن فى شخصين قالوا : قلوبهما ورؤوسهما لأنهم كرهوا إضافة المثنى إلى المثنى خوفا من الزوائد .

والمثنى فى كتب النحو العربى يبدو جميعا وفروعه شتى ، فالمشهور التثنية القياسية ، حيث يكون المعطوف والمعطوف عليه متفقين فى اللفظ والمعنى ، ومنها التثنية الوضعية أو المعنوية وتشمل الألفاظ الملحقة بالمثنى ، ومنها التثنية اللفظية حيث يطلق اسم المثنى ويراد به الفرد الواحد مثل (البحرين) (وعمان) (وجمان) فى تسمية البلدان ، وقد يأتى الجمع على هيئة المثنى مثل (قِنْوَان) وربما كان مجىء المفرد والجمع على هيئة التثنية أن المثنى فى منزلة بين المنزلتين ، وقد تَجْمَع التثنية بين لفظين مختلفين من باب التغليب ، وقد يُكْنَى بالمثنى عن شيئين بجامع اشتراكهما فى الوصف أو المعنى .

التغليب إذن فرع من التثنية وهو ما يهدف البحث إلى تفصيل الحديث عنه دون ما

---

(١) الكتاب ١/٣٥٠ (٢) الأنبياء ٧٨ (٣) التحريم ٤

إغفال لبقية المسائل التى أُثيرت فى بحث المثنى ، وأهم النقاط التى يتناولها البحث هى :

- التغليب : مفهومه وشواهده .
- المثنى على التغليب فى لغة العرب .
- ما ورد على التغليب فى القرآن الكريم .
- مجىء المفرد على هيئة المثنى .
- الجمع على هيئة التثنية .
- المثنى المكنّى .

أولا :

التغليب : مفهومه وشواهده :

التثنية فى اللغة تكرير الشىء مرتين ومنه الثَّنىّ والثُّنيان ، وهو الذى يكون بعد السيد كأنه ثانيه — قال الشاعر :

تَرَى ثِنَانَا إذَا ما جَاءَ بدأَهُمُ ... وَمُدْهُمٌ إن أَتَانَا كَانَ ثُنْيَانَا

والثَّنىّ : الأمر يُعاد مرتين ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ثِنَى فى الصَّدَقَة) ، يعنى لا تؤخذ فى السنة مرتين .

والمثنى فى الاصلاح ما دل على اثنين وكان اختصارا للمتعاطفين بمعنى أن كلمة (جنّتان) مثلا فى قوله تعالى : (ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ ربِّه جَنَّتَانِ)[1] أغنت عن جنة وجنة ، ولا يجوز العطف فى غير ضرورة إلا قصدًا للتكثير نحو : أعطيتك ألفا وألفا ، أو لفصل ظاهر نحو : من المسطحات المائية البحر الأبيض والبحر الأحمر ، أو مُقَدّر كقول " الحجاج " (إنَّا لله محمد ومحمد فى يوم) يريد ابنه وأخاه .

والمثنى الحقيقى صالح للتجريد من الزيادة — وهى الألف والنون فى حالة الرفع والياء والنون فى حالتى النصب والجر — وعطف مثله عليه ، وبهذا الحد يُخرج للألفاظ الموضوعة للاثنين كشَفْع وزَوْج ، وملحقات المثنى وهى : اثنان واثنتان مطلقا ، وكلا وكلتا مضافين إلى مضمر .

---

(١) الرحمن ٤٦

معنى هذا أن المثنى الحقيقى يجمع بين طرفين هما المعطوف والمعطوف عليه ، والتغليب هو ترجيح أحد طرفى المُغَالبة على الآخر ، أو إعطاء الشئ حكم غيره إجراء للمختلفين مجرى المتفقين . قال " ابن فارس " : [الغين واللام والباء أصل صحيح يدل على قوة وقهر وشدة ... وكانت تَغْلِبُ تُسَمَّى " الغَلْبَاء " ، قال :

وَأَورثَنِي بَنُو الغَلْبَاءِ مَجْدًا ... حَدِيثًا بعدَ مَجْدِهِمُ القديم

والمُغَلَّب من الشعراء ، المغلوب مرارا ، والمغلِّب أيضا الذى غلب على خصمه].[1]

ولما كانت الغلبة دائما للأقوى جنح العرب إلى التغليب فى مواضع كثيرة منها :

تغليب المذكر على المؤنث :

مثال ذلك قولهم فى باب العدد : [هذا حادى أحَدَ عَشَرَ ، إذا كُنَّ نِسْوة معهن رجل ، لأن المذكر يغلب المؤنث ، ومثل ذلك قولهم : خامس خمسة إذا كن أربع نسوة فيهن رجل ، كأنك قلت : هو تمام خمسة].[2]

ويُغَلَّب المذكر أيضا فى تمييز العدد المميز بشيئين فى التركيب إذا كان المعدود من يعقل ، قال " الأشمونى " : [حكم العدد المميز بشيئين فى التركيب لمذكرهما مطلقا إن وجد العقل نحو : عندى خمسةَ عَشَرَ عبدا وجارية ، وخمسة عشر جارية وعبدا ، وإن فقد فللسابق بشرط الاتصال نحو : عندى خمسة عشر جملا وناقة وخمس عشرة ناقة وجملا وللمؤنث إن فصلا نحو : عندى ست عشرة ما بين ناقة وجمل أو ما بين جمل وناقة].[3]

تغليب الحاضر على الغائب :

من ذلك قوله تعالى : (اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُم)[4] ، فأعيد الضمير بلفظ الخطاب ، وإن كان قوله تعالى : (ومن تبعك) يقتضى الغيبة ، تغليبا للمخاطب .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨٨ (٢) الكتاب ٣ / ٥٦١
(٣) شرح الأشمونى ٤ / ٧١ (٤) الإسراء ٦٣

ونظيره قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ونصفَهُ وثُلثَهُ وطائفةٌ من الَّذين معك واللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عليكُم فاقْـرأُوا ما تيسَّـر من القرآن ...) [1] فجاء الضمير بلفظ الخطاب (فاقـرأوا) ، وإن كان قولـه تعالى : (وطائفة من الذين معك) يقتضي الغيبة تغليبا للمخاطب .

تغليب الكثرة على القلـة :

قال تعالى في الخبر عن قوم سيدنا " صالح " : (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِـم رَبُّهُم بِذَنبِهِم فَسَوَّاهَا) [2] ، فأسند عقر الناقة إلى الجماعة ، وإن كان الفاعل واحدا وهـو " قدار بن سالف " تغليبا للكثرة ، ولكونهم راضين عن فعلته .

ويجوز أن يكون إسناد الفعل حقيقيا وليس من باب المجاز ، وأن يكون الحدث قـد صدر من جماعة ، وانما أفرد (أشقاها) لأن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة جـاز إفراده وإن عُنِي به جمع [3] ، فإن كان المراد جماعة فلا تغليب .

ومثل ذلك قوله تعالى : (فَنَادَتْهُ الملائكةُ وهو قائِمٌ يُصَلِّي في المِحْراب) [4] ، فجاء الفعل مسندا إلى الملائكة تغليبا للكثرة ، وإنما صدر النداء عن " جبريل " من الملائكـة ، ودليل ذلك قراءة " حمزة " و" الكسائي " [5] : (فناداه الملائكة) .

تغليب العاقل على غير العاقل :

ويشهد لذلك قوله تعالى : (واللَّهُ خلق كُلَّ دابَّةٍ من مَّاءٍ فمنهُم مَن يَمْشِي على بَطْنِهِ ومنهُم مَن يَمْشِي على رِجْلَيْنِ ومنهُم مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) [6] فالمراد بالدابة عموم مـن يعقل وما لا يعقل ، وقال تعالى عند التفريع (فمنهم) تغليبا للعاقل .

وقال تعالى حكاية عن السماء والأرض : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَـالَ لها وللأرضِ ائْتِيَـا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالتا أَتينا طائِعِيـنَ) [7]

---

(١) المزمـل ٢٠ (٢) الشـمس ١٤ (٣) البحر المحيط ٤٨١/٨
(٤) آل عمران ٣٩ (٥) حجة القراءات ١٦٢ (٦) النور ٤٥ (٧) فصلت ١١

قال " الزركشي " : [إنما جمعهما جمع السلامة ولم يقل طائعين ولا طائعات ، لأنه أراد ائتيا بمن فيكن من الخلائق طائعين ، فخرجت الحال على لفظ الجمع ، وغلب من يعقل من الذكور] (١).

ويُغلّب العاقل مراعاة لحكم الوصف كما في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف : (يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (٢) ، قال : " أبو حيان " : [جمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل] (٣)

تغليب المؤنث على المذكر :

تغليب المؤنث على المذكر قليل ولا يكون إلا في غير العاقل ، ويغلب المؤنث رغبة للتخفيف في قولهم : ضَبُعان — بفتح فضم — في تثنية ضبع للمؤنث وضِبْعان بكسر فسكون للمذكر ، ولم يثنوا المذكر فرارا من الزوائد .

ويغلب المؤنث في نحو قولهم : كتبته لثلاث بين يوم وليلة ، وضابطه أن يكون العدد مميزا بمذكر ومؤنث كلاهما مما لا يعقل وفُصِلا من العدد ببين (٤).

وقد جاء تغليب المؤنث في قوله تعالى : (والَّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) (٥) والمراد عشرة أيام بلياليها ، لكن أنث العدد تغليبا لليالي لسبقها .

تغليب الاسم على الفعل :

اختلفت أقوال النحاة في (حَبَّذَا) و (لا حَبَّذا) التي تجرى مجرى نعم وبئس في إنشاء المدح والذم .

فالمشهور فيهما أن (حب) فعل ماض ، و (ذا) في موضع رفع فاعل ، ولا يكون

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٢ ، ٣٠٦ (٢) يوسف ٤
(٣) البحر المحيط ٢٨٠/٥ (٤) الصبان ٧٥/١ (٥) البقرة ٢٣٤

إلا مفردا مذكرا[1] بينما يأتي المخصص بالمدح أو الذم بعده مفردا ومثنى ومجموعا،مذكرا ومؤنثا نحو : (حبذا المرأة) (حبذا ركعتا الفجر) (حبذا المقيمون الصلاة) (حبذا الصدقات في سبيل الله) .

ومن النحاة من ذهب إلى أن(حبذا) مركبة ، وهؤلاء اختلفوا على رأيين :

فمذهب "الخليل" و "سيبويه" و "المبرد" وغيرهم أن (حبذا) صارت بعد التركيب اسما في موضع رفع على الابتداء ، وما بعده خبر ، قال "سيبويه" : [وزعم الخليل رحمه الله أن حبذا بمنزلة حسب الشيء ، ولكن هذا وحبّ بمنزلة كلمة واحدة نحو لولا ، وهو اسم مرفوع ... ألا ترى أنك تقول للمؤنث حبذا ولا تقول حبّذي،لأنه صار مع (حسب) على ما ذكرت لك ، وصار المذكر هو اللازم لأنه كالمثل][2].

ومعنى هذا أن (حبذا) عندما صارت في الحكم كلمة واحدة،عند القائلين بأنها مركبة ،غلّب بعضهم جانب الاسمية لشرف الاسم فصار الجميع اسما[3] ، وعلّل "ابن يعيش" لذلك بقوله : [غلب جانب الاسم لقوته وضعف الفعل ، واستدلوا على اسميته بكثرة ندائه نحو قولهم : يا حَبَّذَا ، قال الشاعر :

يا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّان مِن جَبَلٍ ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّان مَنْ كَانَا][4]

ومنهم من غلب جانب الفعل لتقدمه ، وجعل (حبذا) بعد التركيب فعلا ، والمرفوع بعدها هو الفاعل .

ورد الصبان[5] على هذا الرأي بأنه يلزم عليه تغليب أضعف الجزأين ، وبأن تركيب فعل من اسم وفعل لا نظير له .

واستدلوا على غلبة الفعل بقولهم : لا يُحَبَّذه بما لا ينفعه . ورجع ابن يعيش" تغليب الاسم على الفعل قال : [والأول أمثل ، وقولهم : لا يحبذه فأنهم اشتقوا فعلا من لفظ الجملة كقولهم : حَمْدَل في حكاية (الحمد لله) .

---

(١) شرح المفصل ٧/ ١٤١ (٢) الكتاب ٢/ ١٨٠ (٣) همع الهوامع ٢/ ٨٨
(٤) شرح المفصل ٧/ ١٤٠ (٥) حاشية الصبان ٣/ ٤٠

فهذان وجهان عربيان ... ومنهم من لا يُغلّب أحدهما على الآخر ويجريهما على ظاهرهما وهو المذهب المشهور](١)

ثانيا ـ المثنى على التغليب في لغة العرب :

المثنى على التغليب يعرب كما يعرب المثنى الحقيقي وإن خالفه في بعض أحكامه، يقول "سيبويه" [اعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان ، الأولى منهما حرف المد واللين ، وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ، يكون في الرفع ألفا ... ويكون في الجر ياء مفتوحا ما قبلها ... ويكون في النصب كذلك ...

وتكون الزيادة الثانية نونا لأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين وهي النون وحركتها الكسر](٢).

و "بنو أسد" يفتحون نون المثنى ، قال "ابن خالويه" في حديثه عن التثنية : [ومنها تثنية جاءت نونها مفتوحة ، مررت بالزيدينَ ، أنشد "الفرّاء":

عَلَى أحوذيينَ استَقَلَّتْ عَشِيَّةً ... وما هِيَ إلاّ لمحةٌ وتَغِيبُ](٣)

ومن العرب من يلزم المثنى الألف في الرفع والنصب والجر ، يقولون : (جلست بين يداه) ، قال الشاعر :

إنَّ أباهَا وأبَا أباهَا ... قَدْ بَلَغَا في المَجْدِ غايَتاهَا

---

(١) شرح المفصل ١٤١/٧ (٢) الكتاب ١٧/١، ١٨
(٣) ليس في كلام العرب ٣٣٤ ، ٣٣٥

والمختار عند "أبي حيان" في تخريج قراءة: (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[١]، أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائما[٢].

ويؤكد الدكتور "إبراهيم السامرائي" أن سائر اللغات السامية - ما عدا العربية - لم تخصص الألف والنون، أو الياء والنون بحالة إعرابية خاصة كما هو الحال في العربية[٣].

ويرجح أن يكون إلزام المثنى للألف أسلوبا في الكلام لا علاقة له بحال من أحوال الإعراب[٤]، وهو يمثل لغة قسم كبير من العرب، وأن تكون الياء والنون علامة في التثنية، لغة أيضا تمثل قبائل معينة، وجهات معينة، وليس ببعيد عنده أن يكون إلزام المثنى للألف هو الأصل، وأن تكون الياء في التثنية مسألة من مسائل الإمالة، والإمالة من صفات اللهجات المحلية قديما وحديثا[٥]، من ذلك قولهم: (عيشة) في (عائشة)، ولعل هذا يفسر إلزام المثنى للياء في اللهجة المصرية الحديثة.

ويفسر الدكتور السامرائي "مجيء المثنى بالألف والياء في الصحيح بقوله: [نستطيع أن نقرر أن المثنى بالياء لغة جماعة من الناس ... ثم لما أن درجت العربية في طريقها التطوري وآن لها أن تنسجم في لغة القرآن والحديث اختص الاستعمال المثنى بالألف لحال الرفع، والمثنى بالياء لحال النصب والجر][٦].

والتثنية وإن كانت قياسية فليس يلزم أن يكون المفرد قابلا للتثنية، رُوِيَ عن "ثعلب" و "المبرد" أن الواحد ليس له تثنية، ولا للاثنين واحد من جنسه[٧]. وقيل (اليَمّ) لا يثنى ولا يكسّر ولا يجمع جمع السلامة[٨].

---

(١) طه ٦٢ (٢) البحر المحيط ٦/٢٥٥ (٣) فقه اللغة المقارن ٨٤
(٤) المرجع السابق ٨٦ (٥) فقه اللغة المقارن ٨٧ (٦) فقه اللغة المقارن ٨٩
(٧) المزهر في علوم اللغة ٢/١٣١ (٨) لسان العرب مادة (يمم)

ويشترط فى المفرد المراد تثنيته أن يكون مفردا ، قيل : [فلا يثنى المركب تركيبا إسناديا باتفاق ، ولا مزجيا على الأصح ... وأما العلم الإضافى فإنما يثنى جزؤه الأول على الصحيح](١)

- أن يكون نكرة ، فلا يثنى العلم باقيا على علميته ، بل ينكر ثم يثنى ، ولهذا لا تثنى كنايات الأعلام كفلان وفلانة لأنها لا تقبل التنكير ، قال "سيبويه" : [وأما قولهم : أعطيكم سنة العُمَرين فإنما أدخلت الألف واللام على (عمرين) وهما نكرة ، فصارا معرفة بالألف واللام ، كما صار (الصعق) معرفة بهما .. فكأنهما جعلا من أمة كل واحد منهما (عمر) ، ثم عُرِّفا بالألف واللام فصارا بمنزلة القَرْيَتَيْن المشهورين بالكوفة](٢)

- أن يكون مُعْرَبا ، أما (اللذان) و (اللتان) فليسا بمثنيين ، وإنما استعملا على هيئة المثنى ، وكذا مؤنثهما ، لأنهما لا يقبلان التنكير ، وأن ذا وتا والذى والتى إذا ثنيت حذفت منها الياء والألف فخالفت ما سواها من الأسماء المتمكنة .

- ألا يستغنى عن تثنيته بتثنية غيره ، فلا يثنى (سواء) لأنهم استغنوا عن تثنيته بتثنية (يَسِيّ) ، فقالوا (يَسِيّان) ، ولا يثنى (بعض) ، استغناء عن تثنيته بتثنية (جزء) ولا يثنى (أجمع) و (جمعاء) لأنهم استغنوا بـ (كِلا) و (كلتا) وهى من ملحقات المثنى .

- وشرط المتعاطفين أن يتفقا فى اللفظ والوزن والمعنى ، فلا يقال : جبلان فى تثنية سهل وجبل لعدم الاتفاق فى اللفظ ، ولا الجَبَلان - بكسر وسكون - فى حَمَل وجَمَل

---

(١) حاشية الصبان ١/٧٦

(٢) الكتاب ٢/١٠٤ ، وقيل : القَرْيَتان بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمى جذيمة الأبرش وسميا القريين لأن النعمان كان يُغَرِّيهما بدم من يقتله فى يوم بؤسه ، وقد أسهب ياقوت فى قصة بناء القريين وهما بظاهر الكوفة قرب قبر "علىّ" رضى الله عنه - معجم البلدان ٤/١٩٦ .

لعدم الاتفاق في الوزن ولا العينان في الباصرة والجارية لعدم الاتفاق في المعنى.
أما قوله تعالى : (وما يستوي البحران)[1] في تثنية البحر والنهر فمن قبيل التغليب .

والمراد بالتغليب في باب التثنية ترجيح لفظ أحد المتعاطفين على الآخر إجراء للمختلفين مجرى المتفقين لتناسب بينهما أو اختلاط ،كتغليب المذكر على المؤنث في الأبوين والوالدين والقمرين ، وتغليب المؤنث على المذكر إيثارا للخفة مثل : المروتين في تثنية الصفا والمروة .

والتثنية الحقيقية قياسية ، أما التغليب فبابه السماع ، قيل : [والخير أن يكون التغليب قياسا عند وجود قرينة تدل على المراد بغير لبس][2].

وقد سمعت تثنية الأعلام وصفاتهم على التغليب في قولهم :

العُمَران : في تثنية أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما - حيث غلب الأخف على الأثقل، لأن لفظ " عمر " مفرد ، ولفظ أبي بكر " مركب"[3].

وتختلف كتب اللغة في المراد بالعمرين .
فقيل : هما " عمر بن الخطاب " و " عمر بن عبد العزيز " ، وعليه فلا تغليب،ورد على ذلك بأنهم نطقوا بالعمرين قبل أن يعرفوا " عمر بن عبد العزيز " فقالوا " يوم الجمل " " لعلي ابن أبي طالب " : (سُنَّةَ العُمَرين)[4].

وقد يُراد بالعمرين في غير هذا المقام " عمر بن الخطاب " وعمرو بن هشام " لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك) .

وقد جاء اللفظ مُرادا به غير ما تقدم في قول الشاعر[5]:

إذا اجْتَمَعَ العُمَرَانِ عَمْرُو بنُ جَابِرٍ ٭٭ وَعَمْرُو بن عَمْرٍو خِلْتَ ثُبْيَانَ تبعَا

---

(١) فاطر ١٢ (٢) النحو الوافي ١/١١٨ هامش ٦
(٣)(٤) البرهان في علوم القرآن ٣/٣١٣
(٥) المزهر في علوم اللغة ٢/١٢١ باب ذكر المثنى على التغليب .

والمُصْعَبَان[1] "مصعب بن الزبير" وابنه عيسى أو أخوه عبدالله .

والخُبَيْبان[2] أبو خُبَيب عبدالله بن الزبير وابنه أو أخوه مصعب .

والقارظان[3] رجلان من عنزة خرجا فى التماس القرظ فلم يرجعا .

ومن أسماء غير الناس :

الأذانان : الأذان والإقامة ، والعشاءان : المغرب والعشاء ، ورَجَبان : رجب وشعبان ، قال "ابن فارس" : [الراء والجيم والباء أصل يدل على دعم شئ بشئ وتقويته ، من ذلك التَّرجيب ، وهو أن تُدْعم الشجرة إذا كثر حملها ، لئلا تنكسر أغصانها ...

ومن هذا الباب : رَجَّبْتُ الشئ ، أى عظَّمته ... ومن الباب رَجَب ، لأنهم كانوا يعظمونه ، وقد عظمته الشريعة أيضا ، فإذا ضمُّوا إليه شعبان قالوا رجبان][4].

والقمران : الشمس والقمر ، ويُروى عن "المفضل" فى تفسير هذه التثنية حكاية طريفة مضمونها أن "الرشيد" أرسل فى طلبه وعنده "الكسائى" ليسأله عن قول الله تعالى : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) ، فلما أحسن الجواب التفت إليه "الرشيد" وقال : يا "مفضل" عندك مسألة تسأل عنها ؟ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قول "الفرزدق" :

أخَذْنا بآفاق السماء عليكُمُ ... لنا قمراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ

فكان الجواب عليه : لنا قمراها يعنى الشمس والقمر ، كما قالوا : (سنة العمرين) يريدون "أبا بكر" و "عمر" ، قال "المفضل" : فلِمَ استحسنوا هذا ؟ قيل : لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد ، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلَّبوه فسموا الآخر باسمه ، فلما كانت أيام "عمر" أكثر من أيام "أبى بكر" رضى الله عنهما ، وفتوحه أكثر غلَّبوه وسموا "أبا بكر" باسمه .

قال "المفضل" : قد بقيت مسألة أخرى ، فالتفت إليه "الكسائى" وقال : أفِى هذا غير ما قلت ؟

---

(١) القاموس المحيط (فصل الصاد باب الباء)

(٢) " " " " " " (فصل الخاء باب الباء)

(٣) المزهر فى علوم اللغة ١٢٤/٢

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٩٥/٢ باب الراء والجيم وما يثلثهما .

فأجاب ، بقيت الفائدة التي أجراها الشاعر المفتخر في شعره ، فقد أراد بالشمس " ابراهيم " صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن ، والقمر " محمدا " صلى الله عليه وسلم ، والنجوم الخلفاء الراشدين[1].

ثالثا ـ ما ورد على التغليب في القرآن الكريم :

التغليب ورد في القرآن الكريم في عدة ألفاظ أذكر منها :

ـ (المَشْرِقين) في تثنية المشرق والمغرب ، واللفظ ورد في القرآن الكريم في موضعين قال تعالى :

(يا لَيْتَ بَيْنِي وبَيْنَك بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ)[2] ، (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ)[3].

ذكر الفرّاء[4] أن المراد بالمشرقين في سورة الرحمن مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، وكذلك المغربان فلا تغليب ، ويرجح هذا اقتران اللفظين ، وقال في الآية الأولى : [يريد ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، ويقال : إنه أراد المشرق والمغرب : فقال المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، فيقال : قد جاءك الزهدمان[5] ، وإنما أحدهما زهدم ، قال الشاعر :

أخَذْنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر][6].

ويستفاد من كلام الفراء أن (المشرقين) حيث أفرد فتثنيته تغليب ، وإذا اقترن بالمغربين فتثنيته حقيقية .

ـ وتثنية الأبوين للأب والأم غالبا ، والوالدين للوالد والوالدة تغليب ، والفرق بينهما أن الوالد لا يطلق إلا على من وُلِد له الولد من غير واسطة فلا يراد به الجد أو العم بَعُدَ أو قَرُبَ ، وكذا الوالدة ، وأما الأب فقد يطلق على الجد كما تطلق الأم مجازا على الجدة أو الخالة .

---

(١) المزهر في علوم اللغة ٢/١٢٥ (٢) الزخرف ٣٨ (٣) الرحمن ١٧
(٤) معاني القرآن ٣/١١٥
(٥) الزهدمان : أخوان من بني عبس هما زهدم وقيس (٦) معاني القرآن ٣/٣٣

ولفظ الوالدين ورد فى القرآن الكريم فى عشرة مواضع ، منها خمسة فى سورة النساء، وثلاثة فى سورة البقرة [١] والتاسع والعاشر فى سورتى الأنعام [٢] والإسراء ، قال تعالى :

- (وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا) [٣]
- (للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون ...) [٤]

ويتضح من الآيات أن لفظ الوالدين ورد فى أحكام المواريث وفى الإيصاء بالإحسان إليهما .

وجاء لفظ الأبوين فى سبعة مواضع ، مرادا به الوالدان فى قوله تعالى : (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولدٌ ، فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث) [٥]

- (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) [٦]

وجاء اللفظ مرادا به الأب والخالة فى قوله تعالى :

- (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) [٧]
- (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) [٨]

وقيل : المراد بالأبوين فى الآيتين أبوه وجدته أم أمه [٩]

وأريد باللفظ آدم وحواء فى قوله تعالى : (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) [١٠]

وجاء اللفظ مرة واحدة فى تثنية لفظ (أب) مرادا به الجد ، قال تعالى :
(ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق) [١١]

---

(١) الآيات ٨٣، ١٨٠ ، ٢١٥ (٢) الأنعام ١٥١ (٣) الإسراء ٢٣
(٤) النساء ٧ وتكرر اللفظ فى الآيات ٣٣ ، ٣٦، ١٢٥ (٥) النساء ١١
(٦) الكهف ٨ (٧) يوسف ٩٩ (٨) يوسف ١٠٠
(٩) البحر المحيط ٢٤٧/٥ (١٠) الأعراف ٢٧ (١١) يوسف ١٦

وقولهم : (البحران) فى تثنية بحر ونهر تغليب ، وقد ورد اللفظ فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع ، قال تعالى :

- (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج)(١)
- (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج)(٢)

فقوله تعالى : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج قرينة لفظية دالة على أن التثنية فى الآيتين من باب التغليب .

وقال " الزجاج " : [فهما مختلطان فى مرائى العين منفصلان بقدرة الله ، وسواد البصرة ينحدر الماء العذب منه فى دجلة نحو البحر ، ويأتى المد من البحر فيلتقيان من غير اختلاط فماء البحر إلى الخضرة الشديدة ، وماء دجلة إلى الحُمْرة ، ونيل مصر فى فيضه يشق البحر المالح شقا بحيث يسقى نهرا جاريا أحمر فى وسط المالح](٣)

وقد تكون تثنية (البحرين) فى المواضع الباقية حقيقية ، قال تعالى :

- (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا)(٤)
- (وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا)(٥)
- (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)(٦)

فهذه الآيات قد خلت من القرينة المرجحة للتغليب وهى الإشارة إلى المتعاطفين بهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، والملح الأجاج هو ما كان مع ملوحته مرا.(٧)

ويرجح كون التثنية حقيقية قوله تعالى فى سورة الرحمن (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، والمرجان إنما يخرج من الملح دون العذب فيكون الإخبار فى الآية الكريمة عن بحرين مالحين .

وقد اختلفت أقوال المفسرين فى المراد بالبحرين فى هذه الآيات فعند " الفراء " أن المراد بمجمع البحرين فى آية الكهف بحر فارس والروم (٨) وعند " أبى حيان " أن المراد بالبحرين فى آيتى النمل والرحمن العذب والملح.(٩)

---

(١) فاطر ١٢ (٢) الفرقان ٥٣ (٣) البحر المحيط ٦/٦ ٥٥٠ ، ٥٠٧
(٤) الكهف ٦٠ (٥) النمل ٦١ (٦) الرحمن ١٩ ، ٢٠
(٧) فقه اللغة وأسرار العربية ٤٣٠ (٨) معانى القرآن ٢/١٥٤ (٩) البحر المحيط ٨٩/٧

وتحت عنوان (من آيات الاعجاز الالهي) : نشرت اللواء الاسلامي [1] عن قوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) . ويفيد جوهر الحديث أن الله سبحانه وتعالى قد سخر أعداء الدين للكشف عن آيات الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم ، حيث اضطلع مجموعة من علماء البحار الأمريكيين بالبحث في البحار المالحة عن الحد الفاصل بين البحرين اللذين يلتقيان في مكان واحد وجاءت إحدى سفن الأبحاث البحرية إلى باب المندب واكتشف علماء السفينة وجود حد فاصل بين مياه البحر الأحمر والبحر العربي (خليج عدن) ، وتأكد لديهم أن هذه المياه وإن بدت متجانسة إلا أنها تختلف في الكثافة والملوحة والأحياء المائية ، مما جعل البحار تحافظ على خصائصها رغم الأمواج والرياح وقوة المد والجزر .

وخلاصة القول أن التغليب في تثنية (البحرين) في القرآن الكريم إنما يكون في مواضع أمن اللبس — والله أعلم .

رابعا : مجيء المفرد على هيئة المثنى :

جرى الاستعمال قديما وحديثا على تسميه فرد أو بلد باسم لفظهُ مثنى ومعناه مفرد ويكون ملازما للألف أو الياء فمن أسماء البلدان :

(عمّان) ، بفتح العين وتشديد الميم ، قيل : هي مدينة قديمة بالشام من أرض البلقان [2] .

قال " ياقوت " : [يجوز أن يكون فَعْلان من عَمّ يَعُمّ فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة ويجوز أن يكون فَعّالا من عَيِنَ فينصرف في الحالتين إذا عنى به البلد] [3] .

وعُمّان بالضم والتخفيف موضع عند البحرين ، واشتقاقها ، من العَمِينة وهي أرض سهلة يمانية [4] ، يقال : عَمِن يعمَن من باب (فرح وضرب) بمعنى أقام ، وهو ينصرف نكرة مرادا به المكان ، ولا ينصرف معرفة مرادا به البلدة .

---

(١) العدد ٢١٩ الخميس ٢٣ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ٣ من أبريل ١٩٨٦
(٢) لسان العرب مادة (عمن) (٣) معجم البلدان ١٥١/٤
(٤) لسان العرب مادة (عمن)

(العلمين) و (البحرين) ، وقد شاع استعماله ملازما للياء معربا بالحركات الظاهرة فيقال : هذه البحرينُ وانتهينا إلى البحرينِ ، قال " ياقوت " : [البحرين هكذا يتلفظ به في حال الرفع والنصب والجر ، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن " الزمخشري " قد حكى أنه بلفظ التثنية ، فيقولون : هذه البحرانِ وانتهينا إلى البحرينِ] (١).

ومن أسماء الأشخاص :

نُعْمان وحسنين ، مما سمع ملازما للألف أو الياء ، ويرى الأستاذ " عباس حسن " (٢) ، أن المفرد من الناس يسمى بلفظ المثنى بقصد بلاغي كالمدح أو الذم أو التلميح مثل حَمْدان تثنية حمد ، وبَدْران تثنية بدر ، ومروان ، تثنية مرو ، وهي الحجارة البيض الصلبة ، وشعبان تثنية شَعْب وجَبْران تثنية جبر ، ومثل : محمدين وحسنين .

خامسا : الجمع على هيئة المثنى :

قال ابن خالويه : [ليس في كلام العرب : تثنية تشبه الجمع إلا ثلاثة أسماء وإنما يفرق بينهما بكسرة وضمة ، وهن الصِّنْوُ ، والقِنْوُ ، والرِّئْدُ — المثل . والتثنية : صنوان وقنوان ورئدان وهذا نادر مليح] (٣).

والمراد في هذا المقام جمع التكسير ، وهو ما دل على أكثر من اثنين بتغيير صورة المفرد إما بالشكل وإما بالزيادة أو النقص ، وقد يجتمع في اللفظ اكثر من تغيير مثل : رسل في جمع رسول ، وأعلام في جمع علم .

وقد يأتي الجمع على هيئة المفرد كفُلْك بضم وسكون للمفرد ، قال تعالى : خطابا لنوح عليه السلام :

— (فإذا استويتَ أنتَ ومن معكَ على الفُلْكِ فقُلِ الحمدُ لله) (٤)

— (وترى الفُلْكَ فيه مواخِرَ لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٥)

---

(١) معجم البلدان ١ / البحرين (٢) النحو الوافي ١ / ١٢٦

(٣) ليس لابن خالويه ١٥٩ (٤) المؤمنون ٢٨ (٥) فاطر ١٢

وقد يأتى الجمع على هيئة المثنى مثل (صِنْوان) جمع صنو بكسر فسكون فيهما ، قال تعالى : (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ وجنّاتٌ من أعناب وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ يُسْقَى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ).[1]

والصِّنْو : المثل ، والفرع يجمعه وآخر أصل واحد ، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد ، وقد يقال لسائر الشجر إذا تشابه : شجر صنوان أى من أصل واحد ، ومنه قيل للعمّ صِنْو ، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (عمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه) ، وقال الشاعر [2]:

أتتركني وأنت أخي وصِنْوي ... فيا للناس للأمرِ العَجيبِ

والمشهور في المفرد كسر الصاد ، وحكى الزجاجي فيه صُنْو بالضم [3] ، وصَنْو بالفتح العمود الخصيص بين الجبلين أو الماء القليل بينهما والجمع صُنُوّ على وزن (فُعُول) ، وربما كان منه قول الأخيلية :

أَنَا بِغَ لَمْ تَنْبِغْ ولَمْ تَكُ أوّلا ... وكُنْتُ صُنِيّاً بين صُدَّيْنِ مُجْهَلا

والصُنِيّ : تصغير صنو وهو مسيل الماء بين جبلين ، ومنه يقال : ركيتان صنوان بمعنى متجاورتان أو تنبعان من عين واحدة .

وكسر الصاد في الجمع (صِنْوان) هو لغة الحجاز ، وقيس وتميم تضم الصاد مثل ذئب وذئبان ، ويقال فيه صَنْوان بالفتح وهو اسم جمع لا جمع تكسير لأنه ليس من أبنيته .[4]

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص (وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) بالرفع في الجميع على مراعاة القطع ، وقرأ باقي السبعة [5] بخفض الأربعة على مراعاة (من أعناب) ، فمن رفع جعل الجنة من الأعناب ، ومن خفض فالجنات من مجموع ذلك .

---

(١) الرعد ٤ (٢) أساس البلاغة مادة (صنو)
(٣) لسان العرب مادة (صنو) (٤) البحر المحيط ٥/٣٦٢
(٥) البحر المحيط ٥/٣٦٢

وقال الفراء : [صنوان وغير صنوان) الرفع فيه سهل لأنه تفسير لحال النخل والقراءة بالخفض ولو كان رفعا كان صوابا].(١)

وقرأ الجمهور (صِنوان) بكسر الصاد ، وزيد بن على بضمها(٢) والحسن وقتاده بفتحها.

ولا يكون الجمع ملتبسا بالمثنى إلا إذا تجانست حركة الصاد (فاء الكلمة) فى المفرد والجمع ، لأن تثنية (صِنْو) بكسر الصاد (صِنْوان) ، وقد أمن العرب هذا اللبس عن طريق الإعراب ، فالمثنى المرفوع يقال فيه صِنْوانِ بكسر النون فى الفصحى، وفى لغة من يلزمونه الألف وأما النون فى الجمع فتظهر عليها علامات الإعراب الأصلية ، وقد قرىء اللفظ فى الآية بالرفع والجر ولم تتغير الألف لأنها حادثة فى صيغة الجمع وليست علامة للإعراب، بخلاف ألف المثنى فإنها تقلب فى النصب والجر ياء ، إلا فى لغة بلحارث بن كعب. كذلك قيل إن الكسرة فى صِنْو غير الكسرة فى (صِنوانٍ) لأنها فى المفرد وضعية وفى الجمع حادثة للجمع (٣)، أما الكسرة فى المثنى فهى كسرة المفرد وليست حادثة .

ونظير (صِنوان) فى القرآن الكريم لفظ (قنوان) قال تعالى : (ومِن النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وجَنَّاتٍ من أَعْنابٍ).(٤)

والقِنْو بكسر وسكون : العِذْق ، وقيل : العذق بما فيه من الرطب ، والقِنَا مقصور مثل القِنْو ، والقَنَا بالفتح لغة فيه، والجمع من كل ذلك أقناء للقلة، وقِنْوان وقِنْيان للكثرة ، قلبت الواو ياء لقرب الكسرة ولم يعتد الساكن حاجزا (٥) ، ومنه قيل : قَنَا المالَ يَقْنُوه قُنْيانا وقِنْيانا وقنوان . وقد ورد بالياء فى قول الخنساء (٦) :

لَوْ كان للدَّهْرِ مالٌ كان مُتْلِدَهُ ... لَكَانَ للدَّهْرِ صخرٌ مالَ قُنْيان

وذكر الفراء أن أهل الحجاز يقولون : قِنوان بكسر القاف ، وقيس (قُنوان) بالضم وتميم قنيان ، ويجتمعون فيقولون قِنْو وقُنْو بالواو ولا يقولون قنى بالياء.(٧)

وقرأ الجمهور (قِنْوان) بكسر القاف ... وقرىء بضمها ورواه السلمى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ... وقرىء عن أبى عمرو (قَنْوان) بفتح القاف على أنه اسم جمع على فَعْلان.(٨)

---

(١) معانى القرآن ٢/٥٨ (٢) البحر المحيط ٥/٢٦٣ مع التيسير للدانى.
(٣) لسان العرب مادة (قنو) (٤) الأنعام ٩٩ (٥) لسان العرب مادة (قنو)
(٦) أساس البلاغة مادة (قنو) (٧) لسان العرب مادة (قنو) (٨) البحر المحيط ٤/١٨٩

وقال الفراء : [وقوله : (من النخل من طلعها قنوان ...) الوجه الرفع في القنوان لأن المعنى : ومن النخل قنوانه دانية ، ولو نصب : وأخرج من النخل من طلعها قنوانا لجاز في الكلام ولا يقرأ به لمكان الكتاب] (١) ، والرفع عن ابن الأنباري على تقدير : استقر من النخل ، ومن طلعها بدل منه قال : [وقنوان مرفوع بقوله : (من طلعها) على قول من أعمل الثاني ... وهو مذهب البصريين ، وقوله (ومن النخل) على قول من أعمل الأول وهو مذهب الكوفيين] (٢).

ولا يجمع على (فعلان) بكسر الفاء وضمها إلا الثلاثي المجرد ، ولا يكون الجمع ملتبسا بالمثنى إلا إذا كانت حركة الفاء في المفرد والجمع متجانسة . وأما (فِعْلان) بالكسر ، فيكون جمعا في الثلاثي المعتل على وزن فِعْل مثل (صِنْو) و (قِنْو) ، والصحيح يأتي غالبا على فُعُول نحو جِذْع وجذوع ، ويلزم هذا الوزن في الأجوف اليائي نحو دِيك ودُيُوك ، وقد يجمع على (فِعَال) نحو ذئب وذئاب ، كما يلزم في الأجوف الواوي نحو : ريح ورياح ، قال تعالى : (وهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) (٣) ، وقد سمع جمع المفرد الصحيح على فِعْلَة نحو قرد وقردة ، قال تعالى : (فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (٤).

ويأتي فِعْلان قياسا مطردا في الأجوف الواوي على وزن (فُعْل) بضم وسكون نحو : عود وعيدان وصوت وحيتان (٥) ، كما يطرد في (فُعَل) بضم وفتح للقلة والكثرة نحو (صرد) (٦) و (صردان) ، يقول ابن مالك :

وغالباً أغناهُمُ فِعْلان ... في فُعَل كقولهم صِرْدان

كذلك يطرد في الأجوف الواوي المذكر على قياس (فَعْل) بفتح وسكون مثل : تاج وتيجان ، وقد سمع في المؤنث مثل نار ونيران ، وإن كان المطرد فيه (فُعْل) بضم وسكون مثل دار ودور .

وأما (فُعْلان) بالضم فيأتي كذلك في الثلاثي على وزن (فَعْل) بفتح وسكون ، نحو رَكْب ورُكبان ، وظَهْر وظهران وبطن وبطنان ، والظهران الجانب القصير من الريش ،

---

(١) معاني القرآن ٣٧٤/١ (٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٣٣٣/١
(٣) الفرقان ٤٨ (٤) البقرة ٦٥ (٥) شرح شافيه ابن الحاجب ٩٤/٢
(٦) هو ذكر الأرانب .

والبطنان الجانب الطويل ، ومنه قولهم : (برْ سَهْمَك بظهران ولا ترْمِه ببطنان)[1] . وعن "ابن دريد" : البطنان ما غمض من الأرض والظهران ما غلظ .

والغالب فى (فَعْل) أن يجمع على فُعُول نحو شيخ وشيوخ وسهل وسهول ، وقد يأتى على فِعَال نحو (سهم) وسهام .

ويأتى فُعْلان أيضا فى جمع (فَعَل) بفتح الفاء والعين وإن كان الغالب جمعه على فُعُول ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً ، وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً)[2].

سادسا ــ المثنى المكنى :

تبين مما سبق أن التثنية الحقيقية أو من باب التغليب تجمع بين اسمين ، أحدهما أو كلاهما معتمد فى التثنية ، وقد يكنى بلفظ المثنى عن شيئين يجامع الاشتراك فى المعنى دون اللفظ ، من ذلك :

النَّجْدان : الهدى والضلالة ، قال تعالى : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[3] الثَّقَلان : الإنس والجن ، قال تعالى : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)[4] ، الأُصْمَتَان : القلب الذكى والرأى الحازم ، وقولهم : إنما المرء بأصغريه يعنى قلبه ولسانه ، ومنه قولهم : ما يدرى أى طرفيه أطول : نسبه من قبل أبيه ونسبه من قبل أمه[5] ، والأصرمان : الذئب والغراب لأنهما انقطعا من الناس . والأبهمان : عند أهل البادية السيل والجمل الهائج ، وعند أهل الأمصار السيل والحريق .

والأزهران : الشمس والقمر .

والرافدان : دجلة والفرات .

والشيخان : البخارى ومسلم ، وهما المعنيان فى كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) .

---

(١) فوائد اللغة ص ١٩٤ (٢) الشورى ، الآيتان ٤٩ ، ٥٠ (٣) البلد ١٠
(٤) الرحمن ٣١ (٥) المزهر فى علوم اللغة ٢/ ١١٤

والحرميان : نافع وابن كثير .
والنحويان : حمزة والكسائي .
والجديدان : الليل والنهار .
والمعوذتان : سورة الفلق والناس.
والمقشقشتان : سورتا الكافرون والإخلاص ، أي أنهما يبرئان من النفاق ، من قولهم تقشقش المريض إذا برأ ، قال "ابن فارس" : [القاف والشين كلمات على غير قياس ، فالقش : القشر ، يقال : تقشقش الشيء إذا تقشر ، ويقال لسورتي (قل يا أيها الكافرون) ، (قل هو الله أحد) المقشقشتان لأنهما يخرجان قارئهما مؤمنا بهما من الكفر](1).

خاتمة :

تناول البحث موضوع التغليب ، والمشهور أنه فرع من التثنية ، والتثنية فرع عن الإفراد ، ولكونها فرعا أعربت بالحروف - بالألف في حالة الرفع ، وبالياء المفتوح ما قبلها والمكسور ما بعدها ، في حالتي النصب والجر .

وبعض العرب يجعل نون المثنى مفتوحة ، وبعضهم يلزمه الألف ويعربه بالحركات المقدرة عليها ، وبعضهم يجعله بالألف دائما ويعربه بحركات ظاهرة على النون المنونة كأنه اسم مفرد نحو : عندي كتابانٌ نافعانٌ واشتريت كتاباناً نافعاناً ، وقرأت في كتابانِ نافعانِ ، وهذه لغة قليلة جدا(2).

وذهب الدكتور السامرائي إلى أن الزام المثنى الألف كان لغة الكثرة من العرب ، وكان بعضهم يجعل المثنى بالياء دائما كما هو الشأن في بعض اللهجات الحديثة ، ولعل الياء في التثنية ظاهرة من ظواهر الإمالة ، ولما درجت العربية في طريقها التطوري وآن لها أن تنسجم في لغة هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف اختص استعمال المثنى بالألف في حالة الرفع ، وبالياء في حالتي النصب والجر .

---

(1) معجم مقاييس اللغة ٥/١٠٠ (2) النحو الوافي ١/١٢٤ هامش ٢

والمثنى مجاوز للواحد ، داخل فى حيز الجمع ، ويتعكس ذلك فى أساليب اللغة ، فاللفظ قد يأتى جمعا والمراد به مثنى ، وقد يأتى ضمير الجمع عائدا على الاثنين ، وقد تأتى الكلمة لفظها مفرد ومعناها مثنى مثل (كلا وكلتا) ، وقد أجيز فى ضميرها اعتبار المعنى فيثنى ، واعتبار اللفظ فيفرد ، غير أن اعتبار اللفظ اكثر ، وبه جاء القرآن الكريم قال تعالى : (كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا).

ولما كان لكلا وكلتا حظ فى الإفراد ، وحظ فى التثنية ، أجريا فى إعرابهما مجرى المفرد تارة ، ومجرى المثنى تارة أخرى ، فتعرب إعراب المفرد إذا أضيفت إلى الظاهر لأنه أصل والإعراب بالحركات أصل ، وتعرب إعراب المثنى إذا أضيفت إلى الضمير ، لأن الإضافة إلى الضمير فرعُ الإضافة إلى الظاهر ، والإعراب بالحروف ، فرع الإعراب بالحركات فجعل الأصل مع الأصل والفرع مع الفرع للمناسبة .

والتغليب فى التثنية ترجيح أحد المتعاطفين إجراء للمختلفين مجرى المتفقين ، واللفظ قد يغلب لخفته أو شهرته أو لقوته ، وقد شاع تغليب المذكر على المؤنث ، وقل العكس .

وقد يأتى اللفظ مثنى ومعناه مفرد لغرض بلاغى مثل : حَمْدان وبَدْران والعلمين وغيرهما .

وقد يكنى عن المثنى بجامع الاشتراك فى الوصف مثل : المعوذتين لسورتى الفلق والناس ، والمقشقشتين لسورتى الكافرون والاخلاص .

وظاهرة التثنية وجدت فى اللغات السامية واللغة اليونانية وفى السنسكريتية ، لكنها لم تبرز بجلاء ووضوح إلا فى العربية من اللغات السامية .

وربما كان اهتمام العرب بالمثنى أنه داخل فى حيز الجمع فأرادوا تمييز معالمه خشية أن يَنْفَرِدَ بالجمع عنه كما حدث فى الضمير (نحن) .

ولعل إثارة هذا الموضوع تكون فاتحة لمحاولات تستخلص نتائج جديدة بالنسبة لتكوّن الظواهر اللغوية وسط خِضَمّ اللغات العربية والسامية .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

مراجع البحث :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ أساس البلاغة ـ للزمخشري ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .
٣ ـ الأشباه والنظائر في النحو ـ جلال الدين السيوطي ـ مكتبة الكليات الأزهرية .
٤ ـ البحر المحيط ـ لأبي حيان ـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة (الرياض) .
٥ ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ دار المعارف بيروت .
٦ ـ البيان في غريب إعراب القرآن ـ لأبي البركات بن الأنباري ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١٩٦٩ .
٧ ـ حجة القراءات ـ لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق سعيد الأفغاني ط ٣ ـ مؤسسة الرسالة .
٨ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي .
٩ ـ شرح القصائد العشر ـ التبريزي .
١٠ ـ شرح المفصل ـ لابن يعيش ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة
١١ ـ الفروق في اللغة ـ لأبي هلال العسكري ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .
١٢ ـ فقه اللغة وأسرار العربية ـ لأبي منصور الثعالبي .
١٣ ـ فقه اللغة المقارن ـ د . ابراهيم السامرائي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٤ ـ كتاب الكافيه في النحو ـ لابن الحاجب ـ دار الكتب العلمية (بيروت) .
١٥ ـ كتاب " سيبويه " ـ لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ .
١٦ ـ ليس في كلام العرب ـ لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٧ ـ المزهر في علوم اللغة ـ جلال الدين السيوطي ـ مطبعة محمد صبيح .
١٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي .
١٩ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
٢٠ ـ معجم مقاييس اللغة ـ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الكتب العلمية ـ إيران .
٢١ ـ المقتضب ـ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ـ تحقيق ـ محمد عبد الخالق عضيمة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ .
٢٣ ـ النحو الوافي ـ عباس حسن ـ دار المعرفة بمصر ط (٥) .
٢٤ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ جلال الدين السيوطي ـ دار المعرفة بيروت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفروق
بين الأصول والفروع

الدكتورة / نجاة عبد العظيم الكوفى

حرص العرب فى لغتهم على التفريق بين الأصل والفرع ، وانعكس أثر ذلك فى كتب النحو الأصول بدءا " بسيبويه " ، فأول أبواب كتابه (علم ما الكَلِم من العربية) ، وفيه يقول : (فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

فالاسم : رجل وفرس وحائط .

وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع ....

وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثُمّ وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها).(١)

هذه الكلمات الموجزة توضح أبعاد المنهج الذى سار عليه " سيبويه " فى تصنيف الكتاب ، فالأصل عنده مقدم على الفرع ، ومن هذا المنطلق تحدث عن الكَلِم قبل الكلام لأن البسيط قبل المُركّب ، وقدم الاسم لأصالته على الفعل والحرف ، وحين مثّل للاسم قدم العاقل على غيره ، والحيوان على الجماد ، ومثّل بالمفرد المذكر المعرب النكرة ، لان الإفراد قبل التثنية والجمع ، والمذكر مقدم على المؤنث ، والنكرة قبل المعرفة والإعراب أصل فى الاسماء .

وحين مثّل للفعل قدم الماضى والأمر على المضارع لأصالة البناء فى الأفعال ، ومثل بالتام المتصرف لأن الجمود والنقصان فروع .

ويمضى الكتاب ويتكلم عن الإعراب بالحركات قبل الإعراب بالحروف ويقدّم الجملة الاسمية مراعاة لهذا الاصل اللغوى .

وتزخر الكتب النحوية بالأحكام التى بُنيت على قاعدة التفريق بين رتبة الأصول والفروع ، فمثلا جُعل التركيب من الأسباب المانعة من الصرف لأنه فرع ، وكذا العُجْمة لأنها دخيلة على كلام العرب .

ولأصالة المفرد رأى بعض النحاة أن الإخبار بشبه الجملة من قبيل المفرد ، لأن إضمار الأصل أولى من إضمار الفرع وتقدير كائن أو مستقر أولى من تقدير الفعل . (٢)

ورأيت قصر هذه الدراسة الموجزة على ظاهرة التذكير والتأنيث باعتبارها المنطلق الأول للتفريق بين الأصول والفروع .

وقد دفعنى لدراسة هذا الموضوع - على كثرة ما كتب فيه - عبارة وردت فى التقديم لكتاب (البُلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث) على لسان برجستراسر قال : (التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو

---

(١) الكتاب ١/١٢

(٢) شرح المفصل ١/٨٨

ومسائلها عديدة مشكلة ، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا جازما ، مع صرف الجهد الشديد في ذلك). (١)

ولا شك أن هذه الظاهرة من الظواهر التي اغلوبت مسائلها ، وتشابكت فروعها ، وهي لا تجرى في اللغة على قياس مطرد، فمثلا (اللسان) يذكر ويؤنث ، فمن ذكّره جمعه على ألسنة ومن أنثه جمعه على (ألسُن) (٢) ، والأعداد من ثلاثة إلى عشرة تأتي مع المعدود المؤنث مجردة من التاء على عكس الحكم مع المذكر ، وقد يأتي الوصف مع المذكر والمونث خاليا من التاء ، ورغم ذلك ، فمن يتذوق هذه الظواهر يجد لها أصولا تضبطها .

أما الدارس الأجنبي الذي يفتقر إلى الحس العربي الصادق ، ويقيس اللغة بمعايير جامدة فإنه لا يهتدي إلى حل مسائل هذا الباب حلا جازما ، ولعلهم قد وُفّقوا .

ويتناول البحث الموضوعات الآتية :

١ ـ المذكر والمؤنث بين الأصالة والفرعية .
٢ ـ افتقار الفرع إلى علامة تميزه .
٣ ـ أحكام العدد والمعدود من حيث التذكير والتأنيث .
٤ ـ ظاهرة التأنيث في الاسم .
٥ ـ حكم العامل مع المعمول المؤنث .
٦ ـ زيادة التاء لغير التأنيث .
٧ ـ اختلاف رتبة الأصل عن الفرع .

المذكر والمؤنث بين الأصالة والفرعية

مسألة الأصالة والفرعية بين المذكر والمؤنث ليست مجالا للخلاف لكني أنظر هَدْيها للكشف عن الأصل اللغوي الذي لتنتظم فيه مسائل هذا الموضوع وهو التفريق بين رتبة الأصول والفروع .

فقد خلق الله تعالى من كل شيء زوجين، وقضت حكمته أن يكون الذكر قبل الأنثى ليميز الأصول، ويختصها بمنزلته تختلف عن رتبة الفروع قال تعالى :

(يا أيُّها الناسُ إنّا خلقْناكم مِن ذَكَرٍ وأُنثى وجَعَلْناكم شُعوباً وقبائلَ لِتَعارفوا) . (٣)

واشتقاق اللفظين يشعر بالفرق بين المذكر والمؤنث ، فالذال والكاف والراء تدل على قوة وشدة ، يقال : طريق مذكر أي مخوف ، ويوم مذكر : أي اشتد فيه القتال، وأصله أن العرب كانت تكره أن تنتج الناقة ذكرا فضربوا الأذكار مثلا لكل مكروه (٤) .

والهمزة والنون والتاء تدل على اللين والضعف ، يقال أنّثْتَ في أمرك تأنيثا : لِنْتَ ولم تشدد .

---

(١) مقدمة التحقيق ص ٥٠
(٢) شرح المفصل ١/ ٥
(٣) الحجرات ١٣
(٤) اساس البلاغة مادة (ذكر)

وسيف أنيث الحديد . (١)

ويؤكد القرآن الكريم أن الذكر هو صاحب الأصل والفصل ، قال تعالى (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بُشِّر أحدهم بما ضَرَب للرحمن مثلاً ظلَّ وجهُهُ مُسْوَدّا وهو كظيم أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُا فى الحلية وهو فى الخصام غيرُ مبين) . (٢)

وقد حرص العرب فى لغتهم على التفريق بين رتبة الأصل والفرع، فالأصل لا يُعَلَّل ، وهو مُقَدَّم على غيره ، والفرع يفتقر إلى علامة تميزه ومن هنا كانت حاجة المؤنث إلى علامة تميزه .

افتقار الفرع إلى علامة تميزه :

اتصال المؤنث بعلامة تميزه يخضع لأصل لغوى ثابت يقضى بأن الفرع هو الذى ينبغى أن تجعل فيه العلامة ، يدل على ذلك أن العرب لم يجعلوا للإفراد علامة وجعلوا للتثنية والجمع علامة لأنهما فرعان عن الإفراد ، كذلك لم يجعلوا للتكبير علامة، وجعلوا للتصغير علامة لأنه فرع ، وجعلوا الألف واللام علامة للتعريف لأنه فرع عن التنكير . فإن كان التنكير فرعا عن التعريف جعلوا له علامة لم تكن فى التعريف وهى التنوين كقولهم : سيبويه وسيبويهٍ آخر (٣) ، ونظرت إلى أحمد وأحمدٍ آخر إذا كان الأول معرفة والثانى نكره ، ومثله : صهْ وصهٍ وإيهِ وإيهٍ من أسماء الأفعال .

قال سيبويه : (الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعدُ ، فكل مؤنث شىء والشىء يذكر ، فالتذكير أول ، وهو أشد تمكنا ، كما أن النكرة هى أشد تمكنا من المعرفة لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف ، فالتذكير قبل ، وهو أشد تمكنا عندهم) . (٤)

---

(١) أساس البلاغة مادة (أنث)

(٢) الزخرف ١٨

(٣) الأشباه والنظائر فى النحو ١/٢٥٨

(٤) الكتاب ٣/٢٤١

والمشهور من علامات التأنيث (التاء)، ساكنة ومتحركة ، والألف مقصورة وممدودة قال " السيوطي " : (علامة التأنيث (ألف) مقصورة وممدودة ، قال البصرية وهي — أي الممدودة — فرع عن المقصورة ، أبدلت منها همزة لأنهم لما أرادوا أن يؤنثوا بها ما فيه ألف لم يمكن اجتماعهما لتماثلهما والتقائهما ساكنين، فأبدلت المتطرفة للدلالة على التأنيث همزة لتقاربهما، وخصت المتطرفة لأنها في محل التغيير ويدل لذلك سقوطها في الجمع كصحاري ، ولو لم تكن مبدلة لم تحذف ... قال الكوفية بل هي أصل أيضا .

(وتاء) وهي أكثر وأظهر دلالة ... والغالب في التاء أن يفصل بها وصف المؤنث من المذكر ... وقلّت للفصل في الجوامد كامرئ وامرأة)[1]

وتاء التأنيث تقلب هاء عند الوقف على الأسماء ، قال " سيبويه " :

(وأما الهاء فتكون بدلا من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف كقولك : هذه طلحة[2])[3]

ويروى : (أن قبيلة طيء " كانت تؤثر الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقلبها هاء ، وقد سمع بعضهم يقول : (دَفَنْتُ البَنَاه من المَكْرُمَاه) أي : (البنات من المكرمات) ؟!)[4]

وإنما أبدلوا التاء في الوقف هاء في مثل صائمة وامرأة ، للتفريق بين تأنيث الاسم والفعل[5]

وذهب بعض المحدثين من علماء اللغة إلى أن تاء التأنيث تحذف عند الوقف عليها ، يقول الدكتور " ابراهيم أنيس " : (الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة فليس يُوقف عليها بالهاء — كما ظن النحاة — بل يحذف آخرها ويمتد النفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) ، فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء ... فحين نسمع كلمة مثل : الشجرة في لهجات الكلام الآن ، يُخيل إلينا أن التاء المربوطة قد قلبت هاء

---

(١) همع الهوامع ١٦٩/٢، ١٧٠
(٢) لعل المقصود هنا واحدة (الطلح) وهو شجر معروف (٣) الكتاب ٢١٣/٢
(٤) في اللهجات العربية ص ١٣٦، ١٣٧
(٥) الاشباه والنظائر في النحو ٢٦١/١

والحقيقة أنها حذفت من النطق ، وامتد النَّفَس مع صوت اللين قبلها فسمع كالهاء)[1]

والقول بحذف التاء أو قلبها هاء عند الوقف لا ينقض القول بأنها تزاد فى الكلمة للدلالة على التأنيث .

وإذا كان العرب قد جعلوا فى المؤنث علامة تميزه ، ففيم الصعوبة إذن ؟ وأين يكون التعقيد ؟

أحكام العدد والمعدود من حيث التذكير والتأنيث :

حكم العدد مع المعدود من حيث التذكير والتأنيث من المسائل التى تبدو فى ظاهرها مخالفة للقياس ، لأن العدد المختوم بعلامة التأنيث يأتى مع المعدود المذكر والعكس فما هو الأصل اللغوى الذى يفسر هذه الظاهرة ؟

من يرجع إلى أصل العدد يتبين أنّ الأرقام من ثلاثة إلى عشرة تكون مختومة بالتاء لأنها فى معنى الجماعة أما واحد واثنان ، فالأصل فيهما التجريد من التاء .

ومراعاة لحكم الأصالة جعل العرب أصل العدد مع أصل المعدود ، فجاء واحد واثنان موافقا للمعدود المذكر لأن الأصل فيهما التجريد من العلامة أما الأعداد من ثلاثة إلى عشرة فجاءت مع المذكر مختومة بالتاء .

ثم فرّعوا من هذه الأعداد ليجعلوا فرع العدد مع فرع المعدود ، فأضافوا التاء إلى المجرد منها وهو (واحد واثنان) وحذفوها من المختوم بها ، وهى الأرقام من (ثلاثة إلى عشرة) فصار فرع العدد : (واحدة واثنتان) و (ثلاث إلى عشر) ، وقد جمعوا فرع العدد مع فرع المعدود وهو المؤنث ، كما جعلوا أصل العدد مع أصل المعدود ، ومقتضى هذا المنطق الدقيق استعمل العدد مع المعدود فى اللغة .

---

(١) فى اللهجات العربية ص ١٣٦

فالعدد (واحد) ، جاء فى القرآن الكريم مفردا فى ثلاثين آية ، والغالب أن يأتى بدون (ال) وصفا لإلـه نحو : (وإلـهكم إلـه واحـدٌ لا إلـه إلاّ هُوَ الرّحمنُ الرّحيـمُ) (١) ، أو وصفا لغيره نحو : (وَقَالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلوا مِن بَابٍ واحدٍ وادخلوا مِنْ أبوابٍ مُتفرّقـةٍ وما أُغْنِي عنكُم مِنَ اللّهِ مِن شَيءٍ ...) (٢) ، وجاء معرفا بـ (ال) فى ست آيات ، الواحـد فيها جميعا من الأسماء الحسنى بدلالة إسلامية لله الواحد القهار ، قال تعالى :

- (يا صَاحِبَيِ السّجْنِ أأربابٌ مُتفرّقُونَ خيرٌ أمِ اللّهُ الواحدُ القهّارُ) (٣)
- (... قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلّ شَيءٍ وهُوَ الواحدُ القهّار) (٤)

أما (أحد) فيأتى فى الإثبات بدلالة الواحد المضموم إلى العشرات نحو : أحـد عشـر ، ويأتى وصفا لله تعالى خاصة على نحو ما ورد فى سورة الإخلاص : (قُلْ هُوَ اللّهُ أحد) وجاءت (واحدة) وهى فرع العدد ، مع المعدود المؤنث إحدى وثلاثون مرة ، كلها نكرة .

ويغلب أن تجىء وصفا لأمّـة مرادا بها وحدة النوع ، كما فى قوله تعالى : (إنّ هذه أُمّتُكم أُمّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدونِ) (٥) ، وقد تأخذ دلالة الحسم والبغته فى آيـات النذيـر بالسـاعة والقيامة ، كما فى قوله تعالى : (فإذا نُفِخَ فى الصُّورِ نفخةٌ واحـدةٌ وحُمِلَتِ الأرضُ والجبالُ فدُكّتا دكّةً واحدةً ، فيومئـذٍ وَقَعَتِ الواقعةُ) (٦)

وإنما تتعين الدلالة الرقمية للعدد فى آيات الأحكام ، كما فى قوله تعالـى : (يُوصيـكُمُ اللّهُ فى أولادِكُم للذّكرِ مِثْلُ حَظّ الأُنثيَيْنِ فإنْ كُنّ نِسـاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فلَهُنّ ثُلُثـا ما تَرَكَ وإن كانت واحدةً فلَها النّصفُ ...) (٧)

وتأتى (إحدى) مركبة مع العشـرة ، أو مضافة إلى الضمير موافقة للمعدود أو المضاف اليه .

وجاء العدد (اثنان) موافقا للمعدود المذكر كما فى قوله تعالى : (حَتّى إذا جـاء أمْرُنا وفارَ التّنُّورُ قُلْنا احْمِلْ فيها مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأهلَكَ إلاّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القَـولُ

---

(١) البقرة ١٦٣ (٢) يوسف ٦٧ (٣) يوسف ٣٩ (٤) الرعد ١٦
(٥) الأنبياء ٩٢ (٦) الحاقة ١٣، ١٤ (٧) النساء ١١

وَمَنْ آمن ...) (١)

والعدد (ثلاثة) ، جاء مع المعدود المذكر مختوما بالتاء ، نحو : (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قال آيتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً) (٢)

وجاء (ثلاث) وهى فرع العدد ، مع المؤنث وهو فرع المعدود
قال تعالى : (انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ) (٣)

والعدد (أربعة) ، جاء مع المعدود المذكر فى تسع آيات ، ومع المعدود المؤنث فى ثلاث ، وأكثر ما يجىء هذا العدد فى آيات الأحكام ، قال تعالى :

- (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ...) (٤)

- (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (٥)

والعدد (خمسة) ورد فى القرآن الكريم فى عد المذكر فى موضعين ، قال تعالى :
(مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا) (٦)

وجاء فى عد المؤنث مرادا به الوصف فى موضعين من سورة النور .

والعدد (ستة) ، ورد فى القرآن الكريم فى عد الأيام ، قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) (٧)

وجاء على صيغة فاعل وصفا للمذكر مجردا من التاء ، على نحو ما تقدم فى آية المجادلة .

---

(١) هود ٤٠ (٢) آل عمران ٤١ (٣) المرسلات ٣٠ (٤) النور ٤
(٥) النور ٦، ٧ (٦) المجادلة ٧ (٧) هود ٧

وجاء العدد (سبعة) فى عد المذكر منها فى آيات الاحكام قوله تعالى :
(فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) (١)

وجاء بدلالة بيانية فى قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) (٢) .

وجاء فى عد المؤنث فى أربعة وعشرين موضعا ، منها فى آيات الأخبار قوله تعالى :
(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (٣)

ومن آيات القدرة الإلهية قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) (٤)

والعدد (ثمانية) ، جاء فى عد المذكر أربع مرات منها قوله تعالى فى الخبر عن هلاك " عاد " : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) (٥)

وجاء فى عد المؤنث مرة واحدة فى الخبر عن " شعيب " و " موسى " عليهما السلام قال تعالى : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ...) (٦) وجاء على وزن فاعل فى قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) (٧)

والعدد (تسعة) جاء مفردا فى آيات الأخبار بدلالة الرقية ، منها فى عدد المذكر فى الخبر عن "ثمود" قوله تعالى : (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (٨) ومنها فى عد المؤنث قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ

---

(١) البقرة ١٩٦ (٢) لقمان ٢٧ (٣) يوسف ٤٣ (٤) البقرة ٢٩
(٥) الحاقة ٧ (٦) القصص ٢٧ (٧) الكهف ٢٢ (٨) النمل ٤٨

آيات بينات ...) (١)

والعدد (عشرة) جاء مفردا فى عد المذكر مرتين ، فى آيات الأحكام بدلالة رقمية متمينة ، قال تعالى :

- (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) (٢)
- (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ...) (٣)

وجاء فى عد المؤنث سبع مرات ، وحيثما جاء العدد فى آيات الأحكام فبدلالة رقمية متمينة ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ...) (٤)

وتنفرد العشرة بأنها تأتى مركبة مع غيرها من الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر ، وحكمها مركبة يختلف عن حكمها مفردة ، إذ تأتى فى التركيب موافقة للمعدود فى حكم التذكير والتأنيث . وهذا بدوره يخضع للأصل اللغوى الذى يحرص على التفريق بين الأصول والفروع ، فإفراد العدد هو الأصل ، وتركيبه فرع ، ومن هذا المنطلق جاء حكم العشرة المركبة مخالفا لحالة الإفراد .

يضاف إلى ذلك أن صدر العدد من (ثلاثة عشر) إلى (تسعة عشر) يكون مع المذكر مختوما بالتاء ، فلو جاءت العشرة على أصل الوضع لأدى ذلك إلى اجتماع علامتين للتأنيث فى العدد الواحد ، لذلك تعينت المخالفة .

وقد جاء فى القرآن الكريم من الأعداد المركبة :

(أحد عشر) ، جاء مرة واحدة فى رؤيا يوسف عليه السلام ، : (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (٥)

---

(١) الاسراء ١٠١ (٢) البقرة ١٩٦ (٣) المائدة ٨٩ (٤) البقرة ٢٣٤
(٥) يوسف ٤

ـ (اثنا عشر) ، جاء فى عد المذكر فى موضعين ، أحدهما فى آية الأحكام : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ...) (١) والآخر فى الخبر عن قوم موسى عليه السلام : (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) (٢)

وجاء فى عد المؤنث ثلاث مرات ، منها فى آيات الاخبار قوله تعالى : (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ...) (٣)

(تسعة عشر) ، جاء مرة واحدة فى عد الملائكة الموكلين بسقر فى الآخرة ، قال تعالى : (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) (٤)

وفى الآية الكريمة دليل على أن المعدود الجمع يُراعى معه حكم الإفراد لأنه أصل فالملائكة مختومة بالتاء ، لكن روعى فى عدها حكم المفرد المذكر .

ويأتى العدد على وزن فاعل موافقا للمعدود إذ يصير غالبا وصفا تابعا لمعدوده .

أما ألفاظ العقود ، ولفظ مائة وألف والأعداد المعدولة نحو (مثنى وثلاث ورباع) ، فقد استعملها العرب أصحاب اللغة بلفظ واحد للمذكر والمؤنث .

ويتبين من عرض هذه المسألة أن أحكام العدد مع المعدود تجرى على قياس مطرد ضابطة :

أن يكون أصل العدد لأصل المعدود ، وفرع العدد لفرع المعدود ، وتطبق هذه القاعدة على العشرة المفردة ، فإذا رُكّبت مع غيرها اختلف حكمها لأن الإفراد أصل والتركيب فرع .

علامات التأنيث فى الاسم :

قبل الحديث عن علامات التأنيث فى الأسماء تحسن الإشارة إلى أن هذه العلامات تُعَدّ ظاهرة متطورة فى سبيل التفريق بين المذكر والمؤنث ، ففى اللغة ألفاظ موضوعة

---

(١) التوبة ٣٦ (٢) المائدة ١٢ (٣) البقرة ٦٠ (٤) المدثر ٣٠

للدلالة على المذكر والمؤنث مثل : حمام وبط ودجاج وبعير والحال والطريق والسوق وغيرها مما ذكره ابن الانبارى [1] ولعل هذه الظاهرة تمثل البداية الأولى فى نشأة اللغة ، ثم كان التفريق بين الجنسين بوضع لفظ للمؤنث يختلف عن لفظ المذكر ، نحو : حمار وأتان ، وفرس وحصان ، وانتهى الأمر بوضع علامة فى الاسم المؤنث وصفته لأنه فرع المذكر. وفى اللغة ألفاظ تصور هذه المرحلة الانتقالية وهى التى تجمع بين اللفظ والعلامة للتفريق بين المذكر والمؤنث نحو : جمل وناقة ، وكبش ونعجة ورجل وامرأة ونحو ذلك من الألفاظ .

والعلامات الموضوعة للتأنيث ثلاث ، قال "الفراء" : (للمؤنث علامات ثلاث :

منها الهاء التى تكون فرقا بين المؤنث والمذكر : مثل فلان وفلانه ، وقائم وقائمة .

ومنها المدة الزائدة التى تراها فى (الضَّرّاء) و (الحمراء) و (الصفراء) وما أشبه ذلك .

ومنها الياء التى تراها فى (حُبلى) و (سَكْرى) و (صُغْرى) ، فأما المدة والياء فلا يقعان لمذكر فى حال أبدا) [2]

ويتضح من النص أن العرب فرقوا بالتاء بين المذكر والمؤنث فى الجامد مثل (فلانة) ، والمشتق مثل (قائمة) .

وأنه عبر بالمدة الزائدة عن ألف التأنيث الممدودة وبالياء عن الألف المقصورة .

ويفهم من ظاهر القول أن الألف بنوعيها لا تكون فى اسم مذكر، وربما قصد بذلك الاسم العربى المفرد ، لأن الألف تكون فى المذكر الأعجمى مثل موسى ، وزكريا ، والأسماء المجموعة مثل : أسرى وكُرَماء ، ولو أن القاعدة فى هذه المسألة لم تتكسر لسهل معرفة هذه الأحكام وتطبيقها ، لكن القياس يتعطل فى بعض المواضع استجابة لمنطق اللغة من ذلك :

١ - أن يأتى وصف المؤنث مجردا من العلامة نحو : طالق ، ورَغُوث وشَيُوب، والأصل اللغوى

---

(١) البُلْغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٨٣ وغيرها .

(٢) المذكر والمؤنث ص ٥٧

الذى يستند إليه تجريد الوصف من العلامة ، أن الوصف إذا كان مختصا بالمؤنث ولم يكن للمذكر حظ فيه استغنى عن التاء لأمن اللبس .

وقد يأتى الوصف المختص مختوما بالتاء كما ورد فى قوله تعالى : (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)[1] ، والمشهور قولهم امرأة مرضع وحامل وطالق ونحو ذلك .

وإنما جاء الوصف فى الآية الكريمة مختوما بالتاء ، للتفريق بين (مرضع) مرادا بها دلالة الوصف المجرد ، وبين (مرضعة) مرادا بها الوصف المرتبط بوقت مزاولة الحدث ، فلا يقال مرضعه إلا ساعة قيامها بإرضاع مولودها ، ويقال مرضع لمن لها طفل رضيع وإن لم يكن معها .

ومن المجاز قولهم : فُلان يرضع الدنيا ويذمها ، قال الشاعر[2]

وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُم يرضعُونَها ... أَفَاوِيقَ حتّى ما يدرُّ لها ثُعْلُ

٢ - وإذا كان حذف التاء فى الوصف المختص مثل : حائل وفارك وغيرها لأمن اللبس ، فما وجه حذف التاء فى مثل : صبور وطهور وشكور وغيرها من الأوصاف التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ؟

وأعود إلى الأصل اللغوى الذى يجمع مسائل هذا الباب وهو اختلاف حكم الأصل عن الفرع ، وصبور ليس جاريا على القياس الأصلى للوصف ، فقياس الوصف من (صبر) : صابر ، و (صبور) وصف معدول لإرادة المبالغة فهو على خلاف الأصل ، ومن ثم استوى فيه المذكر والمؤنث لأن الفروع تنحط عن رتبة الأصول ، وكان الوجه حذف التاء تغليبا لحكم المذكر من جهة ، ولأن صيغة (فعول) تأتى بمعنى (فاعل) نحو (أكول) بمعنى آكل ، وبمعنى مفعول نحو (ركوب وحلوبة) بمعنى الدابة التى تركب والشاة التى تحلب ، فلزم التفريق بينهما فى الحكم بزيادة التاء مع المؤنث فى (فعول) بمعنى (مفعول) ، وقد قرئ (فمنها ركوبتهم)[3] على معنى التأنيث .

قال " الفراء " فى التعليل لحذف التاء فى مثل صبور وعجوز ونحو : (وإنما ألقيت

---

(١) الحج ٢ (٢) أساس البلاغة مادة (رضع)
(٣) المذكر والمؤنث ص ٦٣

من أنثاه الهاء ، لأنه عدل (صابر) إلى (صبور) ، فلم يكن له فعل يبنى عليه فترك كالمذكر ، ألا ترى أنك لا تجد للصبور فعلا ، فإن قلت : قد صبر ، فذلك للصابر .

ولو أدخلت فيها الهاء عند الإفراد كان وجها ، وقد قالت العرب للمرأة (عدوة الله) ، وترك بعضهم الهاء ، فالذين أدخلوا الهاء وجهوها إلى الأسماء ، والذين طرحوا الهاء ذهبوا بها إلى النعت) .

ومن هنا كان لفظ (بغيا) فى قوله تعالى : (يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) [1] على قياس (فعول) بمعنى (فاعل) ، والأصل (بغوى) اجتمعت فيه الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت مع الياء ، والدليل على ذلك أنه جاء مع المؤنث مجردا من التاء ، ولو كان على قياس فعيل لختم بالتاء نحو : كريم وكريمة .

٣ - وقولهم كريمة وشريفة ونحوها أوصاف قياسية لأنها مشتقة من (كرُم) و (شرُف) ، والوصف المشتق من فعله مباشرة تكون دلالته على الوصف مساوية لدلالة فعله لا أقوى منها [2]

ويأتى (فعيل) معدولا عن (مفعول) كقولهم : رجل جريح بمعنى (مجروح) وإنما عُدل الوصف عن قياسه الأصلى لإرادة معنى المبالغة ، فلا يقال (جريح) إلا لمن كثرت جروحه ، ويقال مجروح لمن به أبسط الجروح ، فحذفوا التاء مع المؤنث فى الوصف المعدول للفرق بينه وبين الوصف القياسى وهو (فعيل) بمعنى فاعل .

فيقال : امرأة قتيل كما يقال رجل قتيل ، فإن أفردوا الوصف احتاجوا إلى التاء لأمن اللبس نحو : (مررت بقتيلة) أو (قتيلة بنى فلان) ومنه قول الله تعالى فى آيات الاحكام (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ...) [3] حيث ختم لفظ النطيحة بالتاء وهو من (فعيل) بمعنى (مفعول) لأنه أفرد ولم يذكر معه الموصوف .

---

(١) مريم ٢٨ (٢) المذكر والمؤنث ص ٦٤ هامش (٢)
(٣) المائدة ٣

ومن الصفات التى يستوى فيها حكم المذكر والمؤنث لأنها معدولة عن القياس الأصلى : (مِفْعال) كمقدام ، وهو شبيه فى الوزن بمصدر الرباعى مثل إحسان وإكرام ، وقد زيدت الميم فى أوله فصار أبعد عن قياس الوصف من صبور ونحوها . ومنه قولهم : مِكْثار للكلام ومذياع للسر ، وامرأة مئناث، لمن تلد الإناث ، وديمة مدرار ، قال تعالى : (يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) (١)

(مِفْعِيل) كمعطير ، والأصل أن هذا الوصف إنما يظهر فى الرجال ، فإن وصفوا المرأة بذلك حذفوا التاء وأجروا الوصف على الأكثر وهو حكم المذكر .

ويرجح هذا القول أن المشهور من الألفاظ التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ، مما يوصف به المذكر غالبا ، قال تعالى :

- (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) (٢)
- (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً) (٣)
- (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) (٤)
- (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) (٥)
- (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (٦)
- (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (٧)

وأكثر ما يكون الجريح والقتيل فى ساحات النزال التى تحتاج إلى عزم الرجال ، فوصف النساء بها قليل ، وحمل القليل على الكثير أولى .

قال "الفراء" : (وتقول : (مؤذّنٌ بنى فلان امرأة) و (شُهُودٌ نساء) ، و (فُلَانَةٌ شاهد له) ، لأن الشهادات والآذان وما أشبهه ، إنما يكون للرجال ، وهو فى النساء قليل) (٨)

---

(١) نوح ١١ (٢) الأحزاب ٧٢ (٣) الاسراء ١١ (٤) هود ٩
(٥) الانسان ٢٤ (٦) الشورى ٢٣ (٧) سبأ ١٣
(٨) المذكر والمؤنث ص ٦١

ويقوى هذا القول أن الوصف يغلب عليه حكم التأنيث إذا كان أصلا من صفات المؤنث كقولهم : رجل خِلْفَنَة وامرأة خِلْفَنَة أى : كثير الخلاف ، ورجل بِلَفْنَة ، وامرأة بِلَفْنَة : أى يبلغ الناس بعضهم أحاديث بعض وقالوا فى الجمع : رجال خِلْفَنات ونساء خِلْفَنات .

وقد حكم " ابن خالوية " على هذا الوزن بأنه من الغريب النادر (١)

٤ — وكما يأتى وصف المؤنث مجردا من العلامة ، كذلك يأتى الاسم الجامد مثل : هند وزينب وأذن والتأنيث فى مثل هذه الألفاظ معنوى ، ويستدل عليه بضمير المؤنث أو إشارته أو ظهور التاء فى تصغيره ونحو ذلك من القرائن اللفظية .

فيستدل على تأنيث العين مثلا بقولهم : (عُيَيْنَة) فى التصغير ، وعلى تأنيث (الأُذُن) بمثل قوله تعالى : (لنَجْعلها لَكُم تذْكرةً وتَعِيَها أُذُنٌ واعيةٌ) (٢) ، وأحيانا يسمع فى اللفظ الواحد التذكير والتأنيث ، وربما كان ذلك راجعا إلى اختلاف اللهجات ، قال " الفراء " : (والعُنُق مؤنثة فى قول أهل الحجاز ، يقولون : (ثلاث أعناق) ، ويصغّرونها على عنيقة) . وغيرهم يقول : (هذا عنق طويل) ويصغره فيقول : هذا عنيق) (٣) أو الحمل على المعنى ، فمثلا (اللسان) يذكر إذا أريد به الحاسة ، وقد يؤنث إذا أريد به اللغة أو القصيدة ، قال الشاعر (٤) :

أتتنى لِسانُ بَنى عامِرٍ .. أحاديثُها بعدَ قَولٍ نُكُر

وما سمع عن العرب حجة ، والمتكلم بلغتهم سائر على نهجهم ، فما أجازوا فيه التذكير والتأنيث صح استخدامه كذلك ، فلفظ (السبيل) مثلا يذكر ويؤنث ، وقد جاء فى القرآن الكريم بالوجهين ،

فالتأنيث فى قوله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلى اللَّهِ على بَصِيرةٍ أَنَا وَمَنِ اتبعنى ...) (٥) حيث أشير إليه (بهذه) .

والتذكير فى قوله تعالى : (وإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سبيلاً) (٦) لمكان الضمير

---

(١) ليس فى كلام العرب ص ٢١٣ (٢) الحاقة ١٢ (٣) المذكر والمؤنث ٢٣
(٤) المذكر والمؤنث ص ٢٤ (٥) يوسف ١٠٨ (٦) الاعراف ١٤٥

فى يتخذوه .

و (الأنعام) : تذكر وتؤنث قال تعالى :

- (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)[1] ، وقال سبحانه فى موضع اخر : (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا)[2]

و (الطاغوت) : يُذكّر ويؤنث قال تعالى :

- (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا)[3]

- (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ)[4]

ونظير ذلك من الألفاظ التى ذكرها " الفراء " و " ابن الانبارى " : العنكبوت ، السماء الفلك ، الساق ، السكين والطريق يؤنثه أهل الحجاز ويُذكّره أهل نجد .[5]

٥ - وفى مقابل التأنيث المعنوى توجد مجموعة من أسماء الذكور تنتهى بالألف أو التاء وتُجمع الآراء على أن فيها تأنيثا لفظيا .

والمشهور من هذه الأسماء مما ينتهى بالتاء : حمزة ، طلحة ، أسامة ونحوها ، وهذه الأسماء ليست أعلاما مرتجلة وإنما هى منقولة إلى مجال العلمية ، فالحمزة فى أصل وضعها بقلة تَحْمِزُ اللسان ، قال " ابن فارس " : (الحاء والميم والزاء أصل واحد ، وهو حدة فى الشئ كالحرافة وما أشبهها . فالحمزة حرافة فى الشئ ، يقال : شراب يحمز اللسان ، ومنه الحمزة وهى بقلة تحمز اللسان ، وقال " أنس بن مالك " : كنّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت اجتنيتها) ، وكان يكنى أبا حمزة)[6]

والطلح كذلك نوع من الشجر ، والواحدة طلحة ، قال " ابن فارس " : (الطاء واللام والحاء أصلان صحيحان ، أحدهما جنس من الشجر ، والآخر باب من الهزال وما أشبهه .

فالأول الطلح ، وهو شجر معروف ، الواحدة طلحة)[7] ، وقد جاء لفظ الجمع فى قوله

---

(١) النحل ٦٦ (٢) المؤمنون ٢١ (٣) الزمر ١٧ (٤) النساء ٦٠

(٥) المذكر والمؤنث ص ٨٧

(٦) معجم مقاييس اللغة ٢/١٠٣ باب الحاء والميم وما ثيلتهما

(٧) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٤١٨

تعالى : (فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وطَلْحٍ مَنْضُودٍ) (١)

وهذا دليل على أن التاء فى مثل هذه الأسماء ليست للتأنيث ، وإنما زيدت أصالة لتميز الواحد من جنسه .

وأسامة اسم موضوع من أسماء الأسد ، نقل إلى أعلام العقلاء ، فتاؤه ليست للتأنيث وإنما هى من بنية الكلمة كالتاء فى قرية ، ورحمة ، ومائة ونحوها .

ويراعى فى هذه الأسماء ، وما جاء منتهيا بالألف مثل موسى وزكريا وجود العلامات الموضوعة للتأنيث فيمنع الاسم من الصرف حرصا على اطراد القاعدة ، ويراعى فيها حكم المعنى فيأتى عاملها مجردا من علامة التأنيث، وكذا وصفها ، ويشار إليها بما وضع للمذكر ، وكذا حكم العائد عليها من الضمائر .

ويتضح مما تقدم أن التاء تكون فى بعض الأسماء لغير التأنيث ، وسيأتى تفصيل الحديث عن هذه المسألة بعد الكلام عن حكم العامل .

حكم العامل مع المعمول المؤنث :

إذا أُسند الفعل إلى فاعل مؤنث لحقت به علامة تدل على تأنيث فاعله، ولم تلحق به علامة للدلالة على تثنية الفاعل وجمعه إلا فى لغة أسماها النحاة (لغة أكلونى البراغيث) ، وما زال صداها يتردد فى بعض اللهجات العامية كقولهم (ظلونى الناس) ونحو ذلك .

وعلامة التأنيث فى الفعل التاء فقط وهى أصل علامات التأنيث وأشهرها، بدليل أن الألف بنوعيها قد زالت تقريبا من بعض اللهجات العربية الحديثة وحلت محلهما تاء التأنيث ، كقولهم حَمْرة فى حمراء ، وسَلْمة فى سلمى (٢)

وعلامة التأنيث فى الفعل الماضى تاء ساكنة فى آخره ، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ (٣) فالتاء فى (قالت) حرف يدل على تأنيث الفعل ، وقد جعلوها ساكنة كيلا تلتبس بتاء الفاعل فى مثل (نَذَرْتُ) .

---

(١) الواقعة ٢٨ ، ٢٩ (٢) البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٤٧ مقدمة التحقيق
(٣) آل عمران ٣٥

وقد تُحرك تاء التأنيث بالكسر لالتقاء الساكنين كما فى قوله تعالى : (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ ...) [١] ، وهذه لا تلتبس بضمير المخاطبة فى مثل (فَعَلْتِ) ، لأن الفعل مع تاء الفاعل يصير مبنيا على السكون، أما مع تاء التأنيث فيبقى مبنيا على الفتح ظاهرا مثل (سَمِعَتْ) أو مقدرا مثل (أَعْطَتْ) .

وعلامة التأنيث فى الفعل المضارع التاء المتحركة فى أوله نحو (هى تَفْعَلُ)، والملحظ أن هذه العلامة هى إحدى الحروف الأربعة التى تزاد فى أول الفعل الماضى عند تصريف المضارع منه وهى الهمزة والنون والتاء والياء . والمشهور فى هذه الأحرف أن تكون مضمومة فى الرباعى مثل (لا أُقْسِمُ بهذا البَلَدِ . وأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا البَلَدِ) [٢] ، ومفتوحة فى غيره فى لغة أهل الحجاز، و"تميم" تكسر حرف المضارعة فى الثلاثى حين يكون تاء أو نونا [٣] ، فيقولون تِعلم ونِعلم ،

والسؤال الآن ، لماذا خُصّت التاء بالدلالة على التأنيث فى الفعل المضارع مع أنها موضوعة للدلالة على الخطاب ؟

وأتكلم بإيجاز عن الهمزة والنون والتاء والياء التماسا للجواب . فالهمزة فى مثل (أَفْعَلُ) للمتكلم المفرد ، لا فرق بين متكلم مذكر ، كقوله تعالى فى الإخبار عن "عيسى عليه السلام" : (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) [٤] ، أو مؤنث كقوله تعالى فى الإخبار عن "مريم" البتول : (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) [٥]

والنون للمتكلم المعظم كقوله تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ) [٦]

ولجماعة المتكلمين من الذكور نحو : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [٧] أو الإناث كقوله تعالى فى الإخبار عن ابنتى "شعيب" عليه السلام : (قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) [٨]

---

(١) الزمر ٦٩ (٢) البلد ١، ٢ (٣) فى اللهجات العربية ص ١٣٩
(٤) آل عمران ٤٩ (٥) مريم ١٨ (٦) يوسف ٣ (٧) الفاتحة ٥
(٨) القصص ٢٣

وتزاد التاء فى أول المضارع مع المخاطب ، نحو (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) (١) ، والمخاطبة نحو (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (٢)

وخطاب المثنى نحو : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (٣)

وجمع المذكر نحو : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٤)

وجمع المؤنث نحو (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ...) (٥)

وواضح أن حرف المضارعة الموضوع للمتكلم والمخاطب لا يتغير بتغير جنس الفاعل ، لأمن اللبس بين المذكر والمؤنث بقرينة الحضور، ومن هنا جاء حكم الياء مختلفا عن حكم الهمزة والنون والتاء ، لأنها موضوعة للدلالة على الغيبة ويلزم معها وجود القرينة الفارقة بين الغائب والغائبة ، وقد توصل العرب إلى ذلك عن طريق المخالفة بين أحرف المضارعة ، فزادوا الياء مع المذكر ، لأنه أصل الجنس، والأصل فى الياء الدلالة على الغيبة ، قال تعالى :—

— (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (٦)

— (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) (٧)

— (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) (٨)

فالياء فى (يخفى) للغائب، وفى (يلتقيان) للمثنى المذكر ، وفى (يشربون لجمع المذكر .

أما الغائبة فزادوا معها التاء نحو (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (٩) لأصالتها فى الدلالة على التأنيث فضلا عن أمن اللبس بتاء الخطاب لأن قولهم : (هى تفعل) لا يلتبس بمثل (أنت تفعل) أو (أنت تفعلين) لا لفظا ولا معنى

---

(١) الاسراء ٣٧ (٢) مريم ٢٦ (٣) الرحمن ١٢ (٤) البقرة ٤٤
(٥) الاحزاب ٣٢ (٦) آل عمران ٥ (٧) الرحمن ١٩ (٨) الانسان ٥
(٩) يس ٣٨

وزيدت التاء مع المثنى المؤنث قياسا على حكم المفردة نحو : (فيهما عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) (١)
أما جمع الاناث، فتأتى معه الياء قياسا على الأصل نحو : (والوالِدَاتُ يُرضِعْنَ أولادَهُنَّ .. حَوْلَيْنِ كاملَيْنِ لِمَنْ أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) (٢) ، وتزاد معه التاء قياسا على حكم المفردة والمثنى ، قال تعالى فى الإخبار عن القسيسين والرهبان : (وإذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أعينَهُم تَفِيضُ من الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُوا من الحقِّ ...) (٣)

وربما كان رجوعهم إلى الأصل مع الجمع فى المواضع التى يؤمن فيها اللبس إذا برز الضمير الدال على جماعة الإناث نحو : يُرضعن، يُدنين ، يُبْدين ونحو ذلك .

وتأنيث الفعل مع الفاعل المؤنث على نوعين : واجب وجائز ، فالتأنيث الواجب فى مسألتين :

الأولى : أن يكون الفاعل اسما ظاهرا حقيقى التأنيث متصلا بالفعل نحو : (وقالت امرأةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِى ولَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أن يَنْفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ ولَدا) (٤)

الثانية : أن يكون الفاعل المؤنث ضميرا متصلا، لا فرق بين المؤنث الحقيقى نحو : (قالت إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوها ...) (٥) (وإذا الأرضُ مُدَّتْ . وألْقَتْ ما فيها وتَخَلَّتْ) (٦)
والتأنيث الجائز إما راجح وإما مرجوح . أما الراجح ففى أربع مسائل :
الأولى : أن يكون الفاعل ظاهرا مجازى التأنيث نحو : (ويومَ تشقَّقُ السَّماءُ بالغَمَامِ ونُزِّلَ الملائكةُ تَنزِيلا) (٧)

الثانية : أن يكون الفاعل ظاهرا حقيقى التأنيث منفصلا عن الفعل بغير إلا نحو (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءَكم المؤمناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ ...) (٨)

الثالثة : أن يكون الفاعل جمع تكسير أو اسم جمع ، قال تعالى :
- (قالَتِ الأعرابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا ولكن قُولُوا أسْلَمْنَا ...) (٩)
- (وقال نِسوةٌ فى المدينةِ امرأةُ العزيزِ تُراوِدُ فَتَاها عن نفْسِه ...) (١٠)

---

(١) الرحمن ٥٠ (٢) البقرة ٢٣٣ (٣) المائدة ٨٣ (٤) القصص ٩
(٥) النمل ٣٤ (٦) الانشقاق ١، ٢، ٣، ٤ (٧) الفرقان ٢٥ (٨) الممتحنة ١٠
(٩) الحجرات ١٤ (١٠) يوسف ٣٠

الرابعة : فاعل (نعم) و (بئس) إذا كان مؤنثا ظاهرا نحو

نِعْمَتْ جزاء المتقين الجنة ٠٠٠ دار الأمانى والمنى والمنة

وأما التأنيث المرجوح ففى مسألة واحدة ، وهى أن يكون الفاعل الحقيقى التأنيث مفصولا عن فعله (بإلا) نحو ، ما هلك من آل لوط إلا امرأته ٠ والتذكير مراعاة للمعنى أرجح لأن التقدير ما هلك أحد ، فالفاعل فى الحقيقة مذكر ، ويجوز التأنيث حملا على ظاهر اللفظ ، قال الشاعر :

ما بَرِئَتْ من ريبَةٍ وذَمٍّ ٠٠٠ فى حربِنَا إلاَّ بَنَاتُ العَمِّ

هذا هو منطق القاعدة فى المواضع التى يجب أو يجوز فيها زيادة تاء التأنيث مع الفعل ، وقد يأتى منطق اللغة بما يبدو فى الظاهر مخالفا لتلك المعايير فيكون الأمر غامضا لمن يدرس العربية ويصعب عليه تذوقها ٠

ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى : (فَأَنْذَرْتُكُم نَارًا تَلَظَّى) [1] وفاعل (تلظى) ضمير عائد على مؤنث وهو النار ، وتأنيث الفعل واجب بموجب القاعدة ، وقد يوهم ظاهر اللفظ أن الفعل مجرد من علامة التأنيث. ومن يتذوق العربية ويعرف خصائصها، يدرك أن الفعل مأخوذ من الخماسى المبدوء بالتاء ، وزيدت فى أوله تاء المضارعة فصار (تتلظى) ، ثم حذفت إحدى التائين للتخفيف حسبما يقتضى منطق اللغة ٠

والدليل على أن هذه الظاهرة كانت مثار جدل وخلاف بين النحاة ، قول الشاعر :

تَمَنَّى ابْنَتَاىَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ٠٠٠ وهَلْ أَنَا إلاَّ مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرِ

فالفعل (تمنى) مسند إلى فاعل ظاهر حقيقى التأنيث ، فتأنيثه واجب، ويوهم ظاهر الفعل أنه خال من علامة التأنيث ، فمن قدر الفعل فى البيت ماضيا، حكم عليه بالضرورة لأن الشاعر لم يقل تمنت بالحاق تاء التأنيث الساكنة فى آخر الفعل ٠

ويُخْرِج البيت من الضرورة كون الفعل مضارعا حذفت منه إحدى التائين كما حذفت من قوله تعالى : (تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ) [2] والأصل (تتنزل) ٠

---

(١) الليل ٤ (٢) القدر

والدليل على الحذف ظهور المحذوف في بعض القراءات من ذلك قوله تعالى : (وإنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ ...) (١)

قرأ "عاصم" و "حمزة" و "الكسائي" بالتخفيف ، وقرأ الباقون بالتشديد أراد وا تتظاهرا فأدغموا التاء في الظاء ومن خفف أسقط التاء (٢)

وقد يراعى في أحكام التأنيث دلالة الجمع على القلة أو الكثرة من ذلك قوله تعالى: (تَكَادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ...) (٣)

قرأ "نافع" و "الكسائي" (يكاد) بالياء لأن السموات جمع قلة ، والعرب تُذكّر فعلَ المؤنث إذا كان قليلا ، كقوله تعالى : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ) ، والنسوة عدد قليل (٤) ، والنساء عدد كثير ، والجمع القليل قبل الكثير ، والمذكر قبل المؤنث فحمل الأول على الأول . وقرأ الباقون (تكاد) بالتاء لتأنيث السموات (٥) من ذلك قوله تعالى : (فإن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغلبوا مائتين) (٦)

قرأ "ابن كثير" و "نافع" و "ابن عامر" : (وإن تكن منكم مائة) (فإن تكن منكم مائة صابرة) بالتاء فيهما .

وقرأ "أبو عمرو" الثانية بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء فيهما ، فمن أنث فلتأنيث المائة ، وأن نعتها جاء بالتأنيث (صابرة) ، ومن قرأ بالياء فلأن المائة وقعت على عدد مذكر (٧)

زيادة التاء لغير التأنيث :

تبين مما سبق أن التاء الساكنة في آخر الفعل الماضي تكون للتأنيث فقط ، وأن التاء المتحركة في أول الفعل المضارع تكون مع المؤنث أو غير العاقل الغائب للدلالة على التأنيث ، وتكون مع الحاضر للدلالة على الخطاب مثل (أنت تفعل) ، أما التاء المتحركة في آخر الاسم فتكون للتأنيث ولأغراض أخرى منها :

التاء الفارقة بين الواحد والجنس مثل : نحل ونحلة ، وزهر وزهرة ، وحمام وحمامة ، من

---

(١) التحريم ٤ (٢) حجة القراءات ص ٧١٤ (٣) مريم ٩٠
(٤) ليس في كلام العرب ص ٢٣٢ (٥) حجة القراءات ص ٤٤٨ (٦) الانفال ٦٦
(٧) حجة القراءات ص ٣١٢ .

الصحيح ، وحصى وحصاة ، ونوى ونواة ، من المعتل ، قال "الفراء" : (يأتى نوع آخر من الجمع ، مثل الشاء والبقر والحص ، فهذا اسم موضوع ، فإذا أرادت العرب إفراد واحده قالوا : شاة للذكر والأنثى ، لم ترد بالهاء هاهنا ، التأنيث المحض ، إنما أرادوا الواحد ، فكرهوا أن يقولوا : (عندى جراد) وهم يريدون الواحد من الجراد ، لأنهم لو فعلوا ذلك ، لم يعرف واحد من جمع فجعلت الهاء دليلا على الواحد) (١)

وهذا النوع من الأسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث ، قال "ابن الأنبارى" : (كل اسم من أسماء الأجناس التى تدخل التاء فى واحده فرقا بينه وبين الجمع نحو : نحل ونحلة ، وتمر وتمرة .... فإنه يجوز فيه التذكير والتأنيث) (٢)

ومن الشواهد على جواز ذلك قوله تعالى :

- (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ...) (٣)
- (... إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ...) (٤)

ومنها تاء المبالغة كالتاء فى هُمَزَة ولُمَزَة وضُحَكَة ، يقال : رجل ضحكة وامرأة ضحكة ومثلها التاء فى رَاوِية ، ونَهَّامة وشُنُوءة وعَلَّامة ونحوها وقيل : هى فى علَّامة لزيادة المبالغة فى (علّام) . ومذهب "أبى هلال" فى (الفروق) أن الهاء فى (علّامة) لتأنيث الجماعة . قال : (الفرق بين علّام وعلّامة أن الصفة بعلام صفة مبالغة ... وعلامة وإن كانت للمبالغة فإن معناه ومعنى دخول الهاء فيه أنه يقوم مقام جماعة علماء فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التى هى فى معناه ، ولهذا يقال : (الله علام) ولا يقال (علامة) (٥)

ومنها تاء التعويض : وهى التاء التى يؤتى بها فى آخر الكلمة للتعويض عن حذف الفاء نحو : هبة وعدة أو العين نحو : إضافة وإقامة ، أو اللام مثل سَنَة وشفة .

وقد تأتى التاء للتعويض عن حرف زائد ، فالتاء فى (تزكية ، وتضحية) ونحوها عوض عن الياء فى المصدر القياسى من (فَعَّل) وهو : (تفعيل) ، و (تزكية) قياسها الأصلى

---

(١) المذكر والمؤنث ٦٩ (٢) البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٨٢
(٣) النحل ٢٨ (٤) البقرة ٧٠ (٥) الفروق فى اللغة ص ٧٩

تزكيـى ، ثم حذف المد الزائد وعوض عنه بالتاء فصار تزكية .

وقد تأتى التاء معاقبة للمد الزائد فى صيغة مفاعيل نحو : عالقة وعاليق ، وزناد قـة وزناديق .

وتأتى التاء عوضا عن ياء النسب فى المفرد نحو : أشاعثه وأزارقة .

وتزاد التاء فى صيغ الجمع مثل : فُعَلَة : يضم فتتح ، ويطرد فى وصف عاقل علـى وزن فاعل معتل اللام مثل : غُزَاة ورُماة ونُحاة فى جمع غازٍ ورامٍ وناحٍ ، والأصل غُزَوَة ورُمَيَة ونُحَـوَة ، قلب حرف العلة ألفا لتحركه وانفتاح ما قبله ، فإن كان الوصف صحيح اللام جمع على فَعَلَـة بفتحات ، نحو : ساحر وسحرة وكاتب وكتبة وبار وبررة قال تعالى :

- (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (١)
- (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ - كِرَامٍ بَرَرَةٍ) (٢)

وسمع الجمع على فُعُولَة فى كلمات قليلة مثل عُمومة وخُؤولة وذُكورة وعُمولة قال تعالـى : (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) (٣)

كما تزاد التاء للدلالة على المرة كقوله تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)(٤) أو الهيئة نحو : اركع رِكْعَةَ الخاشعين ، وقد يكون بناء المصدر الأصلى بالتاء مثل : رحمـة ونعمة ونحوها .

اختلاف رتبة الأصـل عن الفرع :

يتضح مما سبق أن ظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة وإن تفرعت مسائلها إنما تعـود إلى أصل لغوى يؤلف بينها هو اختلاف رتبة الأصول عن الفروع ، ومن الظواهر الدالة علـى ذلك فيما يتصل بموضوع البحث .

١ - ظاهرة المنع من الصـرف :

والممنوع من الصرف فرع فى الأسماء ، أشبه الفعل فأعطى حكمه فى المنع من التنويـن

---

(١) طه ٧٠ (٢) عبس ١٦، ١٧ (٣) البقرة ٢٢٨ (٤) الحاقة ١٣

ومن الجر بالكسرة لاختصاصها بالأسماء .

فكما أُعرب الفعل لمضارعته الأسماء منع الاسم من الصرف لمضارعته الأفعال. والفعل متفرع من الاسم في اللفظ لاشتقاقه من المصدر ، وفي المعنى لاحتياجه في إفادة معناه إلى الفاعل ، فأعطى الفرع من الأسماء بعض أحكام الفرع وهي الأفعال .

ولا يمنع الاسم من الصرف إلا إذا أشبه الفرع في شيئين ، قال " الزجاج " : (واعلم أنّ جميع ما لا ينصرف من الأسماء فإنما امتنع من الصرف لشيئين من الفرع يدخلانه ، فيخرجانه من أصل التمكن وأصول الأسماء) (١)

ومن العلل التي تمنع الاسم من الصرف (التأنيث) ، قيل : (لأن التذكير قبل التأنيث ، ألا ترى أنك تقول : قائم ثم تقول : قائمة فيدخل التأنيث على التذكير ، ونقول في كل معلوم (هو شيء) قبل أن يعلم أذَكَرٌ هو أم أنثى ، والشيء ذكر) (٢)

ولا يمنع الاسم من الصرف لعلة واحدة ، فإن قيل : بل يمنع لوجود ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة .

فالجواب أن ما دخلته ألف التأنيث يمنع من الصرف لعلّتين وإن كان ظاهر اللفظ يوهم خلاف ذلك لأن الألف لم تلحق الاسم بعد تمام بنائه كالتاء ، ومن ثم صار تأنيثه مخالفا لجهة التأنيث الأصلية، فالتأنيث فرع وهو العلة الأولى ، ومخالفة الجهة الأصلية للتأنيث فرع ، وهي العلة الثانية ، والشيئان إذا تضارعا من بعض الجهات، فقد يحمل بعضهما على بعض .

٢ ـ تأنيث الجمع :

قال " المبرد " : (اعلم أن كل جمع مؤنث لأنك تريد معنى جماعة ، ولا تُذَكِّر من ذلك إلا ما كان فعله يجرى بالواو والنون في الجمع وذلك كل ما يعقل ، تقول مسلم ومسلمون ، كما تقول : قوم يسلمون) (٣)

---

(١) ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٢ (٢) المرجع السابق ص ٣
(٣) الكامل في اللغة والادب ٢/٣٧٧

وعلة ذلك أن الجمع فرع عن المفرد ، فأعطى حكم المؤنث لأنه فرع المذكر ، ويستثنى من هذا الحكم جمع المذكر السالم لاختصاصه بالعقلاء من الذكور ، ولأصالة الجمع السالم لعدم تغير صورة مفرده ، والثابت أصل للمتغير ، ومن هنا جاز تأنيث الفعل مع جمع التكسير وإن أسند إلى العقلاء من ذلك قوله تعالى : (قَالَتِ الأعراب آمنا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ولكن قُولُوا أسلمنا ولما يَدْخُلِ الإيمانُ فِي قُلوبكم ...) (١)

- (فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وهو قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المحراب) (٢)

قرأ " حمزة " و " الكسائي " (فناداه) بألف مالة ، وحجتهما أن الذي نادى " جبريل " والتقدير : فناداه الملك فأخرج الاسم الواحد بلفظ الجمع ، وقرأ الباقون : (فنادته) بالتاء ، وحجتهم إجماع القراء على قوله تعالى : (تحمله الملائكة) ، (وإذ قالت الملائكة) .

وقال " الزجاج " : (الوجهان جميعا جائزان لأنّ الجماعة يلحقها اسم التأنيث لأن معناها معنى جماعة ، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير ، كما يقال : جمع الملائكة ... ويجوز أن يقول : (نادته الملائكة) ، وإنما ناداه جبريل وحده لأن معناه : أتاه النداء من هذا الجنس) (٣)

وقد جاز تأنيث الفعل مع جمع التكثير وإن كان لفظ الملائكة مما يجرى فعله بالواو والنون ، قال تعالى : (وَتَرَى المَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم ..) (٤)

أما غير العاقل فيطرد فى جمعه حكم التأنيث ، قال تعالى فى الأصنام : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِن النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥)

وربما أُعطِى غير العاقل هذا الحكم لأن الاسم المؤنث كان يقع على بعض هذا الضرب فيجمع الذكر والأنثى . قال " المبرد " : (فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث ، إلا أنك

---

(١) الحجرات ١٤ (٢) آل عمران ٣٩ (٣) حجة القراءات ١٦٢
(٤) الزمر ٧٥ (٥) ابراهيم ٣٦

إن عرفت الذكر قلت : هذا عقرب ... وتقول : هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى ، وهذا دجاجة وهذه دجاجة ... ثم يخص الذكر بأن يقال ديك) (١)

٣ ـ بناء فعالِ على الكسر :

قال " المبرد " : (اعلم أنه لا يبنى شيء من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته) (٢)

ومعنى ذلك أنّ (فَعَالِ) معدول عن فاعِلَة وهى فى المعرفة لا تنصرف فعدل (فعالِ) إلى البناء لأنّ الفروع تنحط عن رتبة الأصول ، وليس بعد المنع من الصرف إلا البناء .

وبنى (فعالِ) على الكسر لأنه من علامات التأنيث ، فالضمير المنفصل والمتصل يبنى مع المؤنث على الكسر ، يقال : (أنتِ فعلتِ) و (إياكِ والكذبَ) و (إنّكِ خلوقة) ، ومما يأتى على فعال :

١ ـ اسم الفعل ، نحو : نَزَالِ ، وتراكِ ، وحذارِ ، قال الشاعر :

هى الدنيا تقول بِمِلْءِ فيهـا ... حَذَارِ حذار من بطشى وفتكى

فهذه الأسماء معدولة عن المنازلة والمتاركة والمحاذرة ، وهى مؤنثة معرفة ، ودليل تأنيثها قول الشاعر : (٣)

وقد عَلِمَت سلامة أن سيفى ... كريه كُلَّما دُعِيت نَزَالِ

٢ ـ الصفة الغالبة ، كقولهم حَلَاقِ للمِبْيَضة لأنها حالقة ، قال الشاعر (٤)

لحقت حلاقِبهم على أكسائهم ... ضرب الرقاب ولا يهم المغنم

ومنه قولهم فى النداء : يا فَسَاقِ ويا خَبَاثِ يريدون : يا فاسقة ، ويا خبيثة .

---

(١) الكامل فى اللغة والادب ٢/٣٧٨ (٢) الكامل فى اللغة والأدب ١/٣٧٨
(٣،٤) المرجع السابق ١/٣٧٩

٣ ـ أعلام الإناث ، نحو : رَقَاشِ. وحَذَامِ وقَطَامِ، فهى معدولة عن راقشة وحاذمة وقاطمة وهو عند أهل الحجاز مبنى على الكسر ، لأنه معدول فى الأصل وسمى به ، قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصد قولها ٠٠ فإن القول ما قالت حذام

أما بنو تميم فبعضهم يمنعه من الصرف ، وجمهورهم يبنى على الكسر ما كان مختوما بالراء مثل : سفارِ ويمنع من الصرف ما كان مثل حذامِ ورقاشِ ٠

٤ ـ ما عدل عن المصدر نحو : فَجارِ علما للفجور ، وحَمَادِ ، علما للحمد ، قال المتلمس فى ذم الخمر[1]

جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى ٠٠ طوالَ الدهر ما ذكرت حَمَادِ

يريد : قولى لها جمودا ولا تقولى لها حمدا ٠

٤ ـ نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة :

هذه الظاهرة ترتبط بمسألة الأصالة والفرعية ، لأن العرب جعلوا الضمة علامة الرفع فى جمع المؤنث السالم ، والكسرة علامة للجر ، أما النصب فلم يجعلوا له علامة كيلا يكون للمؤنث ثلاث علامات وهو فرع ، ويكون لجمع المذكر علامتان وهو أصل ، وجعلوا النصب على حكم الجر لاختصاص الجر بالأسماء ٠

٥ ـ قلب ياء المتكلم تاء فى باب النداء :

إذا كان المنادى المضاف إلى ياء المتكلم لفظ (أب) أو (أم) جاز إبدال الياء تاء مكسورة غالبا ، وقد تفتح ٠

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣٧٩

وقد ورد من ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم :

- (يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) (١)
- (يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (٢)
- (يا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) (٣)
- (يا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) (٤)

وجاء على لسان سيدنا يوسف قوله تعالى : (يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (٥)

ويتبين من هذه المواضع أن التاء التى شاع استعمالها للدلالة على التأنيث لا تبدل من ياء المتكلم إلا فى مقام اللين والملاطفة ، وهى من الصفات التى تغلب على نوع الجنس .

ومذهب "الزجاجى" فى الجمل أن التاء فى (يا أبت) للتأنيث ، ودليل ذلك قوله : (ولا يجمع أيضا بين علامة التأنيث وياء الإضافة فى نداء ولا غيره ، لا يقال : يا أبتى بإثبات الياء ولا يا أُمَّتِي ، لأن علامة التأنيث فيهما عوض من ياء الاضافة) (٦)
قيل : (إنما يمتنع الجمع بين علامة التأنيث وياء الاضافة فى (يا أبت) و (يا أمت) خاصة ، وكلام "أبى القاسم" يوهم أن ذلك ممتنع فيهما وفى غيرهما لأنه قال : فى نداء ولا غيره قال الله تعالى : (ولأُتِمَّ نعمتى ...) (٧)

وتفسير ذلك أن التاء فى (يا أبت) جاءت مخالفة للجهة الأصلية للتأنيث ، فصارت فرعا عن التاء فى مثل نِعْمة وذُرِّية والفروع تنحط فى رتبتها عن الأصول ومن ثم جاز الجمع بين التاء الأصلية والياء فى مثل (ذريتى) وامتنع الجمع بينهما فى (يا أبت) والله أعلم

٦ - التاء فى القسم :

التاء من الحروف المستخدمة فى القسم ، ولأصالتها فى الدلالة على التأنيث صارت

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) مريم ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ (٥) يوسف ٤
(٦) ، (٧) اصلاح الخلل الواقع فى الجمل للزجاجى ص ٢٣٨

فرعـا فى مجال القســم •

والدليل فى هذه المسألة على أن الفرع لا يرقى إلى رتبة الأصل أنهم أدخلوا البـاء على الظاهر والمضمـر لأنها أصل حروف القســم ، وأدخلوا الواو على الظاهر فقط ، وإنْ كانت أعم تصرفـا من البـاء لأنها فرع عنها ، أما التاء فلم يدخلوها على كل ظاهـر بـــل أدخلوها على لفظ الجلالة أو رب الكعبة واستعملوها فى التعجـب ، وقد ورد من ذلـك فى القرآن الكريم قوله تعالى :

- (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الأَرْضِ ...) (١)
- (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً ...) (٢)
- (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِيـنَ ...) (٣)
- (قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ القَدِيـمِ) (٤)
- (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَـرُونَ) (٥)
- (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) (٦)
- (وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) (٧)
- (قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِيـنِ) (٨)

ويتضح مما سبق أن ظاهرة التذكير والتأنيث فى اللغة من الظواهر التى تكشف دراستها عن الكثير من أسرار العربية ، ولهذا خص كثير من اللغويين بعض مؤلفاتهم لدراسة المذكـر والمؤنث ومنهم (٩) : "الفراء" ، و "ابن الانبارى" و "المبرد" و "ابن درستويـــه" ، و "ابن خالويه" و "أبو حاتم السجستانى" و "ابن كيسـان" وغيرهم •

وقد كان أكبر همهم المؤنث السماعى ، والوصف الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث لأنهـا من المسائل التى تحتاج إلى علل توضحها وتكشف عن أسرارها •

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) يوسف ٧٣، ٨٥، ٩١، ٩٥ (٥) ، (٦) النحـل ٥٦، ٦٣
(٧) الأنبيـاء ٥٧ (٨) الصـافات ٥٦
(٩) الفهرست لابن النديم ص ١٠٠، ١١٢، ٨٨، ٩٤، ١٢٤، ٨٧، ١٢٠ حسب ترتيـب الاعـلام •

خاتمـــــة :

أوضحت هذه الدراسة المتواضعة أن التذكير والتأنيث في اللغة من الظواهر التي غمضت مسائلها على بعض المستشرقين . ومرد هذا الغموض فيما يرى علماء اللغة ، أن هذه الظاهرة لا تجرى على قياس مطرد ، فالاعداد من ثلاثة الى عشرة تكون بالتاء مع المعدود المذكر ، ومع المؤنث مجردة منها ، وأعلام العقلاء وصفاتهم تأتى مختومة بالتاء ، على حين تأتى أسماء الاناث وصفاتهن بلا دليل للتأنيث ، والتاء التي وضعت فرقا بين المذكر والمؤنث تأتى لاغراض اخرى غير التأنيث كالتصويض ، والمبالغة ، وتمييز الواحد من جنسه ونحو ذلك ، وكم في لغة العرب من ألفاظ لا يلحظ فيها تذكير ولا تأنيث بالمدلول الحقيقي ، فاللفظ يستعمل مذكرا في لهجة ، ومؤنثا في أخرى ، ولهذا وغيره لم يوفق المستشرقون الى حل مسائل هذه الظاهرة حلا جازما - على حد قول برجستراسر - رغم ما يبذلونه من جهد غير مجذوذ .

ودراسة هذه الظاهرة تحتاج الى معرفة الاصل الذى اعتمده العرب لنظم مسائل هذا الباب ، وهو التفريق بين رتبة الاصول والفروع .

فالأصل في لغة العرب مقدم على الفرع ، ومن هنا قدم المذكر لاصالته ، والاصول متميزة بذاتها ، والفروع تفتقر الى علامة تميزها ولذا احتاج المؤنث الى علامة تميزه لانه فرع .

وقد وضع العرب للمؤنث ثلاث علامات ، الألف مقصورة أو ممدودة ، والتاء . أما الألف فانها تبنى مع الاسم ، وتصير كبعض حروفه ، ويتغير الاسم معها عن هيئة التذكير وأما التاء فانها تزاد على الاسم المذكر فيصير مؤنثا دون أن تتغير بنيته ولهذا اعتمدت أصلا في التفريق بين المذكر والمؤنث بخلاف الألف ، يؤيد ذلك أن الاسم يمنع من الصرف لوجود الألف وحدها ، ولم تمنع التاء الا مع علة أخرى ، لان المختوم بتاء التأنيث فيه خروج عن الأصل المذكر من جهة واحدة ، وما دخلته الألف فيه خروج من جهتين ، التأنيث ، ومخالفة الاصل المعتمد للدلالة على التأنيث .

ويؤكد ذلك أيضا أن العرب استخدموا (احدى) فى العدد المركب ، فقالوا : احدى عشرة فى عد المؤنث ولم يقولوا : واحدة عشرة ، لانهم كرهوا اجتماع علامتين للتأنيث فى عدد واحد ، واحدى وان كانت فيها الألف المقصورة علامة للتأنيث الا انها صارت بمنزلة الجزء من اللفظ ،

ومما يؤكد أصالة التاء فى الدلالة على التأنيث أن الألف مقصورة أو ممدودة تقلب تاء فى بعض اللهجات الحديثة ، كما انها انفردت بالدلالة على التأنيث فى الافعال .

ولا يخفى أن التاء اذا زيدت فى الاسم قصدا للتأنيث فان المجرد منها يرتد مذكرا وحينئذ يسهل التفريق بين التاء فى مثل صائمة ، والتاء فى نحلة وتوصية وعلامة ومناذرة وقرية ونحوها .

والمشهور قياس الصفة المشبهة على وزن (فعيل) مثل : كريم وشريف ، وقد يخرج الوصف عن حد الأصالة فيأتى (فعيل) مرادا به مفعول ، فيلزم التفريق بين الدلالتين بمخالفة الأصل ، وتتحقق المخالفة باستعمال الفرع مجردا من التاء مع المؤنث .

كذلك يستوى وصف المذكر والمؤنث فى (فعول) بمعنى (فاعل) للتفريق بينه وبين فعول بمعنى مفعول . واطرد الحكم فى بعض صفات المبالغة التى غلب استعمالها فى وصف المذكر .

وعلامة التأنيث فى الفعل التاء وحدها ، وجاءت التاء الساكنة فى آخر الماضى خالصة لهذا الغرض ، أما التاء فى أول المضارع فانما زيدت أصلا للدلالة على المضارعة فى مثل : أنت تسمع وهى مع المؤنثة الغائبة للدلالة على المضارعة والتأنيث .

ويتبين من ذلك أن التاء تزاد مع الاسم أو الفعل للدلالة على التأنيث ، ويتخلف هذا القياس فى باب العدد ، حيث تحذف التاء من عدد المؤنث ، وتثبت فى عدد المذكر لان الثلاثة فما فوقها الى العشرة أسماء جماعات مثل : زمرة وطائفة وفرقة وجماعة ، فالاصل أن تكون بالتاء لتوافق نظائرها ، فجعل الأصل مع المذكر لتقدم رتبته وانه أصل المعدود ، وحذفت التاء مع المؤنث فرقا لتأخر رتبته .

مراجع البحث :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى .
٣ ـ حجة القراءات ـ لابى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق سعيد الافغانى ط ٣ مؤسسة الرسالة .
٤ ـ الاشباه والنظائر فى النحو ـ جلال الدين السيوطى ـ مكتبة الكليات الازهرية
٥ ـ اصلاح الخلل الواقع فى الجمل للزجاجى ـ لعبد الله بن السيد البطليوسى ـ دار المريخ ـ الرياض ١٩٧٩ .
٦ ـ البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ـ لابى البركات بن الانبارى ـ تحقيق ـ د . رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ .
٧ ـ حاشية الصبان على شرح الاشمونى ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى .
٨ ـ كتاب سيبويه ـ لابى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .
٩ ـ الكامل فى اللغة والأدب ـ لابى العباس المبرد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .
١٠ ـ المذكر والمؤنث ـ لابى زكريا يحيى بن زياد الفراء ـ تحقيق د . رمضان عبد التواب ـ مكتبة دار التراث ١٩٧٥ .
١١ ـ ما ينصرف وما لا ينصرف ـ لابى اسحق الزجاج ـ تحقيق هدى قراعة ـ القاهرة ١٩٧١ .
١٢ ـ ليس فى كلام العرب ـ لابى الحسين بن أحمد بن خالويه ـ تحقيق أحمد عبد الغفور ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٣ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ جلال الدين السيوطى ـ دار المعرفة ـ بيروت
١٤ ـ فى اللهجات العربية ـ د . ابراهيم أنيس ـ مكتبة الانجلو المصرية ط ٤
١٥ ـ الفروق فى اللغة ـ لابى هلال العسكرى ـ دار الافاق الجديدة ـ بيروت .
١٦ ـ الفهرست ـ لابن النديم ـ دار المعرفة ـ بيروت .
١٧ ـ المزهر فى علوم اللغة ـ جلال الدين السيوطى ـ مطبعة محمد صبيح .
١٨ ـ أساس البلاغة ـ للزمخشرى ـ بيروت ١٩٦٥ .
١٩ ـ معجم مقاييس اللغة ـ لابى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق ـ عبد السلام هارون ـ دار الكتب العلمية ـ ايران .

أثر الأصوات في فهم الظواهر اللغوية

د/محمد صلاح الدين مصطفى بكر

قسم اللغة العربية

كلية البنات

جامعة عين شمس

اللغة - في ضوء علم اللغة الحديث - منظمة تحتوى العديد من الأجهزة التى تعمل في تعاون وتناسق لتصل الى الغاية المرجوة ، وهى الوصول الى الفهم التام للمعنى اللغوى (صرفا ونحوا ودلالة) ، مشبهة في ذلك الجسم الانسانى الذى يشتمل على عدة أجهزة لكل منها نظام خاص به لكنه يعمل في تناسق تام مع الأجهزة الأخرى بحيث تؤدى هذه الأجهزة وظيفة عامة واحدة هى الحفاظ على حياة الانسان على أكمل وجه . (١)

وقد يبدو للوهلة الأولى أن المعنى لا يتوقف فهمه كثيرا على معرفة خصائص الأصوات ، وأن البحث في الصرف والنحو له الأهمية الأولى . وذلك أدى الى اعتقاد البعض أنه من السهل تعلم اللغة وإتقانها دون معرفة جيدة بأصواتها ، وذلك وَهْمٌ يدل على جهل بحقائق الأمور ، فان عُدَّ الخروج على قواعد النحو خروجا على المعيار الصحيح ، حُكِم بالمثل على الخروج على قواعد النطق . (٢)

إن علم الأصوات - كما يراه هنرى سويت - أساس كل دراسة لغوية نظرية وعملية . (٣)

وكما يراه (فيرث) فانه لا يمكن أن تتم دراسة جادة للمعنى لأية لغة مالم تعتمد على قواعد صوتية وأنماط تنغيمية موثوق بها ، ومن المستحيل أن نبدأ دراسة الصرف دون تحديد صوتى لعناصره . أما النحو فهو ناقص بدون دراسة الأنماط التنغيمية أو النماذج الموسيقية للكلام . (٤)

إن الفرق بين الإفراد وفروعه أو التذكير ونقيضه هو فارق صوتى ، كما أن الزوائد واللواحق ناشئة عن فروق صوتية ، وغير ذلك كثير مما يطول ذكره .

لا غرو إذن أن يقول (فيرث) : إنه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات (٥) ولا تقل أهمية الأصوات للنحو عن الصرف ، فالنظام النحوى يعتمد على مجموعة من الأسس ، أحدها ما يقدمه علم الصوتيات للنحو من قرائن صوتية كالحركات

---

(١) أنظر : اللغة بين المعيارية والوصفية ١١٠ - ١١٢
(٢) علم اللغة العام ٢١٨ (٣) السابق نقلا عن : صفحات في اللغة ١٨ - ١٩
(٤) علم اللغة العام ٢١٨ (٥) السابق ٢٤٠ .

والحروف . وتعتمد كثير من قرائن النحو على هذه الحقائق . وقد اعتبرت قرينة النغمة (وهي قرينة صوتية خالصة) إحدى وسائل أمن اللبس في المعنى .

إن الجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة ، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي الذي تأتي به جملة الإثبات ، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة . (٦)

كما أن المعاني النحوية الخاصة (معاني الأبواب) كالفاعلية والمفعولية تعتمد أيضا على القيم الصوتية .

فمعنى الفاعلية يدل عليه ببعض الأصوات القصيرة كالضمة أو الطويلة كالواو ومعنى المفعولية يدل عليه أيضا ببعض الأصوات القصيرة كالفتحة أو الكسرة والطويلة كالياء .

والتعريف والتنكير معنيان نحويان يتحققان بواسطة مبنيين صوتيين (ال) في بداية الكلمة للتعريف ، والنون الساكنة في بعض الكلمات المبنية على الكسر للتنكير . (٧)

نقول : "سيبويهِ" بغير تنوين اذا أردت معينا ، فاذا أردت غير معين قلت : "سيبويهٍ" "وإيهٍ" بالتنوين .

((تفسيرات صوتية لبعض الظواهر النحوية))

إن الأمر قد يتعدى اعتماد النحو على القيم الصوتية الى تفسير بعض الظواهر النحوية تفسيرا جديدا اعتمادا على حقائق صوتية ، ويكون من الخطأ التغاضي عن هذه التفسيرات واللجوء الى التأويل والتعليل . وفيما يلي عرض لبعض هذه التفسيرات

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٦ .
(٧) النحو الوافي جـ ١ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

أولا : التفريق بين الجمل بواسطة التنغيم :

تعتمد اللغة العربية فى تحديد أنواع الجمل ـ غالبا ـ على الأدوات مثل الاستفهام والنفى والنهى والدعاء والعرض والتحضيض والتمنى والترجى وغير ذلك. وهذه الوسائل التى تفرق بين الجمل وسائل كتابية ، تحتاج ـ عند نطقها ـ إلى وسيلة صوتية مسموعة تكون أكثر اقناعا وهى وسيلة التنغيم . وتبرز الحاجة الى هذه الوسيلة أكثر فى اللهجات الحديثة التى ـ غالبا ـ ما تهمل استعمال الأدوات. وهل يمكن أن يفهم هذا البيت الخالى من أداة الاستفهام إلا على أنه استفهام وهو قول ابن أبى ربيعة :

قالوا : تحبها ، قلت : بهرا عدد النجوم والحصى والرمال

إن إلقاء البيت على طريقة الاستفهام يغنينا عن أداته ، يدل على قصده الاستفهام قوله (بهرا) والبهر لا يكون فى التقرير ، وانما فى التعجب أو الانكار أو الاستفهام (٨).

على أننا اذا قرأنا جملة .. تحبها .. بصورة تنغيمية أخرى فاننا قد نفهم منها نمطا آخر من الجمل ، فقد نقرأ بصورة يستفاد منها معنى التقرير للتأنيب ، أو التعبير أو الإلجاء إلى الاعتراف ، وقد نقرأ بصورة ثالثة يفهم منها معنى التعجب ... الخ .

ومثل البيت السابق قوله تعالى :

" يأيها النبى لِمَ تُحَرِّمُ ما أحل اللهُ لكَ تبتغى مرضاة أزواجك " ١ ـ التحريم الجملة (تبتغى مرضاة أزواجك) إن قرئت بصورة تقريرية لا تؤدى المعنى المطلوب لأنها ـ حينئذ ـ لبيان سبب التحريم ، فتكون علاقتها بالاستفهام السابق (لِمَ تُحَرِّمُ ما أحل الله لك) علاقة السبب بالمسبب ، فهما معا كلمة صوتية واحدة. وان قرئت بصورة الاستفهام التعجبى (وهذا هو الأصل فيها) فان المعنى يتغير وتكون الجملة استفهاما تعجبيا وإنكاريا من الله لرسوله أن يكون هذا موقفه من الأوامر والنواهى الإلهية التى ينبغى ألا تراعى فيها علاقة انسان بآخر مهما

---

(٩) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٧ .

كـــان ، لذلك قـرر المفسرون أن جملة (تبتغـى) جملة استفهامية ، وتقرير الكـــلام (أتبتغـى) ثم حذفـت الهمزة استغناء عنها بقرينـــة النغمـــة . (٩)

(١٠)
وقد قـال الزمخشـرى : " وتبتغـى إما تفسير لـ (تحزم) أو حال أو استئناف ومعنى ذلك أن الزمخشـرى قرأها بصورة تقريريـة . وعلى معنى التفسير أو الحـــال يكون المجموع كـتلة صوتيـة واحدة ، وذلك كلـه معتمد على قرينة النغمـة .

وعلى خلاف ماتقدم فقد توجـد أداة الاستفهام والأسـلوب تقريرى ، كقوله تعالى :
" هـل أتـى على الانسان حين من الدهـر لم يكن شيئا مذكورا " ١ ـ الانسان .
قـ (هل) هنا ليست على بابها ، بـل هى للتقرير ، وهى بمعنى (قد) التـــى للتحقيـق . قـال الامام الزمخشـــرى : (١١)
.. هـل بمعنى (قـد) فى الاستفهام خاصـــة . والأصـل (أهل) بدليل قوله :
" أهـــل رأونا بسـفح القـاع فى الأكـــم "
فالمعنـى : " أقـد " أتى على التقريـر والتقريب جميعا ، أى : أتـى على الإنسان قبـل زمان قريـب حين من الدهـر لم يكن فيـه شـيئا مذكورا . ولا يفهم التقريـر من (هـل) إلا اذا قرئـت بصورة صوتيـة مختلفـة عن الاستفهام الحقيقـى .

أثـر النبـر فـى تحديد أنماط الجمـل :

قد لا يكون للنبـر أثر دلالـى فى المفردات ، لكن له أثر فى التراكيب حيث يساعد فى تحديـد أنماطهـا . فالمكان الذى يقـع عليه النبـر يحدد نوع النمـط الجملى ، مثـال ذلك ما مثـل به عبد القاهـــر :

وما أنا أسـقمت جسمى بـــه ولا أنـا أضرمـت فى القلب نـارا

فالنبـــر يقع على ضميـر المتكلم فى كلا الشطريـن ، فيتوجه معنى النفى الى الضميـــر خاصـــة بدلا من أن يتوجـه النفى الى مجموع الجملـة ، كما هو الشأن مع الأدوات .

---

(٩) أنظـر : علم اللغة العـام : الأصـوات ٢٤٦ .
(١٠) الكشـاف جـ ٤ صـ ٤٥١
(١١) الكشـاف جـ ٥ صـ ٥٢٢ .

فنفى الضمير يحول النفى من نفى عام للجملة كلها الى نفى خاص للضمير ، أى للصيغة المنبورة فقط . وقد وصل الإمام عبد القاهر قريبا مما وصل اليه المحدثون فى ذلك العصر البعيد فقد قال فى حديثه عن نفى المسند اليه :

" إذا قلت : ما فعلت . كنت نفيت عن نفسك فعلا لم يثبت أنه مفعول . وإذا قلت : ما أنا فعلت . كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول . تفسير ذلك : أنك اذا قلت : " ماقلت هذا " كنت نفيت أن تكون قلت ذاك وكنت تو ظرت فى شىء لم يثبت أنه مقول . واذا قلت : ما أنا قلت هذا كنت نفيت أن تكون أنت القائل له وكانت المناظرة فى شىء ثبت أنه مقول . (١٢)

وقد قال أيضا فى البيت الذى أوردناه :

وما أنا أسقمتُ جسمى بهجره ولا أنا أضرمتُ فى القلب نارا

فالمنفى هو الاسمُ لا الفعلُ ، فالسقم ثابت موجود ، وليس القصد بالنفى اليه ، ولكن أن يكون هو المتسبب والمحدث له .

وعبد القاهر وإن لم يصرح بمسألة النبر لكن تحويل الكلام المكتوب إلى منطوق يلزمنا بالنبر على الكلمة المراد توجيه النفى اليها .

ويتغير موقع النبر ، بتوجيه المعنى إلى الصيغة المنبورة أكثر من غيرها ، ويتحدد على أساس من ذلك المعنى ، ففى مثل عبارة :

(أنا لم أحنث فى يمينى لهذا الرجل)

قد يقع النبر على الضمير أو النفى أو الفعل أو اسم الاشارة ، وكلما تغير موقع النبر تغير المعنى تبعا له . وقد تكلم عبد القاهر فى ذلك وان كان لم يذكر النبر تصريحا .

---

(١٢) دلائل الاعجاز ٩٧ .

ثانيـــا : التفريـق بين الخبر والصفة عن طريق النغم الصاعد والهابط

يتفـق النحاة على أن الخبـــر هو الجـزء المتم الفائـــدة للمبتدأ ، والنعت ليس كذلك ، فهو متم لمتبوعـه فقط ، وليس للجملة كلها ، فهو : (١٤)

" التابع الذى يكمـل متبوعـه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به " (١٥)

فالفـــرق بين الخبـر والنعـت من وجوه . أهمها الوظيفـــة .

فالخبـر لإتمام المعنـى والنعـت لتـخصيص المتبوع النكرة وتوضيح المعرفة . (١٦)

وقد تصلـح الصيغـة لكل منهما ، اذا كانت اسما مقترنا بأل مرفوعا بعد مبتدأ مُعـرَّف، كقولـه تعالـى :

" الـم . ذلك الكـتاب لا ريب فيه " ١ ـ البقـــرة .

اننا يمكن أن نقـف عند (فيه) دون أن يتخـلل العبارة تغييـر فى النغم ، أى تكـون النغمـة مستوية لا صاعـدة ولا هابطـة . ففيكون الخبـر هو قوله تعالى : " لا ريب فيـــه " والمبتـدأ هو (ذلك) و (الكـتاب) بدل أوبيـان له .

ويمكن أن يكون الوقـف عند (الكـتاب) وينتهى الكلام بنغمـة هابطـة فيكون هـــو الخبـــر . أى أن التنغيـم وإمكانيـة السكـتة يحددان كون الصيغة خبرا أو نعتـــا ، ويمكن أن نضـع المعادلـة التاليـــة :

١ ـ (اسم معرفة + إمكانية السكتة + صفة معرفة + نغمة هابطة = خبـــر .

٢ ـ (اسم معرفة + عدم وجود سكته + صفة معرفة + نغمة صاعدة = صفـــة .

ان النَّغَـم الهابط يعنى انتهاء الكلام وحصـول الإفادة ، وذلك مايجعـل الصيغة خبـرا ، والنغمـة الصاعـدة تعنى عدم انتهـاء الكلام وأن الفائـدة لم تتم . وهـــذا مايجعـل الصيغـــة نعتـــا . (١٧)

ولقد فـرق النحاة بين النعت والخبـر فى مثل هذه المواضـع بزيادة ضمير الفصـل

---

(١٤) شـرح المفصـل جـ ١ صـ ٨٧ .
(١٥) شـرح التصريح جـ ٢ صـ ١٠٨
(١٦) شـرح قطـر الندى صـ ٤٠٢
(١٧) علم اللغة العام : الأصـوات ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(العماد) لأنه يفصل بين كون الكلمة خبرا أو نعتا ، كما فى قوله تعالى :
" إن هذا لَهُو القصصُ الحقُّ " .
فالاسم المعرفة (القصص) خبر لوجود ضمير الفَصْل ، وفى قوله تعالى :
" إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم " ٩ ـ الاسراء
بيان أو بدل لعدم وجود ضمير الفصل .

ثالثا : النعت بالجملة الاستفهامية

يشترط فى الجملة الواقعة خبرا أو صفة أو صلة أو حالا أن تكون خبرية " لأن وظيفتها فى هذه المواقع التوضيح أو التخصيص أو التعريف أو التقييد وهذه المعانى أو الوظائف لا تكون إلا اذا أديت بجملة تضمنت حكما معلوما حصوله للمخاطب . ولا يكون ذلك إلا للجملة الخبرية . وأما الإنشائية فلا تؤدى هذه المعانى إلا بتأويل وتعسف . ذلك لأن المخاطب لا يعرف مضمون الجملة الإنشائية إلا بعد التلفظ بها " . (١٨)

فلما جاءت الجملة الاستفهامية نعتا فى قوله :

حتى اذا جَنَّ الظلامُ واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

تأولوها وقالوا : إن النعت فى الأصل ليس الجملة الاستفهامية ، وانما هو مفرد محذوف تقديره (مقول فيه) .
فما وجهة نظر علم الأصوات تجاه النعت بالجملة الانشائية ؟ وما التفسير الصوتى المقبول للنعت بهذه الجمل ؟

ان النغمة الصاحبة لنطق هذه الجمل خالية من نغمة الاستفهام . وهى نغمة تقريرية خالصة ، يؤيد ذلك الحقائق التالية :

١ ـ لا تطلب هذه الجمل جوابا من المخاطب ، كما يطلب الاستفهام الحقيقى .
٢ ـ يجوز مجىء النداء بعد الاستفهام بـ (هل) ، وهذه لا تقبل مجىء النداء بعدها .
٣ ـ يجوز إبدال الجملة الاستفهامية بالخبرية مع بقاء المعنى ، فتقول :
(جاءوا بمذق يشبه لون الذئب)

(١٨) انظر الأساليب الانشائية .

تدليلنا على ذلك ما اعترض به ابن هشام على النحاة بقوله :

" وما أدرى ما الذى دل النحاة على أن هذا وصف ؟ ويمكن أن يكون ستأنفا . وكأن قائلاً قال : ما صفته ؟ فقال : هل رأيت الذئب قط ؟ أى هو مثله ، فكلامه عن الاستئناف يبين أن الأمر ليس على سبيل الاستفهام . وكذلك قوله (هو مثله) أيضا يشعر بذلك ، والذى يغنى عن كل هذه التعليلات إرسال النغمة الصوتية خالية من معنى الاستفهام .

الأصوات والدلالة

ومما لاشك فيه أن للجرس الصوتى تأثيرا معينا فى الدلالة . واستعمال الكلمات ذات الجرس الصوتى يمنح التعبيرات سمات صوتية معينة ، كما يخلق جوا موسيقيا خاصا يوحى بالمعنى ويجعله قريبا ملموسا . (٢٠)

ولقد استغل الشعراء بوحى من إدراكهم الفطرى العميق طبيعة لغاتهم وأسرارها فى تشييد قصائدهم على نسق لغوى خاص يملك طاقات ايحائية وإبداعية غزيرة .

وقد نبه البلغاء والنقاد واللغويون على أهميته ، فقال الجاحظ :

" الصوت آلة اللفظ ، والجوهر الذى يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف " (٢١)

ورأى ابن سنان الخفاجى : أن مزية الحسن فى اللفظ ترجع الى التآلف فى النغم (٢٢) ، وجعل ابن الأثير أساس المفاضلة بين الألفاظ قيمها الصوتية المحسوسة " لأن الألفاظ داخلة فى حيز الأصوات ، فالذى يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن ، والذى يكرهه وينفر منه هو القبيح " (٢٣)

إن حسن الجرس الصوتى ليس خاصا باللغة العربية بل هو أمر عام شائع فى جميع اللغات . وقد نبّه أرسطو عليه فقال : إن حسن الاسم منه مايكون فى الجرس ، ومنه مايكون فى المعنى وكذلك القول أيضا فى قبحه (٢٤) .

---

(٢٠) دور الكلمة فى اللغة ٧٧
(٢١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٧٩
(٢٢) سر الفصاحة ٥٥
(٢٣) جرس الألفاظ ٢٨٨
(٢٤) جرس الألفاظ ٢٨٠

وقد استرعى انتباه اليونانيين الصلة بين اللفظ ومدلوله ، وبدا من سحر الألفاظ فى أذهانهم وسيطرتها على تفكيرهم أن ربطوا بينها وبين مدلولاتها ربطا وثيقا وجعلوها سببا طبيعيا للفهم والإدراك فلا تؤدى الدلالة الا به ، ولا تخطر الصورة فى الذهن الا حين النطق بلفظ معين . (٢٥)

ونحن اذا سمعنا الشطر الثانى من هذا البيت :

جرت الخيل فقالت حبطقطق حبطقطق

تتجسد - مباشرة فى أسماعنا - هذه الصورة الصوتية وهى وقع حوافر الخيل على الأرض الصلبة وتوالى هذا الوقع على مسافات زمانية ومكانية منتظمة ومتساوية . هذا على الرغم من أنه لا يحمل دلالة أو جمالا ، ان هو الا مجرد وصف لحوافر الخيل حالة اصطدامها بالأرض اليابسة أثناء الجرى . والذى جسد هذه الصورة الصوتية توالى صوتى (الطاء) و (القاف) وهما صوتان مفخمان مطبقان .

ومثل ذلك اجتماع حرفى القاف والضاد وتواليهما وتكرارهما على وزن (فعلل) وهما حرفان أيضا مفخمان أحدهما من أقصى الحنك (القاف) وثانيهما من اجتماع الشدقين ، وهى صورة صوتية تحاكى صوت حنك الذئب وهو يضغ أنيابه طلبا لفريسته ، وذلك فى قوله :

يقضقض عُصْلاً فى أسرتها الردى كقضقضة العصفور أرعده البرد

ونحن نأخذ على الشاعر أنه وإن وفق فى جعل (يقضقض) محاكاة لصوت فم الذئب ، فانه جعل اللفظة محاكاة لاصطكاك شدقى العصفور المرتعد من البرد ففرق كبير بين ارتعاد فم العصفور المرتعد بردا ، وحركة شدقى الذئب الذى يعانى من الجوع والاختلاف من وجوه شتى :

١ - السبب الداعى للقضقضة عند كل منهما .

٢ - الحركة والصوت فى كل منهما . فهى فى العصفور حركة وصوت لا يكادان يسمعان من العصفور ويوجبان الشفقة عليه . وهما مخيفان من الذئب ويوجبان النفور والفرار .

---

(٢٥) انظر : دلالة الألفاظ ٦٢ .

٣ ــ الحجم فى كل منهما ، فشدقا الذئب واسعان ذوا أسنان وأنياب مخيفة، أما شدقا العصفور فيكادان لا يبرسان فضلا عن رؤية ما بداخلهما .

من أجل ذلك قلنا إن الشاعر لم يوفق فى تشبيه حركة فم الذئب بحركة فم العصفور بجامع الاختلاف فى كل منهما .

هذه الصورة التى ذكرها ريتشاردز فى قوله :

" يندر أن تحدث الإحساسات الصوتية للكلمات بمفردها إذ تصحبها أشياء ذات علاقة وثيقة بها بحيث لا يمكن فصلها عنها بسهولة .. وأهم هذه الأشياء هى " الصورة السمعية " أى وقع جرس الكلمة على الأذن الباطنية أو أذن العقل "(٢٦)

وقد قال أرنولد بينيت :

" إن الجرس يعنى جمال الأسلوب ، أى تتابع الأصوات فى البيت الشعرى ، وأنه لا يجد تفسيرا لجمال الأسلوب الذى يفضله القراء إلا أنهم يفتنون لجمال الجرس "(٢٧)

ومن هنا كان رأى اللغويين المحدثين فى الدلالة المعجمية التى اعتبروها دلالة ناقصة عندما لا يصاحبها تلفظ بأصوات هذه الكلمات .

إن المعجم ليس الوسيلة الأولى والأخيرة لتفسير المعانى وتوضيحها ، ان المعجم عادة يقنع بتسجيل المعانى العامة مهملا فى أكثر الأحايين تلك الظلال المعنوية الكثيرة التى قد تفيدها الكلمة فى السياقات المختلفة . هذه المعانى الأخرى إنما يتم ادراكها إدراكا دقيقا فى الكلام المنطوق فى المواقف اللغوية الحية . هذه المواقف وما يرتبط بها من ظروف وملابسات قد أولاها علم الدلالة عناية فائقة ، فحلل عناصرها ، وبين دور كل عنصر فى هذا المجال .

إن دراسة الخواص الصوتية للكلام المنطوق تمثل عاملا أساسيا فى بيان المعنى والكشف عن دقائقها . (٢٨)

ويرى ابن جنى :

---

(٢٦) مبادىء النقد الأدبى ص ١٧١ .
(٢٧) الذوق الأدبى ص ٤٨
(٢٨) انظر علم اللغة العام :الأصوات ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

أن الأصوات تابعة للمعانى . فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت . (٢٩)

وفى ضوء هذه النظرة يرى أن الحركة الطويلة لها زيادة دلالة عن مثيلتها القصيرة . انظر تفسيره لقراءة الحسن البصرى قوله تعالى :

" سأريكم دار الفاسقين " .

فانه قرأها باشباع ضمة الهمزة (سأوريكم) أى جعلها مدا بالواو .

يقول ابن جنى :

" وزاد فى احتمال الواو فى هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده فألحقت الواو فيه " (٣٠)

وابن جنى يذهب فى تفسير الدلالات على أساس صوتى مذهبا بعيدا - وهو الأمر الذى سبق فيه الرمزيين بما يزيد على ألف عام - فهو يرى فرقا بين الصوت الطويل الممتد والصوت القصير المكرر . فجعل لكل منهما معناه ومبناه المناسب له . وهو يفرق بين صوت الجندب والبازى على أساس من ذلك . فيقال للجندب (صر) ، وللبازى (صرصر) وهو ينقل ذلك على لسان الخليل : قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صرّ ، وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا : صرصر " (٣١)

فتكرير الصوت عنده علامة على تكرير الحدث ، من أجل ذلك جاءت المصادر الرباعية المكررة الأصوات لتعبر عن الأحداث المكررة نحو :

(الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والمعمعة ، والجرجرة ، والقرقرة)

كما يعبر عن الأحداث السريعة الحدوث بأصوات متحركة قصيرة متوالية دون فاصل ممتد بينها (أى حروف علة) قال :

ووجدت أيضا (الفعلى) فى المصادر والصفات انما تأتى للسرعة نحو :

البشكى والجمزى والولقى . وهى مصادر تدل على أنواع من السير السريع .

---

(٢٩) أنظر الخصائص جـ ٢ ص ٢١٠

(٣٠) المحتسب ٢٥٩/٢

(٣١) الخصائص ١٥٢/٢ .

قال رؤبة :

أَوْبَشَكَى وخَذَ الظليم النز ٠

وقال الهذلى :

كأنى ورحلى اذا هجرت على (جَمَزَى) جازىء بالرمال
أو أصحم حام جراميزه حزابية (حَيَدَى) بالدَّخال

وقد حذا المحدثون حذو ابن جنى فى تفسير الأصوات القصيرة والطويلة ٠ فتعبر الثانية عن المهلة وتطاول الزمن ، على عكس الأولى (القصيرة) التى تدل على الانتهاء السريع ، ويفسرون على أساس هذه النظرية قول أبى العلاء :

عَلَّلاَنى فإن بيض الأمانى فنيت والظلام ليس بفانى

فالمد فى الكلمة الأولى من الشطر الأول (عَلَّلاَنى) يناسب شكواه الى صديقيه من نضوب آماله ، على حين خلت الكلمة الأولى من الشطر الثانى من المد لتحاكى معنى انقضاء الآمال ٠ فانها تقع سريعة فى النطق لتدل على الفناء السريع (لبيض الأمانى) ٠ والكلمتان الأخيرتان يمتد فيهما الصوت ليحدث تضاد فى النطق بينهما وبين (فنيت) ، ففى الشطر الثانى يدل انقطاع الصوت السريع فى الكلمة الأولى على الدلالة السابقة ليعقبها المد فى كلمتى (الظلام وفانى) ليوحى الصوت إيحاء قويا بأن هذا الظلام ممتد لا نهاية له ٠ (٣٢)

وقد بالغ الرمزيون فى دلالة الصوت وآثروها على الدلالة الاصطلاحية للألفاظ، إن الشاعر قد يترك المعنى المعجمى إلى المعنى الطبيعى الذى فى الجرس أو بعبارة أخرى بدل أن يستعمل الشاعر العلاقة العرفية بين الرمز الذى هو الكلمة ومعناها المعجمى يعمد الى العلاقة الطبيعية بين الرمز الذى هو جرس الكلمة واستجابة الذوق اليه ويجعل هذه الاستجابة هى المعنى على نحو ما فى تذوق الموسيقى ٠ (٣٣)

إن تأثير الكلمات هى التى ينظر فيها عندهم الى توالى وتعاقب الكلمات ٠ وهو مايعبر عنه بالانسجام أو موسيقى اللفظ ٠ وهم لا ينظرون إلى الأصوات المقطعية بل إلى تموجات الأصوات وإلى مقدارها فى عدة جمل ٠ وهذه الموسيقى اللفظية

(٣٢) النقد الأدبى الحديث ٤٦٦
(٣٣) انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١٠٩ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨٠

بلا شك أهم وسائل الانتفاع بالأصوات فى فن الأدب ، لأن هذا الانسجام هو أكبر عامل فى الإيحاء بذلك الجزء من العاطفة والشعور الذى لا يمكن أن تحيا التجارب بدونه . (٣٤)

الدلالات الصوتية فى الأساليب :

إن ما تحدثنا عنه فى آخر النقطة السابقة من مدلول الصوت وأثره فى المعنى عند الرمزيين يسلمنا إلى الدلالة الصوتية فى الأساليب .

والدلالة الأسلوبية — لا شك — هى قمة الدلالات ، ذلك لأن الأسلوب هو جماع اللفظة والتركيب ، ومنهما يتكون ، وهما يسلمان اليه ، فجمال اللفظة أو العبارة ليسا غاية فى ذاتهما ، وإنما ليصلا بنا فى النهاية إلى أسلوب راق جميل .

إن البلاغيين والنقاد — قدامى ومحدثين — جعلوا للدلالة الصوتية القدح المعلى فى جمال الأسلوب ، فلا يكفى — عندهم — أن تكون اللفظة أو الجملة صحيحة . فهذه الصحة — التى يسميها بعض اللغويين المحدثين الصحة الداخلية ويعنى بها المحافظة على سلامة اللفظ نحويا — هذه الصحة هى خطوة ضرورية لابد منها ، ولا يتفاضل فيها كاتب دون كاتب أو شاعر دون شاعر ، وإنما التفاضل فيما بعد ذلك من اختيار الصوت واللفظة والتركيب ، كل منهما يسلم إلى الذى يليه . لذلك كان اشتراط النقاد لبلاغة الأسلوب وعذوبته أن تكون أصواته منتقاة على مستوى اللفظة والعبارة ، وجعلوا الفصاحة وصفا للفظة المفردة ، والبلاغة وصفا للعبارة .

ولقد اهتم البلغاء والنقاد بمسألة التناسب الصوتى وجعلوه مؤديا إلى التعبير الجميل ، إلا عبد القاهر فانه يدل ظاهر لفظه على أنه لم يهتم بمسألة التناسب الصوتى كثيرا بالنسبة للفظة ، لأن جل اهتمامه منصب على النظم الذى لا يتحقق إلا فى الجملة أو العبارة ، فالتخير بالنسبة للفظة يأتى عند عبد القاهر فى المحل الثانى " وهل يقع فى وهم وان جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم ، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية ؟ أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن ؟ وما يكد

(٣٤) قواعد النقد الأدبى ٤١ — ٤٢ .

اللســـان أبعـــد " .[٣٥]

اعتـراف عبد القاهـر بالفـروق بين الألفـاظ من حيث سهولتها وخفتهـا على اللسان اعتـراف ضمنـى بأن الألفاظ تتفاوت ذوقـا وحسنا ، لكنـه يزيد على ذلك أن اللفظـة مهما اختيـر لها من الأصـوات الدالـة فانها لن تحسـن مالم تصادف موقعا يتطلبهـا ، وهذا هو معنى النظـم عنـده .

" وهـل نجد أحدا يقـول : هذه اللفظـة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسـن ملاءمـة معناها لمعانى جاراتها ، وفضـل مؤانستها لأخواتهـا ؟ [٣٦]

إن ظاهـر اللفظ ـ كما ذكرت ـ يدل على أن عبد القاهـر لا يرى للفظـة الواحدة الأثـر الكبيـر ، لكننا اذا عرفنـا أن عبد القاهـر قد أورد شواهد كثيـرة على أن كلمـة مـا يمكن أن تضيـع جمال النظـم فاذا أبدلناها بأخـرى عاد للنظـم رونقه ، اذا عرفنـا هذا عرفنـا أيضـا أن قلة اهتمام عبد القاهـر باللفظـة عندما تكون غير مدرجة فى سياق ، فان أدرجـت فى سـياق فانه حينئـذ يحتفى بها ويجعـل لها الاهتمام كل الاهتمـام كقوله : [٣٧]

" ومما يشـهد لذلك أنك تـرى الكلمـة تروقـك وتؤنسـك فى موضـع ، ثم تراهـا بعينهـا تثقـل عليك وتوحشـك فى موضـع آخر كلفظ " الأخـدع " فى بيت الحماسة :

تَلَفَّتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتُنـى ... وجِعتُ من الإصغاءِ لِيتًـا وأَخدَعَـا

وقـول البحتـرى :

وإنِـى وان بلَّغتنَـى شـرفَ الغِنَى ... وأَعتقْتَ من رقِّ المطامـعِ أخدعِـى

فإن لهـا فى هذين المكانيـن مالايخفـى من الحسـن ، ثم إنك تتأملها فى بيـت أبى تمـام :

يا دهـرُ قَوِّمْ من أخدعَيْـكَ فقد ... أَضْجَجْـتَ هذا الأنـام من خرقـك

فتجـد لها من الثقـل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ماوجدت هناك مـن الـروح والخفـة والإيناس والبهجـة .

---

(٣٥) انظر : دلائـل الاعجاز ص ٨٨ (٣٦) السابق ص ٨٨
(٣٧) السابق ص ٩٠ ـ ٩١ .

نستطيع أن نجد عبد القاهر - رغم احتفائه بالنظم دون الكلمة - فى جملة النقاد القدماء والمحدثين الذين يؤمنون بأنه لا بلاغة - بل ولا فصاحة - للَّفظةِ مفردةٍ ، لأن اللغة لا تتعامل مع لفظة ، وإنما مع ألفاظ منتظمة .

بعد ذلك الذى قررناه لِنَرَ ما قرره النقاد بالنسبة للأثر الصوتى فى الأسلوب على مستوى اللفظة والعبارة .

لن نسرد هنا ماذكره ابن سنان الخفاجى عن الصوت ومناسبته - وكتابه سر الفصاحة هو أول كتاب - فى ظنى - عُنِىَ بأسهاب بهذه المسألة - كما لن نسرد أيضا ماذكره ابن الأثير فى هذا الأمر ، فكلامه فى (المثل السائر) لا يعدو أن يكون تكريرا لما قال ابن سنان وان كان لم يشر الى ذلك ، لكننا هنا فى هذا المقام سنورد ما ذكره ابن جنى عن الرمانى عندما كان يقارن بين التفسير القرآنى فى قوله تعالى : " ولكم فى القصاص حياة " .
وقول العرب : " القتل أنفى للقتل " (٣٨)

ولقد ذكرت كتب البلاغة أن الآية الكريمة تفضل المثل العربى من أحد عشر وجها أو يزيد . ولقد ركز الرمانى على الناحية الصوتية فقط وهى التى تعنينا فى هذا المقام . قال ابن جنى ذاكرا وجهة نظر الرمانى فى " النكت فى إعجاز القرآن " :

" وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مُدرَكٌ بالحس وموجود فى اللفظ فإن الخروج من الفاء الى اللام (فى القصاص) أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة عن اللام فى (القتل أنفى للقتل) . وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء فى (القصاص حياة) أعدل من الخروج من الألف الى اللام فى (أنفى للقتل) .

والسبب فى التلاؤم تعديل الحروف فى التأليف . فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما ، فأما التنافر فالسبب فيه ماذكره الخليل من البعد الشديد والقرب الشديد وذلك أنه اذا كان بَعُدَ البعدَ الشديد كان بمنزلة الطفر . واذا قَرُبَ القربَ الشديدَ

---

(٣٨) انظر : سر الصناعة - المقدمة ص ١٤ - ١٥ .

كان بمنزلة مشى المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده الى مكانه ، فكلا هما صعب على اللسان ،والسهولة من ذلك فى الاعتدال ،ولذلك وقع نفى الكلام الإدغام والإبدال .

والفائدة فى التلاؤم حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ ، وتقبل المعنى فى اللفظ ما يرد عليها من حسن الصورة وطريف الدلالة . (٣٩)

وتفسير الخروج من الفاء الى اللام (فى القصاص) هو أن مد الياء يختلس حتى لا يلتقى ساكنان (الياء الساكنة واللام فى القصاص) أما الهمزة فهى وصل غير منطوقة فيكون النطق بقوله (فى القصاص) هكذا (فلقصاص) يتوالى اللام بعد الفاء مباشرة .

والخروج من اللام الى الهمزة هو فى قوله (القتل أنفى) فان اللام نهاية الكلمة الاولى (القتل) والهمزة أول الثانية (أنفى) وقد فسر الأعدلية للآية دون المثل بأن الصوتين فى المثل تباعدا فى المخرج ، وذلك بمنزلة الطفر كما ذكر فى تفسير الظاهرتين ، ومثل ذلك الخروج ـ فى الآية ـ من الصاد الى الحاء (القصاص حياة) لشبه تجاور الصاد والحاء فى المخرج فهما ليسا بعيدين جدا ولا قريبين جدا ، على عكس الخروج من الألف التى هى من الفاء فى (أنفى) الى لام الجر فى (للقتل) فهما متباعدان فى المخرج .

الفواصل القرآنية :

لقد آثر القرآن التناسب فى الفواصل (نهايات الآيات) قصدا للتأثير النفسى الذى يوصل الى الاقناع . ذلك لأن الإقناع كما يكون بالأحكام والأدلة على اقامة الحقائق يكون أيضا بالوسيلة اليها وهى الألفاظ . ورب حق يضيع اذا لم توجد الوسيلة المناسبة لإقامة الدليل عليه ،وهذا ما نفهمه من قول الزركشى فى قوله : (٤٠)

" واعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما . ولذلك خرج عن نظم

---

(٣٩) انظر : مقدمة سر الصناعة ص ١٦ (٤٠) البرهان فى علوم القرآن

الكلام لأجلها فى مواضع " .

أى إنه من أجل المناسبات الصوتية فى الفواصل (نهايات الآيات) يمكن مخالفة القواعد اللغوية أو ما سماها الزركشى (نظم الكلام) أى أننا فى الفواصل القرآنية تصادف ضرورات أشبه بالضرورات الشعرية . ولو قرأنا سورة من السور القصار من الجزء السادس والعشرين حتى الثلاثين لوجدنا القرآن الكريم يحرص على هذه المناسبات الصوتية . واقرأ إن شئت سورة القمر أو النجم أو الرحمن أو التكوير أو الانفطار أو العاديات فستجد أن الفواصل متناسبة تنتهى كل مجموعة بنهايات واحدة ثم تعقبها مجموعة أخرى تنتهى بنهايات واحدة مختلفة عن الأولى ثم يرجع فى المجموعة التى تليها الى النهاية التى انتهت بها المجموعة الأولى . وهكذا تظل الفواصل فى لف ونشر حتى نهاية السورة . ونلاحظ أن توالى النهايات واختلافها بين المجموعات يخلق نغما صوتيا هو أدعى إلى القبول مما لو انتهت جميع نهايات الصورة بصوت واحد فذلك قد يدعو إلى الرتابة .

وحينما نأخذ سورة النجم مثالا فاننا نجدها تنتهى بالفتحة الطويلة (المد بالألف) حتى قبل نهاية السورة بست آيات ، أى إن ستا وخمسين آية تنتهى بالألف والست الباقية منها اثنتان بالتاء المضمومة (الآزفة) ، (الكاشفة) وثلاثة بثبوت النون (الأفعال الخمسة) (تعجبون . لا تبكون . سامدون) وآية واحدة وهى الأخيرة بواو الجماعة (واعبدوا) .

والآيات الست والخمسون الأولى المنتهية بالألف مقسمة الى مجموعات منها ما يسبق الألف بالواو (هوى ، غوى ، الهوى ، الغوى ، فاستوى) أو اللام مثل : (الأعلى ، فتدلى ، والأولى) ، الى غير ذلك من حروف المعجم المختلفة .

إن الحرص على انتهاء الفواصل بنهايات واحدة قد يدعو الى تغيير بعض من نظم الكلام أى قواعد اللغة ؛ من ذلك : (٤١)

---

(٤١) انظر : البرهان فى علوم القرآن ٦٠ ـ ٦٢ .

١ - زيادة حرف من أجل هذه الفواصل لا يحتاج اليه فى غيرها ، من أجل اطراد المناسبة الصوتية ، كزيادة الألف فى (الظنونا) من قوله تعالى :

" وتظنون بالله الظنونا " .

فان الأصل (الظنون) بدون ألف ، لكن لما كانت الفواصل فى هذه السورة (سورة الأحزاب) منتهية بألفات منقلبة عن التنوين من أجل الوقف زيدت الألف فى الظنونا . فالفواصل مثل هذه الفاصلة هى :

(حكيما ، خبيرا ، وكيلا ، السبيلا ، رحيما ، مسطورا ، غليظا ، أليما ، بصيرا) وكلها تنوين بالفتح ماعدا (السبيل) فينقلب التنوين عند الوقف ألفا .

كما أن مابعدها من الفواصل ينتهى أيضا بالفتحة المنونة حتى آخر السورة باستثناء الآيتين ٦٦ ، ٦٧ (الرسولا ، السبيلا) وزيدت فيهما أيضا الألف حتى تتناسب مع بقية فواصل السورة .

٢ - حذف حرف أصلى من نهاية الفاصلة حتى لا تختلف النهاية الصوتية فيها عن بقية الفواصل السابقة أو اللاحقة . وذلك كما فى حذف الياء من الفعل (يسرى) فى قوله تعالى فى سورة الفجر :

" والليل إذا يسر "

يسكون الراء عند الوقف عليها ، وهو سكون ممنوع بالرغم من سبقه بساكن لأنه يسمح بالتقاء الساكنين فى الوقف .

وحذفت الياء من (يسرى) وسكنت الراء طلبا للتوافق الصوتى مع الفواصل السابقة عليها وهى :

(الفجر ، عشر ، الوتر) والفاصلة التى بعدها وهى (حجر) .

٣ - تأخير ما أصله أن يقدم كقوله تعالى :

" فأوجس فى نفسه خيفة موسى " ٦٧ طه .

بتأخير الفاصل العائد عليه الضمير . والأصل :

" فأوجس موسى خيفة فى نفسه " أو " فأوجس موسى فى نفسه خيفة " .

ذلك لأن من شرط العائد أن يعود من متأخر على متقدم . وان كان قد سمح

بذلك لأن الفاعل وإن تأخر فى اللفظ فهو متقدم فى الرتبة وهو أمر سمح به النحويون . (٤٢)

أما لماذا سمح بأن يتأخر اللفظ العائد عليه الضمير على خلاف الأصل فذلك لأن الفاصلة هنا صوت الفتحة الطويلة (المد) فالمد هو الوضوح السمعى المتردد فى أكثر من مائة آية من مجموع مائة وخمس وثلاثين آية . والفواصل السابقة على هذه الفاصلة مباشرة هى ألفات ومابعدها أيضا ألفات ولو جىء بالترتيب الأصلى لوقعت الفاصلة هاء ساكنة فى الوقف .

" فأوجس موسى خيفة فى نفسه "

أو تاء مربوطة يوقف عليها بالسكون فتنطق ساكنة أيضا

" فأوجس موسى فى نفسه خيفة "

وكلا هما يقطع التسلسل النغمى المُتَوَقَّع ، وهو صوت الألف (الفتحة الطويلة) (٤٣)

٤ ـ وقد تفرد الفاصلة التى كان حقها أن تجىء على صورة الجمع كقوله تعالى فى سورة القمر :

" إن المتقين فى جنات ونهر " آية ٥٤ .

والأصل : " إن المتقين فى جنات وأنهار "

لأنه لما جمع الجنة على جنات كان مراعاة للمناسبة العددية بين المتعاطفين أن يجمع (النهر) على أنهار . لكن لما كانت الفواصل قبلها تنتهى بسرا ء ساكنة فى الوقف ، وكذلك الفاصلة الأخيرة التى تنتهى بها السورة فالفاصلة الأخيرة هى (مقتدر) والفواصل السابقة عليها مباشرة بدءا مما يجاورها مباشرة وانتهاء بالابتعاد عنها فى اتجاه بداية السورة هى على الترتيب : (الزُّبُرْ ، مُدَّكِر ، بالبَصَرْ ، بقَدَرْ ، سَقَرْ ، سُعُر ، أَمَرٌ ، الدُّبُرْ ، مُنْتَصِرْ) .

---

(٤٢) انظر : شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٤٣) تتوزع الفواصل فى سورة طه بين المد بالألف وهو أكثرها ، وصوت الياء سواء أكانت حرف علة (مد) أو (ياء متكلم) أو ياء متحركة ، ثم يليهما فواصل أخرى مثل الضمة الطويلة (ضلوا) وهى فاصلة واحدة فقط ثم صوت الميم الساكنة (ما غشيهم) وهى واحدة أيضا فقط . أما الفواصل المنتهية بصوت الفتحة الطويلة فهى ١١٠ مائة وعشر آيات ، والباقى موزع على الياء بمختلف أنواعها (مدا وسكونا وحركة) .

وسورة القمر تشتمل على (٥٥) خمس وخمسين آية انتهت جميعها بالراء الساكنة المتحرك ماقبلها ، كما نلاحظ أن هذه الفواصل فى معظمها على ثلاثة أحرف ، وعلى الرغم من أن الفاصلة التى نتحدث عنها هنا لو جيء بها على صورة الجمع ماتغير الصوت الذى تنتهى به الفاصلة (إذ هو راء على أى وضع) فإنه جيء به على صورة المفرد حتى يظل الحرف السابق على الروى محركا . ولو جيء به على صورة الجمع لجاء ساكنا (أنهار) ذلك لأن جميع الفواصل يقع الحرف السابق على الروى متحركا ، فيكون المراعى أكثر من تماثل الفواصل بحرف الروى المتماثل ، ويكون قد روعى أيضا التماثل فى تحريك الحرف السابق عليها فى الخمس والخمسين فاصلة . وهذا منتهى التناسق النغمى .

٥ ـ الجمع بين المجرورات مادام فى الجمع بينهما ـ على خلاف الأصل ـ تحقيق للمناسبة الصوتية كما فى قوله تعالى :

" ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا " (٤٤)

من قوله تعالى :

" أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا " ٦٩ الاسراء .

إن توالى المجرورات أمر لم تألفه اللغة خصوصا وقد اجتمع ثلاثة منها فى هذا الجزء من الآية (لكم ، علينا ، به) وكان الأصل أن يأتى التعبير هكذا " ثم لا تجدوا لكم به تبيعا علينا " . أو :

" ثم لا تجدوا لكم تبيعا به علينا " أى لا يجمع بين الثلاثة متوالية .

يقول النحاة فى هذه المسألة : (٤٥)

" لا يجوز الجمع بين ضميتين متحدتين فى اللفظ أو فى المعنى لغير التوكيد ودون فاصل " .

---

(٤٤) هذه الفاصلة تقع قبلها أربع وعشرون فاصلة بالألف من الآية ٤٣ حتى ٦٧ ويقع بعدها عشر فواصل بالألف أيضا من ٦٨ حتى ٧٧ ثم يفصل بفاصلة بالميم (ماغشيهم) ثم تستأنف الألف مرة أخرى ، وهكذا .

(٤٥) انظر : دراسات فى الصيغة والجملة ١٥٢ ـ ١٥٤ .

هذه هى القاعدة من أجل ذلك كان اجتماع مجرورين — فضلا عن ثلاثة — متواليين أمرا غير مطرد فى اللغة . وإذا أريد توكيد الحرف فلابد من اعادة مجروره الذى اتصل به . وكلما قل عدد أصوات الحرف كان توالية فى النظم غير مقبول ، بل إن الأمر فى هذه المسألة لا يقتصر على الحروف بل يتعداها إلى الأسماء والأفعال فمنعت إضافة اسم لما اتحد به معنى ، ومنع توالى فعلين دون أن يستعمل أحدهما استعمال الأداة . (٤٦) (٤٧)

لكن الذى جوز مخالفة الأصل اللغوى هنا هو اطراد النغم الموسيقى عند رعاية الفواصل ، فلو جيء بالآية على الأصل انتهت الآية بأحد المجرورات الثلاثة السابقة (علينا ، به لكم) ولانهدم النغم الموسيقى المطرد فى جميع السورة " إذ سورة الاسراء أيضا من السور التى تطرد بها موسيقى الفواصل ، فباستثناء الفاصلة الأولى التى انتهت بصوت الراء (إنه هو السميع البصير) جاءت جميع الفواصل منتهية بصوت الفتحة الطويلة (الألف) وليس الأمر كذلك فقط ، بل إن الفاصلة يراعى فيها أشياء أخرى .

١ — كأن يسبق هذه الألف صوت الكسرة الطويلة (ياء المد) أو الضمة الطويلة (واو المد) .

٢ — يغلب أن تجيء الفاصلة على صيغة (فعيل) فى الفاصلة المسبوقة بالياء مثل :

(وكيلا ، كبيرا ، نذيرا ، جديدا ، حصورا ، أليما) .

أو ماهو قريب منها مثل صيغة (تفعيلا) مثل :

(تتبيرا ، تفصيلا ، تحويلا) .

كما يغلب على الفاصلة المسبوق رويها بالواو أن تجيء على صيغة : (فعولا) بفتح الفاء نحو : شكورا ، عجولا ، رسولا ، فخورا ، كفورا ، زهوقا .

أو على صيغة (مفعولا) نحو : مخذولا ، مدحورا ، مشكورا ، ميسورا ، محسورا .

أو صيغة (فُعول) بضم الفاء نحو : نُفورا ، غُرورا ، كُفورا ، خُشوعا .

وهذه المراعاة الدقيقة للفواصل وما قبلها مباشرة ، ومراعاة تقارب الصيغ ،

---

(٤٦) شرح الأشمونى جـ ٢ صـ ٢٤٩

(٤٧) دراسة فى الصيغة والجملة صـ ١٥٣ .

كل ذلك يبيح ترك الأصل اللغوى ما دام ذلك يحقق انسجاما أوقع وأكثر ، لأن اللغة من أهم غاياتها الإقناع عند من يرون أنها وسيلة اجتماعية .

هذه المخالفات الخمسة لأصول اللغة تظهر لنا القيمة العظيمة للنغمة الصوتية المتماثلة فى توالى الفواصل على هيئة واحدة أو ما يشبه أن يكون هيئة متماثلة وكما تصل اللغة إلى أهدافها عن طريق اتباع الأصل اللغوى تصل كذلك أيضا الى أهدافها عن طريق الإيحاء الصوتى والنغم الموسيقى .

* * *

قائمة بأسماء المراجع

١ - الأساليب الانشائية : ا - عبد السلام هارون : مكتبة الخانجي ١٩٥٤م

٢ - البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق ا - عبد السلام هارون : مكتبة الخانجي

٣ - التحليل الدلالي للجملة العربية : ا د / عبد الرحمن أيوب : مجلة الدارة الانسانية : العدد العاشر كلية الآداب - الكويت .

٤ - حسن الأسلوب وأثرها في البحث البلاغي : د/ماهر مهدي هلال

٥ - الخصائص : ابن جني : تحقيق / محمد علي النجار : دار الكتب المصرية

٦ - دراسات في الصيغة والجملة : د/ محمد حلمي الدين مصطفى - مكتبة أم القرى - الكويت ١٩٨٤م

٧ - دلائل الاعجاز الامام عبد القاهر - شرح محمد عبد المنعم خفاجي - ط ١ - مكتبة القاهرة

٨ - دلالة الألفاظ : ا د / ابراهيم أنيس : مكتبة الانجلو ١٩٧٢م

٩ - دور الكلمة في اللغة : ا د/كمال محمد بشر

١٠ - سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي : شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي مكتبة محمد علي صبيح ١٩٦٩م

١١ - سر الصناعة : تحقيق لجنة من العلماء ط أولى ، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٤م

١٢ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك / علي بن محمد الأشموني /

١٣ - شرح قطر الندى / ابن هشام / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار البحوث العلمية - الكويت - ١٩٧٦م

١٤ - شرح التصريح على التوضيح / خالد بن عبد الله /

١٥ - شرح المفصل / ابن يعيش / تصحيح لجنة من العلماء / ادارة الطباعة المنيرية

١٦ - الصاحبي في فقه اللغة / أحمد بن الحسن / تحقيق مصطفى الشويمي / نشر مؤسسة بدران / بيروت ١٩٦٣م

١٧ - علم اللغة العام / الأصوات / د كمال محمد بشر / دار المعارف ١٩٧٠م

١٨ - قواعد النقد الأدبي / اسكلر كريومي / تعريب : محمد عوض ١٥ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢م

١٩ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / الزمخشري / تصحيح : مصطفى حسن أحمد / مطبعة الاستقامة الطبعة الثانية ١٩٥٣م

٢٠ - اللغة بين المعيارية والوصفية / د/تمام حسان / دار الثقافة / المغرب

٢١ - اللغة العربية معناها ومبناها / د تمام حسان / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

٢٢ - مبادئ النقد الأدبي : ا أ ريتشاردز / ترجمة د مصطفى بدوي مطبعة مصر ١٩٦٢م

٢١-اللغة العربية معناها ومبناها :د تمام حسان / الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٢م

٢٢- مبادئ النقد الأدبي : ا.ا.ريتشاردز /ترجمة د/مصطفى بدوى/طبعة مصر١٩٦٢م

٢٣ - النحو الوافى /عباس حسن دار المعارف مصر :ط٢ -١٩٦٦م

٢٤- النقد الأدبي الحديث : د/ محمد غنيمى هلال

الروح المعنوية لدى المعلمين المصريين والسعوديين

دراسة عبر ثقافية

اعداد

دكتور حمدى محمد ياسين

جامعة عين شمس

كلية البنات للاداب والعلوم والتربية

قسم علم النفس

١٩٨٧

مقدمـــــة :

لم تعد وظيفـة المعلم تزويد الاطفال والتلاميذ بالمعارف فقط ، بل اكسابهم العادات ، وتلقينهم المثل ، ومساعدتهم على اتقان المهارات السلوكية المختلفة ، والتى من شأنها مساعدتهم على التكيف والتوافق فى مجـــالات الحياه عامة ، ومجال العمل خاصة •

ولا يمكن للمعلم ان يضطلع بهذه المهام وتلك المسئوليات مالم يكن متمتعا بروح معنوية مرتفعـــــة ، وأن يكون راضيا عن عمله متوافقـا مع اسرته والمهنيـة والعائلية ، "اذ ان فاقد الشيء لا يعطيه " •

ان عالمنا اليوم ، يشهد ازمة صارخة فى مجال التعليم ، حيث النقص الكبير فى اعداد المعلمين ، والزيادة المضطردة للطلاب فى مجال التعليم ، فلقد بلغت نسبة من هم دون العشرين من العمر حوالى ٥٧٪ فـــى معظم البلدان العربية ، فى حين انها لا تتجاوز ٣٥٪ فى معظم البلدان المتقدمة • (٥) x

لقد اوضحت البحوث التى قام بها مكتب جنيف الدولى للتربية سنة ١٩٦٣ ، ان ٧٥ ٪ من الدول تشكو نقصا فى عدد معلمى التعليم الابتدائى ، الثانوى ، الجامعى (٥) ولعل هذه الحاجة المتزايدة للمعلميـــن ادت الى قبول اعداد كبيرة لشغل وظيفة المعلم دون تأهيل والتأكيد من قدراتهم او ميولهم •

ان الشخص الذى يلتحق بعمل دون ان يعد له ، او دون رغبة منه ، او دون امتلاكه الكفايات اللازمـة لنجاحه فيه ، غالبا ما تتصف روحه المعنوية فى عمله بالانخفاض ، فضلا عن ان المعلم الذى يخطىء اختيـار مهنته ، لن يقوم بواجبه على النحو المطلوب ، كما ان المعلم الذى يحب مهنته ، ويفيد منه التلاميذ تكـــون معنوياته مرتفعه • (٣)

وفى ضوء ماتقدم ، فان البحث الحالى يهدف الى تشخيص الروح المعنوية للمعلمين فى كل من السعوديـة ومصر دراسة عبر ثقافية بين المجتمعين ومحاولة الوقوف على العوامل المفضية لارتفاع الروح المعنوية لـــدى اهم القطاعات فى المجتمعين الا وهو قطاع المعلمين •

اهمية الدراســـة :

تكمن اهمية الدراسة الحالية فى النقاط الاتية :

- ضرورة تمتع المعلم بروح معنوية عالية لزيادة رغبته فى عمله وتحمسه له فشعوره بالسعادة والرضا يدفعانه لبذل الجهد والعرق ، فتزداد انتاجيته وتأثيره وفعاليته فى تلاميذه •

- اذا تمتع المعلم بروح معنوية عالية ، فان ذلك يساعده على تكيفه فى المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه ، ويقوى احساسه بالانتماء لاسرة العمل فتزداد سعادته بتلاميذه ، مما يقوى اقبالهم عليه ، وعلى تحصيل مادته ، فتسود العلاقات الانسانية فى الفصل والمدرسة على حد سواء •

لهذا كان من الضرورى دراسة الروح المعنوية للمعلم للوقوف على مواطن القوة فنعززها ومواطن الضعـف فنعالجها ، وفى ضوء هذا النوع من الدراسات نستطيع استكناه العوامل التى اذا غابت عن الفصل والمدرسـة ادت الى انخفاض الروح المعنوية •

---

x هذا الرقم يفيد رقم المرجع فى قائمة المراجع •

- تأتى اهمية الدراسة الحالية فى اعداد الادوات السيكومترية المقننة والمعدة لقياس وتشخيص ظاهرة الروح المعنوية للمعلم السعودى ، مما يسهل مهمة المسئولين فى السعودية الشقيقة فى الكشف عن ماهية وطبيعة ظاهرة الروح المعنوية لدى المعلمين والمعلمات فى مدارس المملكة .

- ان اجراء هذه الدراسة على معلمى ومعلمات المملكة العربية السعودية الشقيقة ، وكذلك على معلمى ومعلمات جمهورية مصر العربية ، سوف يساعدنا على الوقوف على مدى التجانس والتباين الذى قد يوجد بين معلمى القطرين الشقيقين ، فاذا كان ثمة تجانس فذلك يدعونا الى نظرة مستقبلية ملؤها التفاؤل ، وان كان ثمة تباين فلا مناص من معرفة اسباب هذا التباين لعلاجه فى اطار الجهود الرامية لرأب صدع الخلافات ، وتوحيد الصف العربى ، بيد ان البعض يسلم بأن الامة العربية تجمعها مقومات واحدة ، لكن العلم لا يرى فى هذه المسلمات الا عدة تساؤلات وفروض ، لابد من اعادة النظر فيها بالدراسة للتحقق من زيفها او صدقها .

- تعد هذه الدراسة من الدراسات العبر ثقافية والتى نحن فى اشد الحاجة اليها وخاصة بين الاقطار العربية بغية جمع الشمل وتوحيد الهدف من اجل صالح الوطن العربى بأثره .

مصطلحات البحث ومفاهيم مكونات المقياس :

يشتمل هذا البحث - بما يتضمنه من اختبارين للروح المعنوية واللذان يتضمنان عدة ابعاد على عدة مفاهيم يجدر بنا ان نحدد من البداية التعريفات اللازمة لها على النحو الاتى :-

أ - **الروح المعنوية :**

" نتاج لزملة اسباب من شأنها ان تجعل الفرد محبا لعمله ، تمكنا منه ، متحمسا لانجاز اهداف جماعته جادا فى تنفيذها ، باذلا قصارى جهده للاعلاء من شأن جماعة العمل " .

ب - **حب المهنة :**

" التمسك بالمهنة ، وعدم تغييرها ، والفخر بها ، ومواجهة متاعبها ، والاهتمام بنتائج التلاميذ ، وتحمل النصاب فى التدريس " .

ب - **التمكن من المادة :**

"اتقان مادة التخصص والرغبة فى الاستزادة من العلم ، والمساهمة فى انشاء مكتبة علمية ، والعناية بتحضير الدروس والقدرة على توصيلها " .

د - **الميل للعمل مع التلاميذ :**

"حب العمل مع التلاميذ وحل مشاكلهم ، واحترام ارائهم ومشاركتهم انشطتهم " .

هـ - **العلاقات الانسانية :**

"حسن العلاقة بالادارة والزملاء ، والشعور بالالفة والانتماء لكل العاملين فى المجال الاجتماعى الواحد .

و - **اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية :**

" احساس المعلم باهميته فى وضع المناهج ، وشعوره بالجو الديمقراطى واستمتاعه بمزاولة التدريس، وحصوله على ترقياته وشعوره باحترام الاخرين فضلا عن احساسه بالحرية فى العمل " .

ز - **الاعداد التربوى :**

" قدرة المعلم على ضبط النظام ، وشرح الدرس ، وفهم وتحليل قدرات التلاميذ ، والتمكن من استخدام

ح ـ سمات شخصية المعلم المرتبطة بالروح المعنوية :

"الاناة فى معاملة التلاميذ ، ضبط انفعالاته ، اتصافه بالاستمرارية فى الحماس والجدية والتضحيم فى انجاز الاهداف ، علاوة على تحمل المسئولية ، وتميزه بالاجتماعية مع اسرة المدرسة " .

ط ـ عوامل ارتفاع الروح المعنوية :

" الجهد المبذول فى المهنة ، الخبرة ، العطلات ، الاجر ، التوزيع فى العمل ، البكن المناسب ، الامكانات التعليمية " .

الاطار الفلسفى :

يذكر جودارد ان البحث فى ظاهره الروح المعنوية لم يبدأ على نحو علمى الا حديثا فى سنة ١٩١٨ ، حيث ان ما قيل عنها قبل ذلك لا يعدو ان تكون شذرات فلسفية مصبوغة بمسحه ميتافيزيقية خالية من اى مضمون تجريبى . (١)

بدأت التقارير والابحاث حول المعلم وموهلاته ، وعوامل رضاه ونجاحه فى مهنته ترد عبر الموءلفات منذ عام ١٨٤٦ ، فقد وصف " اولمستد Olmsted المعلم المثالى بأنه (الفرد المتمكن من موضوعه وموضوعات الاطفال ، والعالم) . (٥)

وبصدد الدراسة الحالية سنستعرض عينة من الدراسات المتصلة بالروح المعنوية للمعلم ، او رضاه عن عمله، بغية ايضاح العوامل التى تكون فى مجموعها المعلم الناجح الراضى ذا الروح المعنوية المرتفعة .

ففى سنة ١٩٦٣ يطلب ايفانز ، لاسو Evans&Laseau (١٠) من الموظفين والمعلمين ان يكتبوا له رسائل يجيبوا فيها على هذا السوءال (عملى ولماذا احبه ؟) وبتحليل مضمون هذه الرسائل خلص الى العناصر العوامل المسببه لارتفاع الروح المعنوية والعوامل المو ديه الى انخفاضها .

وفى سنة ١٩٦٤ درس ريدفر Redfer (١٥) اسباب ارتفاع او انخفاض الروح المعنوية للمعلم وتحديد العلاقة بين الروح المعنوية وبعض المتغيرات مثل (العمر ـ الجنس ـ الحالة الاجتماعية ـ مدة الخدمة ـ الاعداد المهنى) وقد طبق استبيان الروح المعنوية للمعلم على عينة من المعلمين والمعلمات وقد اسفر البحث عن عدة عوامل مسببه لارتفاع الروح المعنوية مثل (العلاقات الانسانية ، حرية المعلم ، المشاركة .....) وان ثمة توجد علاقة ايجابية بين ارتفاع الروح المعنوية ومتغيرات السن ، الجنس ، الحالة الاجتماعية ، مدة الخدمة ، الاعداد المهنى .

وفى سنة ١٩٦٦ درس ريتشاردسون ، وبلوكر Richardson&Blocker (١٤) الاسباب الرئيسية لارتفاع الروح المعنوية للمعلم ، وقد طبق استبيانا للروح المعنوية على (٦٦) عضو هيئة تدريس جامعيا ، واسفر البحث عن تحديد عوامل ارتفاع الروح المعنوية ، والتى تذكر منها " وسائل الاتصال ، العلاقات الانسانية ، الثقة فى الادارة ، الانتماء للموءسسة ، ملائمة الراتب " ويلاحظ ان الباحثين السابقين عززا هذه الدراسة بدراسة اخرى ، حيث طبقا اختبار الاتجاهات النفسية على (٢٢١) معلما جامعيا ، وقد اكدت نتائج هذه الدراسة ما اسفرت عنه الدراسة الاولى من نتائج سبق التنويه بها .

وفى سنة ١٩٦٨ اجرى بلدسو Bledsoe (٨) دراسته على عينة بلغ عددهـا (٣٣٨) معلما ومعلمه من الجنسين وذلك للوقوف على العوامل الكامنه وراء الرضا عن مهنة التعليم ، وانتهى البحث الى ان ٨١ ٪ من افراد العينة راضون عن ادائهم فى العمل بينما وجد ان ١٩ ٪ من هوءلاء المعلمين غير راضين .

وفى سنة ١٩٦٩ اجرى ريد ، وايزمان Rudd & Wiseman (١٣) بحثا عن رضا المعلم واسبابه ، حيث طبق ادوات بحثه " الاستفتاء الخاص بالرضا " على عينه بلغ قوامها (٥٩٠) معلما

ومعلمه وانتهى البحث الى عدة عوامل مسببه لرضا المعلم منها (الدخل ، العلاقات الانسانية ، المبانى ، الوسائل التعليمية ...) كما اكدت هذه الدراسة ان المعلمات اكثر رضا من المعلمين .

وفى سنة ١٩٧٢ قام شابرو Shapiro (١٦) بدراسة تهدف الى التعرف على العلاقة بين الرضا عن التدريس والكفاءة فيه ، وقد اعتمد على ملاحظات المدرسين والمشرفين على (٥٠) طالبا جامعيا ، وقد تبين ان ثمة علاقة بين رضا الطلاب عن عملهم وبين تقديرات المشرفين عليهم فى التربية العملية ، اذ ان مدى الرضا كان يرتفع بارتفاع هذه التقديرات ، كما اظهر هذا البحث ان ثمة فروقا فى الرضا عن مهنة التعليم بين المجموعات التى وصفها المشرفون بأنها ذات كفاءة عالية فى التدريس وبين المجموعات ذات الكفاءة المنخفضة . وهذه النتيجة منطقية وتتفق مع كثير من بحوث الرضا عن المهنة من جانب المعلم ، ذلك لان الكفاءة المنخفضة تزيد من متاعب المهنة وتصرف المعلم عنها .

وفى سنة ١٩٧٥ اجرى اروين Irwin (١٢) دراسته عن الروح المعنوية والدافعية للمهنة واتضح ان الرضا لدى المعلمين ينخفض كثيرا فى المدارس التى يميل مديروها لجمع كل السلطة فى ايديهم ، بينما يرتفع الشعور بالرضا فى المدارس التى يشارك فيها المعلمون فى الادارة ، التخطيط ، التنظيم وقد وصل اروين لنتائجه هذه عن طريق جمع المعلومات باسلوب المقابله للمعلمين من الجنسين فى (٤١) مدرسة فى ولاية نيوجرسى الامريكية .

وفى سنة ١٩٧٧ اجرى هنرى Henry (١١) دراسة للكشف عن العوامل التى تؤثر فى رضا المعلمين عن مهنتهم ، وقد وصل الى ان علاقات المعلمين مع تلاميذهم وزملائهم ومديريهم تعتبر من العوامل المؤثره فى الرضا عن مهنة التعليم .

وفى سنة ١٩٧٨ اجرت وفاء الزير (٧) دراسة للرضا عن العمل بين معلمى المرحلتين الاعدادية والثانوية فى مصر ، ولقد بلغ قوام عينة هذه الدراسة (٣٨٥) معلما ومعلمه ، وقد اسفر البحث عن ان المدرسين عامة يشعرون بان الحاجة الى المعرفة من اهم الحاجات التى يسعى المعلم لتحقيقها ، يليها حاجة تحقيق الذات ثم التقدير الاجتماعى ، الانتماء واخيرا الحاجة المادية ، كما اكد البحث على ان معلمى الاعدادية اكثر رضا من معلمى الثانوية ، وان ثمة علاقة ايجابية بين قدرة المعلم على الاداء والانجاز وبين مدى رضاه عن عمله .

خلاصة .. .. وتعقيب :

- اسفرت الدراسات السابقة على ان للعمر علاقه بالروح المعنوية ، فتكون العلاقة ايجابية فى سن الشباب ، ثم تهبط فجأة ، ثم ترتفع اذا استمر الفرد فى عمله .

- اكدت هذه الدراسات ايضا ان المعلمات اكثر ارتفاعا فى الروح المعنوية من المعلمين ، وقد يعزى ذلك لموائمة المهنه لطبيعة المرأة ، اذ أن نظرة المرأة لم تتجاوز أطر اعمال معينه (التمريض ، الحضانة ، التدريس)

- تشير البحوث الى ان المعلمات المتزوجات اكثر رضا وارتفاعا فى معنوياتهن المهنية من غير المتزوجات، فالزواج يبعث على الاستقرار ، ومنه تتأكد مشاعر الامومة والبنوه ، فالمعلمة المتزوجة تقبل على معاملة تلاميذها بعطف ولطف ، اذ انه لا يختلف كثيرا عن وليدها .

- تؤكد الاطر النظرية السابقة على ان ثمة ارتباطا بين الروح المعنوية والفترة الزمنية التى يمكثها المعلم فى المهنة ، وان كانت نوعية هذا الارتباط لم تحدد بالقطع فأحيانا تكون سالبه واحيانا يكون الارتباط موجبا .

- تشير اغلب الدراسات الى ازدياد الروح المعنوية كلما أعد المعلم اعدادا مهنيا تربويا سليما ، فالاعداد لا يقتصر على تدريب المعلم على ممارسة المهنة فقط ، ولكنه يشمل اكساب وتزويد المعلم بالخبرات والمهارات فى شتى العلوم النفسية والتربوية ، والتى تمكنه من اداء عمله على خير وجه .

- تمخضت اغلب الدراسات عن ان ثمة علاقة بين الروح المعنوية والذكاء فالروح المعنوية مرتفعة عند الاذكياء فلعله من مميزات الروح المعنوية العالية القدرة على قهر المشاكل وايجاد الحلول المناسبة لها ، وفي نفس الوقت فان من تعريفات الذكاء " القدرة على مواجهة المشاكل وحلها " ، فالاذكياء ينجحون في حل مشاكلهم مما يخلصهم من مصاحبات المشكلة (التوتر ، سوء التوافق ، عدم الرضا) ويجعلهم يتمتعون بروح معنوية عالية .

- تذكر اغلب الدراسات ، ان الروح المعنوية المرتفعة للجماعة تجعلها اكثر تعاونا وتماسكا ، بعكس الجماعة منخفضة الروح المعنوية والتي يكثر فيها الشلليه ، وتسيطر على سلوكيات التعصبية ، الكراهية والتفكك .

- ان ثمة علاقة بين الروح المعنوية وشخصية القائد ، فالقائد الذي يتحلى بالشجاعة والاجتماعية والمثابرة والحماس قادر على ان يعبر وجماعته الازمات ، فالروح المعنوية سمة معقده ومركبه تحتوي على صفات فرعيه لازمه لها ومنبثقه عنها . واذا كانت شخصية القائد تتميز بعدة صفات معينه فانه لا شك فيه ان صفة الروح المعنوية تتبوأ مكان الصداره بين هذه الصفات .

- ان ثمة علاقة قوية بين الروح المعنوية للمعلم والاجر ، فزيادة الراتب يصاحبه زيادة في ارتفاع الروح المعنوية ، وان كان الاجر لا يعد السبب الرئيسي الذي يعزى اليه ارتفاع الروح المعنوية ، اذ ان ثمة عوامل اخرى لا تقل اهمية عن عامل الاجر يمكن ان يعزى اليها ارتفاع الروح المعنوية . مثل (العلاقات الانسانية ، تقدير المجتمع للمهنة والعاملين فيها ... الخ) . فهذه العوامل وغيرها ينبغي ان لا تقلل من اهميتها ، فاطمئنان المعلم على مستقبله ومستقبل مهنته بتأمين حياته حيال غول الاسعار ونزوات السوق ، وتمتعه بعلاقات انسانية دافئه ، كل هذا وغيره يرفع من معنويات المعلم ويزيد من رضاه ويبعث على طمأنينته .

ولسنا من انصار الظروف السيكلوجية على حساب الظروف الفيزيقية ، ولكننا من دعاة التوفيق بينهما فالاجواء السيكلوجية الدافئة والظروف الفيزيقيع الجيده يعتبران جناحين اساسيين للروح المعنوية المرتفعة .

- وفي الواقع فان الدراسات السابقة لم تحسم العلاقة بين الروح المعنوية ومستوى الموءهل الدراسي فثمة دراسات تشير الى ان معلمي المرحلة الابتدائية اكثر ارتفاعا في معنوياتهم من معلمي المرحلة الثانوية، وثمة دراسات اخرى تشير الى عكس النتيجة السابقة .

بيد ان ثمة علاقة بين هذين المتغيرين ، وان لم تتحدد بصورة قاطعة نوعيتها وطبيعتها ، فهي تارة سالبه ، وتارة اخرى موجبة .

- واخيرا فان ثمة علاقة بين الروح المعنوية واشباع الحاجات النفسية ، فكلما اشبعت حاجات الفرد كلما ارتفعت معنوياته ، اذ ان الفرد لا ترتفع معنوياته في ظل الحاح الحاجات النفسية والخارجية وفشله في ارجاء تحقيقها .

- **ادوات البحث :**

تستعين الدراسة الحاليه بأداه " الروح المعنوية للمعلمين "× بصورتيها (أ) الخاصة بالعينة المصرية ، (ب) الخاصة بالعينة السعودية ، لدراسة الروح المعنوية لدى فئة المعلمين في القطرين الشقيقين مصر والسعودية ويمكن ان نقدم وصفا لهذا المقياس بصورتيه على النحو الاتي :-

---

× هذا المقياس اعده الباحث في بحث الماجستير ، وقد اعيد النظر فيه ليلائم المعلمين السعوديين ، كما تم اعادة تقنينه على عينتين من المعلمين المصريين والسعوديين .

(أ) مقياس الروح المعنوية الصورة (أ) الخاص بالمعلم المصرى : يتكون هذا المقياس من ثمانية مواقف تضمنت خمسين موقفا يمكن ايضاحها فى الجدول الاتى :ـ

جدول رقم (١) يوضح مكونات المقياس

م	المكونات الاساسية للمقياس	عدد المواقف التى يحتويها كل مكون
١	حب المهنة	٩
٢	التمكن من المادة	٥
٣	الميل للعمل مع التلاميذ	٧
٤	العلاقات الانسانية	٥
٥	اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	٧
٦	الاعداد التربوى	٤
٧	سمات شخصية المعلم المرتبطة بالروح المعنوية	٧
٨	عوامل ارتفاع الروح المعنوية	٦

تصحيح المقياس وتفسير الدرجات :ـ

لقد صيغ المقياس فى صورة مواقف سلوكية يلى كل موقف ثلاثة اختبارات هى (أ، ب ، جـ) وفيما يلى المفتاح الذى فى ضوئه يمكن تصحيح المقياس :ـ

- من يضع علامة (ر) امام الاختبار (أ) يحصل على الدرجة الصغرى وهى (١) .
- من يضع علامة (ر) امام الاختبار (ب) يحصل على الدرجة (٢) .
- من يضع علامة (ر) امام الاختبار (جـ) يحصل على الدرجة العليا (٣) .

ومجموع الدرجات الخاصة بالاختيار (أ) = ٥٠ وهو الحد الادنى فى درجات المقياس وصاحب هذه الدرجة يكون ذا روح معنوية متدنيه اما مجموع الدرجات الخاصة بالاختيار (جـ) = ١٥٠ وهو الحد الاعلى لدرجات المقياس ، فصاحب هذه الدرجة يكون ذا روح معنوية مرتفعة جدا .

ثبات المقياس :

اجريت تجربة الثبات على (٣٠) من معلمى المرحلة الثانوية (ذكور واناث) اختيروا من مدارس العاصمة (القاهرة منطقة مصر الجديدة) ، وقد روعى عند اختيار عينة الثبات ان تكون متجانسة الى حد كبير مع عينة البحث الاصلية فى متغيرات البحث الرئيسية مثل (الجنس ـ الخبرة ـ الاعداد التربوى ، وهذا ماسنوضحه فى الجدول الاتى :ـ

جدول رقم (٢) يوضح وصف عينة الثبات

الخاصية الرقمية / المتغيرات		العدد	م	ع	٪
الجنس	ذكور	١٧	١٢٥	٦ر٨	٥٦ر٦٦
	اناث	١٣	١٣٠	٧ر٧	٤٣ر٣٤
الخبرة	كبيرة	١٦	١٣٢	٦ر٧	٥٣ر٣٣
	صغيرة	١٤	١٢٩	٦ر١	٤٦ر٦٧
الاعداد	تربوى	١٧	١٢٦	٧ر٤	٥٦ر٦٦
	اكاديمى	١٣	١٢٣	٧ر١	٤٣ر٣٤

ولحساب معامل ثبات الاختبار (أ) استخدمت طريقة التجزئة النصفيه وقد حسب معامل الارتباط بين نصفى الاختبار باستخدام قانون بيرسون ٠

ولقد بلغت قيمة معامل الارتباط ٧١ر بعد التقريب ، ثم صحح باستخدام معادلة سبيرمان براون لتصل قيمته بعد التصحيح ٨٣ر ، وهو معامل ثبات عال ٠

صدق المقياس :

وقد تم حساب صدق هذا المقياس بطريقتين ، الاولى صدق المحكمين والثانية الصدق العاملى ، وسنشير الى الطريقة الاولى ، ونرجىء الحديث عن الطريقة الثانية لحين التطرق للمعالجات الاحصائية ٠

صدق المحكمين :

عرض هذا المقياس على تسعة خبراء (اربعة اساتذة متخصصون فى علم النفس والتربية) ، (وخمسة مدرسون وموجهون بوزارة التربية والتعليم) ٠

ويلاحظ ان اغلب هؤلاء الخبراء قد ابدوا موافقتهم على اغلب مواقف المقياس ، وذلك من حيث وضوح المواقف وسلامة الصياغة ، واتصال المواقف بالبعد الذى تقيسه ، كما تم تعديل صياغة بعض العبارات فى ضوء الملاحظات التى ادلى بها المحكمون ، وفى ضوء ماتقدم يكون المقياس صادقا من وجهة نظر الخبراء فى هذا المجال ٠

هذا ولا يوجد زمن محدد للاجابة على مواقف المقياس وان كان متوسط اداء المفحوصين بلغ (٢٣) دقيقة تقريبا ٠

(ب) مقياس الروح المعنوية الصورة (ب) الخاصة بالمعلم السعودى :

تتشابه الصورة (ب) مع الصورة (أ) السابق الاشارة اليها من حيث المكونات وجميع المواقف المتعلقة بهذه المكونات عدا الموقف رقم (٨) فقد تم حذفه لعدم اتصاله وموائمته لعينة البحث الثانية ٠

هذا ويتشابه المقياسان فى طريقة التصحيح وتفسير الدرجات ، والزمن المخصص للاجابه ، يبقى الاشارة الى ثبات المقياس ، وصدقه وهذا سنوضحه فيما يلى :-

ثبات المقياس :

اجريت تجربة الثبات على (٣٣) من المعلمين الذكور والاناث والذين اختيروا من نفس المدارس التى اختيرت منها العينة الاساسية لهذاالبحث وهى جميعا من مدارس العاصمة (الرياض) ٠

وقد روعى ان تكون عينة الثبات متجانسة مع عينة البحث من حيث (الجنس ، الخبرة ، الاعداد التربوى) وسنوضح وصف هذه العينة فى الجدول الاتى :-

الجدول رقم (٣) يوضح وصف عينة الثبات

المتغيرات		العدد	م	ع	٪
الجنس	ذكور	١٣	١٣١	٩ر٧	٥٦ر٥٢
	اناث	١٠	١٣٤	٩ر٢	٤٣ر٤٨
الخبره	كبيره ٥ سنوات فما فوق	٩	١٣٣	٩ر١	٣٩ر١٤
	صغيره ١ ـ ٤ سنوات	١٤	١٢٨	١٠ر٣	٦٠ر٨٦
الاعداد	تربوى	١٣	١٣٢	١٠ر١	٥٦ر٥٢
	اكاديمى	٦	١٢٨	١٠ر٩	٢٦ر٠٩
	تربوى + دراسات عليا	٤	١٢٩	١١ر١	١٧ر٣٩

وقد تم حساب معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية ، حيث حسب معامل الارتباط بين نصفى الاختبار باستخدام قانون بيرسون ، وقد بلغت قيمة ر ٧٥ر بعد التقريب ، ثم صححت هذه القيمة باستخدام معادلة سبيرمان براون لتصبح قيمة ر بعد التصحيح ٨٦ر وهو معامل ثبات عال .

صدق المقياس : حسب صدق هذا المقياس بطريقتين :-

أ - صدق المحكمين ب - الصدق العاملى

وسنشير هنا الى الطريقة الاولى ونرجأ الحديث عن الطريقة الثانية لنتكلم عنها عند معالجتنا الاحصائية لفروض البحث .

صدق المحكمين :

عرض هذا المقياس على نفس الخبراء الذين عرض عليهم الصورة السابقة وهم (اربعة اساتذة متخصصون فى علم النفس والتربية) ، (وخمسة مدرسون وموجهون بوزارة التربية والتعليم ..) وقد ابدى هؤلاء الخبراء موافقتهم على اغلب المواقف السلوكية الخاصة بالمقياس وذلك من حيث وضوحها ، وسلامة صياغتها واتصالها بالابعاد المقاسه ، فضلا عن انه تم تعديل صياغة بعض العبارات فى ضوء ما تفضل به بعض المحكمين من ملاحظات. وبناء على ماتقدم فان المقياس يكون صادقا وذلك من وجهة نظر الخبراء .

عينة الدراسة ووصفها :

تحتوى هذه العينة الكلية على عينتين فرعيتين هما : .

أ - عينة المعلمين المصريين (ن = ٨٠) .

ب - عينة المعلمين السعوديين (ن = ٧٧) .

وسنصف كل عينة من هاتين العينتين الفرعيتين كل على حده .

اولا : عينة المعلمين المصريين :- سيوضح الجدول الاتى وصف العينة فى ضوء المتغيرات الاساسية لهذه الدراسة.

جدول رقم (٤) يوضح وصف عينة المعلمين المصريين

المتغيرات		العدد	م	ع	%
الجنس	ذكور	٣٥	١٢٧	٧ر٢	٤٣ر٧٥
	اناث	٤٥	١٣٢	٧ر٥	٥٦ر٢٥
الخبره	كبيره ٥ - فما فوق	٣٨	١٣٣	٥ر٢	٤٧ر٥
	صغيره ١ - ٤	٤٢	١٢٨	٦ر٣	٥٢ر٢٥
	تربوى	٤٨	١٢٥	٧ر٢	٦٠
الاعداد	اكاديمى	٣٢	١٢١	٧ر٩	٤٠

ثانيا : عينة المعلمين السعوديين :-

والجدول الاتى يوضح وصف عينة المعلمين السعوديين .

جدول رقم (٥) يوضح عينة المعلمين السعوديين

المتغيرات		العدد	م	ع	%
الجنس	ذكور	٤٦	١٢٩	١١ر٣	٥٩ر٧٤
	اناث	٣١	١٣٧	١٠ر٢	٤٠ر٢٦
الخبرة	٥ سنه فما فوق	٣٤	١٣٨	٩ر٩	٤٤ر١٦
	١ - ٤ سنة صغيرة	٤٣	١٢٥	١١ر٣	٥٥ر٨٤
الاعداد	تربوى	٤٥	١٣٥	١٢ر١	٥٨ر٤٤
	اكاديمى	١٩	١٣٠	٩ر١	٢٤ر٦٨
	تربوى + دراسات عليا	١٣	١٣٩	١٣ر١٥	١٦ر٨٨

الفروض ... نتائجها

تحاول هذه الدراسة التحقق من صحة ستة فروض اساسية هى :-

الفرض الاول :

" الروح المعنوية ، مفهوم فرضى وسيطى معقد ، يتأثر بعدة عوامل ، يمكن قياسه وتحليله " .

الفرض الثانى :

" توجد فروق دالة فى الروح المعنوية بين المعلمين والمعلمات سواء المصريون او السعوديون " .

الفرض الثالث :

" توجد فروق دالة فى الروح المعنوية بين المعلمين المصريين ذوى الخبرة الطويلة وذوى الخبرة القصيرة وكذلك بين المعلمين السعوديين ذوى الخبرة الطويلة وذوى الخبرة القصيرة " .

الفرض الرابع :

" تتأثر الروح المعنوية لدى المعلمين المصريين بالاعداد التربوى وكذلك المعلمين السعوديين " .

الفرض الخامس :

" توجد فروق دالة فى الروح المعنوية بين المعلمين المصريين والسعوديين " .

الفرض السادس :

" توجد فروق دالة فى الروح المعنوية بين المعلمات المصريات والمعلمات السعوديات " .

على أننا – بادىء ذى بدء – ولكى يتم التحقق من فروض الدراسة ، واستخلاص النتائج فانه يجدر بنا ان نحدد الاسلوب الاحصائى الملائم لفروض هذه الدراسة ، وهنا لا يتأتى لنا الا فى ضوء عدة اعتبارات هامة من اهمها (نوع المقياس المستخدم ، نوع الفروض المطروحة ، حجم العينة ، التمثيل البيانى لاستجابات العينة والشكل الذى تعطيه لنا فهل هو شكل اعتدالى ام التوائى ؟) .

وبناء على ماتقدم فان المقياس – ذات الصورتين – المستخدم مقياس ترتيبى ، والفروض المطروحة تبحث عن الفروق والعلاقات ، واستجابات العينة تعطى لنا شكلا قريبا من الاعتدالية ، وحجم العينة الكلية يتراوح بين ٨٠ فردا – كما هو فى عينة المعلم المصرى – ، ٧٧ فردا – كما هو فى عينة المعلم السعودى اما بالنسبة للعينات الفرعية فهى تتراوح مابين ٣١ فردا ، ٤٨ فردا ، فهى جميعا عينات كبيرة ، ماعدا عينة فرعية واحدة وهى عينة الاعداد الاكاديمى والتى بلغ قوامها ١٩ معلما – نخلص من هذا كله – وفى ضوء ماتقدم من اعتبارات فانه يمكننا استخدام الاحصاء البارمترى Parametric,S. (التحليل العاملى والنسبة التائية) .

الفرض الاول :

" الروح المعنوية مفهوم فرضى وسيطى معقد ، يتأثر بعدة عوامل ، يمكن قياسه وتحليله " .

للتحقق من صحة هذا الفرض طبق مقياس الدراسة بصورتيه (أ ، ب) كل على العينة الخاصة به والسابق وصفها ، وعولجت الاستجابات احصائيا بالتحليل العاملى . × حيث اجرى التحليل العاملى مرتين الاولى لاستجابات عينة المعلمين المصريين (ن = ٨٠) ، والثانية لاستجابات عينة المعلمين السعوديين (ن = ٧٧) وذلك لمقارنة الفئ العاملى بين العينتين .

وفيما يلى نستعرض الخطوط الرئيسية للتحليل العاملى بصدد كل عينة على حدة :–

اولا : التحليل العاملى لعينة المعلمين المصريين :–

أ – جدول رقم (٦) يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية لمكونات المقياس

مكونات المقياس	م	ع
حب المهنة	٢٠ر٢	٣ر٤
التمكن من المادة	١٢ر٨١	٢ر٣٧
الميل للعمل مع التلاميذ	١١ر٢١	٢ر٤١
العلاقات الانسانية	١٢ر٧٣	٢ر٧١
اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	١٤ر٦١	٢ر٩١
الاعداد التربوى	٩ر٢١	٢ر٠١
سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية	١٥ر٤١	٢ر٣٣
دلائل ارتفاع الروح المعنوية	١٣ر٦١	٢ر٩١

× استخدمت طريقة المكونات الاساسية لهوتيلنج وادبرت العوامل بطريقة فاريمكس وحسبت التشبعات عند ٣ر .

(ب) مصفوفة الارتباطات الاولى لعينة المعلمين المصريين ٠

جدول رقم (٧) يوضح مصفوفة الارتباطات الأولى لعينة المعلمين المصريين

المتغيرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
١	٠	ر٣٦١	ر٢٨٢	ر٣١١	ر٤٧٢	ر٣١٦	ر٣٩١	ر٤٦٦
٢		٠	ر٥٠٢	ر٤٠٨	ر٣١٢	ر٤٠٧	ر٣٥١	ر٢٨١
٣			٠	ر٤٣١	ر٤٧١	ر٣٨١	ر٤١١	ر٣٧١
٤				٠	ر٣٠٣	ر٣٢١	ر٤٠١	ر٣٢٦
٥					٠	ر٢٩٧	ر٣٩٥	ر٤٨١
٦						٠	ر٤٢٣	ر٤٠١
٧							٠	ر٤٦١
٨								٠

د٠ج = ن ـ ٢ = ٨٠ ـ ٢ = ٧٨

مستوى الدلالة عند ٠١ر = ٢٨٣ر وعند ٠٥ر = ٢١٧ر

(جـ) العوامل بعد التدوير

جدول رقم (٨) يوضح العوامل بعد التدوير

المتغيرات / العوامل	ع١	ع٢	ع٣	ع٤
حب المهنة	ر٨١١	ر٣٠١	ر٤١٠	ر٠٩٣
التمكن من المادة	ر٤١٢	ر٥٣١	ر٢٨١	ر٤٧١
الميل للعمل مع التلاميذ	ر٣٩١	ر٤٩٢	ر٢٦٤	ر٥٣١
العلاقات الانسانية	ر٧٩١	ر٢٠٧	ر٠٨٢	ر٢٢١
اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	ر٤٢٠	ر٧٣٣	ر١٠٩	ر٠٤٨
الاعداد التربوى	ر٣٧٦	ر١٠٥	ر٧٨١	ر١٨٩
سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية	ر٥٥١	ر٠٩٣	ر١١٣	ر٠٧٢
دلائل ارتفاع الروح المعنوية	ر٣٩١	ر٢١٣	ر٦٦٩	ر١٣٥

(د) العوامل بعد التدوير وحساب درجة التشبع عند ٣ر

جدول رقم (٩) يوضح العوامل بعد التدوير وحساب درجة التشبع

المتغيرات / العوامل	ع١	ع٢	ع٣	ع٤
حب المهنة	ر٨١١	ر٣٠١	ر٤١٠	٠٠
التمكن من المادة	ر٤١٢	ر٥٣١	٠٠	ر٤٧١
الميل للعمل مع التلاميذ	ر٣٩١	ر٤٩٢	٠٠	ر٥٣١
العلاقات الانسانية	ر٧٩١	٠٠	٠٠	٠٠
اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	ر٤١٣	ر٧٣٣	٠٠	٠٠
الاعداد التربوى	ر٣٧٦	٠٠	ر٧٨١	٠٠
سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية	ر٥٥١	٠٠	٠٠	٠٠
دلائل ارتفاع الروح المعنوية	ر٣٩١	٠٠	ر٦٦٩	٠٠

هـ - تفسير العوامل :

العامل الاول :

ويسمى هذا العامل بالعامل العام اذ حظت جميع متغيرات هذا العامل بتشبعات تجاوزت ٣ر، فقد بلغ اكبر تشبع عند متغير (حب المهنة ٨١ر) يليه متغير (العلاقات الانسانية ٧٩ر) ويلاحظ ان مكونات المقياس (الثمانية) قد ترابطت مع بعضها البعض في عامل عام جميع تشبعاته موجبه مما يدل على صدق الاختبار من الوجهة العاملية .

ويؤكد هذا العامل على اهمية المتغيرات الثمانية (مكونات العامل الاول) اذ بها تتقوم الروح المعنوية للمعلم وبدونها تذبل وتفتر ، فلا غنى عنها للمعلم الناجح .

العامل الثاني :

ويسمى هذا العامل " عامل اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية " بيد ان العمل يهدف الى تحقيق المكاسب المادية ليحقق الانسان حاجياته الفيزيقية ، وهو يهدف ايضا الى عدم اراقة ماء وجه الانسان ، فالبطالة هم بالليل ومذله بالنهار فالعمل يحقق ذات الانسان ، ويحمى كرامته ، ويبعث على الطمأنينه. كما يشير هذا العامل الى الترابط القوى والتشبع العالى بين " اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية ٧٣ر" وكل من " حب المهنة ٣٠ر" و" التمكن من المادة ٥٣ر" و" الميل للعمل مع التلاميذ ٤٩ر" فهذه المتغيرات تكاد تكون الاسس السيكلوجية لاشباع الحاجات النفسية للمعلم ، والتى تفوق فى اهميتها اشباع الحاجات المادية .

العامل الثالث :

ويسمى بعامل " الاعداد التربوى " اذ بلغ تشبع هذا المتغير ٧٨ر يليه متغير " دلائل ارتفاع الروح المعنوية ٦٧ر" ثم متغير " حب المهنة ٤١ر " ويشير هذا العامل الى ان ثمة تجانسا كبيرا بين " حب المهنة، الاعداد التربوى ، دلائل ارتفاع الروح المعنوية " فلا قيمة للاعداد التربوى الجيد ، دون ان يكون المعلم محبا لمهنته تواقا اليها ، ودون ان تتصف سلوكياته المهنية بملامح الروح المعنوية العالية .

العامل الرابع :

ويسمى هذا العامل بعامل " الميل للعمل مع التلاميذ " ، اذ بلغ تشبع هذا المتغير ٥٣ر ، يليه متغير التمكن من المادة ٤٧ر" . بيد ان هذا العامل ذو تشبعات ضعيفة وقليلة ، فانه يؤكد على اهمية متغيرى التمكن من المادة ، والميل للعمل مع التلاميذ ، كمظاهر اساسية للروح المعنوية العالية لدى المعلم .

هذا هو النسق العاملى لظاهرة الروح المعنوية قِبَلْ فئة المعلمين المصريين ، هذا ويمكن ان نستخلص مما تقدم ان الروح المعنوية مفهوم معقد يمكن قياسه بالاختبار سابق الذكر ، كما يمكن تحليله عامليا . فضلا عما تقدم فان التحليل العاملى اثبت الاتى :-

- ان مقياس هذه الدراسة يتمتع بالصدق العاملى ، حيث تشبعت به تشبعا كبيرا بين جميع مكونات الروح المعنوية للمعلم .

- ان الروح المعنوية لدى المعلمين المصريين تتأثر بعدة عوامل هى :-

أ- حب المهنة .
ب- اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية .
جـ- الاعداد التربوى .
د- الميل للعمل مع التلاميذ .

ثانيا : التحليل العاملى لعينة المعلمين السعوديين :

أ ـ المتوسطات والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين السعوديين .

الجدول رقم (١٠) يوضح (م ، ع) للمعلمين السعوديين

المكونات الثمانية للمقياس	م	ع
حب المهنة	٢١ر٢	٣ر١
التمكن من المادة	١٢ر١	٢ر٥
الميل للعمل مع التلاميذ	١٦ر٢	٢ر٧
العلاقات الانسانية	١٣ر٥	٣ر٠١
اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	١٥ر٧	٢ر٩
الاعداد التربوى	٨ر٩	١ر٩
سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية	١٦ر٧	٢ر٣
دلائل ارتفاع الروح المعنوية	١٥ر١	٢ر٦

ب ـ مصفوفة الارتباطات الاولى لعينة المعلمين السعوديين .

جدول رقم (١١) يوضح مصفوفة الارتباطات الاولى لعينة المعلمين السعوديين

المتغيرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
١	٠	٤٦٢	٣٩٠	٣١٢	٤٧١	٥٠١	٤٨٢	٦٠٣
٢		٠	٥٧١	٦١٣	٣١١	٢٢٩	٤٠٧	٣٩٢
٣			٠	٢٠١	٣٩٥	٦١١	٧٠١	٤٠٩
٤				٠	٥٦٠	٤٣٠	٣١٩	٤١٩
٥					٠	٣٠٢	٦١٨	٤٩٠
٦						٠	١١٠	٢٨٠
٧							٠	٣١٦
٨								

د٠ج = ن ـ ٢ = ٧٧ ـ ٢ = ٧٥

مستوى الدلالة عند ٠١ر = ٢٩٣ر وعند ٠٥ر = ٢٢٥

د ـ العوامل بعد التدوير

جدول رقم (١٢) يوضح العوامل بعد التدوير

العوامل / المتغيرات	ع ١	ع ٢	ع ٣	ع ٤
حب المهنة	٥٠١ر	٣٩٠ر	٤٠٥ر	٠٠
التمكن من المادة	٣٨٠ر	٧٩٥ر	٠٠	٠٠
الميل للعمل مع التلاميذ	٤١٩ر	٠٠	٠٠	٠٠
العلاقات الانسانية	٨٥١ر	٠٠	٠٠	٣٩٠ر
اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	٧٦٠ر	٠٠	٠٠	٥١٧ر
الاعداد التربوى	٤٣٠ر	٠٠	٦٥٦ر	٠٠
سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية	٣١٢ر	٠٠	٤٨١ر	٠٠
دلائل ارتفاع الروح المعنوية	٥١٨ر	٣٠٤ر	٠٠	٠٠

و - تفسير العوامل :

العامل الاول :

ويسمى بالعامل العام ، اذ حظت جميع متغيراته الثمانية بتشبعات موجبه تراوحت بين ٣١ر كما هو بصدد متغير سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية ، و ٨٥ر كما هو بصدد متغير العلاقات الانسانية ويشير هذا العامل الى مدى التجانس والترابط القائم بين مكونات المقياس ، وهذا يدل على انه يتمتع بالصدق العاملى .

وهكذا - مرة ثانية - يؤكد التحليل العاملى انه لا غنى للمعلم ذى الروح المعنوية المرتفعة عن هذه المقومات الثمانية السابقة الذكر .

العامل الثاني :

ويسمى بعامل " التمكن من المادة " وقد بلغ تشبعه ٧٩٥ر وهو تشبع عالى وقوى ، كما اظهر هذا العامل ان ثمة ترابطا قويا بين التمكن من المادة وحب المهنة ٣٩ر ودلائل ارتفاع الروح المعنوية ٥٢ر فهذان المتغيران يعتبران وجهين للروح المعنوية المرتفعة ، فاذا تمكن المعلم من مادته وتمثل محتواها ، وهيمن على مكوناتها ، والم بمهاراتها ، واجاد الكفايات المرتبطة بها ، فان ذلك كفيل بان يقلل من مستوى القلق فى الاداء ومن ثم يرفع من مستوى معنوياته .

العامل الثالث :

ويسمى بعامل " الاعداد التربوى " وقد بلغ تشبعه ٦٦ر تقريبا يليه متغير " سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية " ٤٨ر ثم متغير " حب المهنة " ٤١ر تقريبا .

وبالنظر لتشبعات هذا العامل ، نلاحظ انه اذا اعد المعلم اعدادا جيدا ، فان ذلك يصقل مهاراته، ويرفع مستوى اداءه ، وهذه الامور وتلك تزيده حبا لمهنته .

كما نلاحظ ايضا - ارتباط الاعداد التربوى لسمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية فالاعداد التربوى لا يكفى وحده لتخريج معلمين مهرة ، اذ انه لابد من توفر الصفات المزاجية والعقلية والاجتماعية التى تكفل له النجاح فى عمله .

العامل الرابع :

ويسمى هذا العامل بعامل (اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية) اذ بلغ تشبعه ٥٢ر تقريبا، يليه متغير (العلاقات الانسانية ٣٩ر) وبالنظر لتشبعات هذا العامل يتضح انها تشبعات ضعيفة وقليلة ، حيث نجد ان متغيرين فقط من المتغيرات الثمانية هما اللذان حظيا بتشبعات تتجاوز ٣٠ر وهذا لا يساعدنا كثيرا على تفسيره ، وان كان من الممكن استخلاص معنى مفيد هو ان ثمة ترابطا قويا بين متغيرى " اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسيه ، والعلاقات الانسانية " فالعلاقات الانسانية تعتبر احدى هذه الحاجات النفسية التى يسعى المعلم لاشباعها على المستوى السيكلوجى .

والخلاصة فان النسق العاملى لظاهرة الروح المعنوية قبل فئة المعلمين السعوديين يؤكد صحة الفرض الذى سبق ان نوهنا بصحته بصدد التحليل العاملى لعينة المعلمين المصريين ، فالروح المعنوية مفهوم فرضى وسيطى يمكن قياسه وتحليله .

كما يؤكد التحليل العاملى - بصدد هذه العينة - على ان الروح المعنوية لدى المعلم السعودى تتأثر بأربعة عوامل اساسية هى :-

أ ـ العلاقات الانسانيـــة ٠
ب ـ التمكن من المادة ٠
جـ ـ الاعداد التربوى ٠
د ـ اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية ٠

مقارنة بين التحليل العاملى (عينة المصريين) والتحليل العاملى (عينة السعوديين) :

ـ العوامل المؤثرة فى الروح المعنوية لدى المعلمين المصريين هى : (حب المهنة ، اشباع المهنـــة لحاجات المعلم النفسية ، الاعداد التربوى ، الميل للعمل مع التلاميذ) اما العوامل المؤثرة فـــى الروح المعنوية لدى المعلمين السعوديين هى : (العلاقات الانسانية ، التمكن من المادة ، الاعداد التربـــوى اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية) ٠

ـ يلاحظ ان النسق العاملى لدى العينة المصرية يتشابه مع النسق العاملى لدى العينة السعودية فى :ـ
أ ـ وجود عامل عام فى كلا النسقين ٠
ب ـ يعد عامل اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية ، وعامل الاعداد التربوى عاملين مشتركين فى كل النسقين مما يؤكد على اهمية هذين العاملين فى الروح المعنوية لدى المعلم ويلاحظ ان النسق العاملى لـــدى المعلم المصرى يختلف عن النسق العاملى لدى المعلم السعودى من حيث ظهور متغيرى (حب المهنة الميل للعمل مع التلاميذ) كعاملين مؤثرين فى الروح المعنوية لدى المعلم المصرى ، على حين ظهر متغيرى (العلاقات الانسانية ، التمكن من المادة) ٠ كعاملين مميزين مؤثرين فى الروح المعنويـة لدى المعلم السعودى ٠

الفرض الثانى : " توجد فروق دالة فى الروح المعنوية بين المعلمين والمعلمات سواء المصريون او السعوديون ٠

للتحقق من هذا الفرض طبق مقياس الدراسة بصورتيه (أ ، ب) كل على العينة الخاص بها ، حيث طبقت الصورة (أ) على عينة المصريين والبالغ قوامها (٨٠ من المعلمين ، ٣٥ معلما ، ٤٥ معلمـــة) ، وطبقت الصورة (ب) على عينة المعلمين السعوديين والبالغ عددها (٧٧ منها ٤٦ معلما ، ٣١ معلمـــة) ، وقد عولجت استجابات هاتين العينتين بما تشتمله كل منها من عينات فرعية باستخدام الاحصاء البارمتـــرى (النسبة التائية لدلالة الفروق) ، والجدول الآتى يوضح نتيجة اختبار (ت) لدلالة الفروق بين هـــذه العينات وذلك بالنسبة للمقياس ككل ، ثم بالنسبة لمكونات المقياس مرة اخرى ٠

اولا : جدول رقم (١٤) يوضح اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المعلمين والمعلمات المصريـــات والمعلمين والمعلمات السعوديات بالنسبة للمقياس ككل ٠

المتغيـــر	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
معلمون مصريون	٣٥	١٢٧	٧ر٢	٣ر٢٢	٠١ر
معلمات مصريات	٤٥	١٣٢	٧ر٥		
معلمون سعوديون	٤٦	١٢٩	١١ر٣	٤ر٨٢	٠١ر
معلمات سعوديات	٣١	١٣٧	١٠ر٢		

ثانيا : جدول رقم (١٥) يوضح اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المعلمين والمعلمات المصريات ، والمعلمين والمعلمات السعوديات بالنسبة لمكونات المقياس

اسم الابعاد	المتغير	رقم الابعاد	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
حب المهنة	معلمون مصريون	١	٣٥	١٨	٢ر٨	٣ر٤٤	٠١ر
	معلمات مصريات		٤٥	٢٠	٢ر٤		
	معلمون سعوديون		٤٦	١٥	١ر٨	٨ر٧٣	٠١ر
	معلمات سعوديات		٣١	١٩	٢ر١		
التمكن من المادة	معلمون مصريون	٢	٣٥	١٠	٢ر٨	٣ر٥٧	٠١ر
	معلمات مصريات		٤٥	١٢	٢ر٢		
	معلمون سعوديون		٤٦	١٠	١ر٦	١١ر٦٢	٠١ر
	معلمات سعوديات		٣١	١٣	١ر٨		
الميل للعمل مع التلاميذ	معلمون مصريون	٣	٣٥	١٦	٣ر٢	١ر٤٩	ليس لها دلالة
	معلمات مصريات		٤٥	١٧	٢ر٨		
	معلمون سعوديون		٤٦	١٦	٢ر٨	٢ر٨٧	٠١ر
	معلمات سعوديات		٣١	١٨	٣ر١		
العلاقات الانسانية	معلمون مصريون	٤	٣٥	٩	٢ر٦	١٠ر٨١	ليس لها دلالة
	معلمات مصريات		٤٥	١١	٢ر٤		
	معلمون سعوديون		٤٦	١٣	٣ر١	٤ر٠٦٢	٠١ر
	معلمات سعوديات		٣١	١٥	٢ر٦		
اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية	معلمون مصريون	٥	٣٥	١٥	٢ر٨	٣ر٥٧	٠١ر
	معلمات مصريات		٤٥	١٧	٢ر١		
	معلمون سعوديون		٤٦	١٧	٢ر١	١ر٧٥٧	ليس لها دلالة
	معلمات سعوديات		٣١	١٨	٢ر٧		
الاعداد التربوى	معلمون مصريون	٦	٣٥	٨	٢ر٥	١ر٨٨	ليس لها دلالة
	معلمات مصريات		٤٥	٩	٢ر٣		
	معلمون سعوديون		٤٦	٨	١ر٤	٧ر٠٩	٠١ر
	معلمات سعوديات		٣١	١٠	١ر١		
سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية	معلمون مصريون	٧	٣٥	١٥	٢ر٦	٣ر٥٧	٠١ر
	معلمات مصريات		٤٥	١٧	٢ر٤		

	معلمون سعوديون	٤٦	١٧	٢ر١			
					٧	٢ر٣٧	٠٥ر
	معلمات سعوديات	٣١	١٨	٦ر١			
	معلمون مصريون	٣٥	١١	٦ر٢			
					٨	٣ر٦٨	٠١ر
دلائل ارتفاع	معلمات مصريات	٤٥	١٣	٢ر٢			
الروح المعنوية	معلمون سعوديون	٤٦	١٢	٣ر١			
					٨	٣ر٠٠٧	٠١ر
	معلمات سعوديات	٣١	١٤	٢ر٧			

بالنظر للجدولين (١٤، ١٥) يتضح ان ثمة فروقا تصل لمستوى دلالة ٠١ر بين المعلمين والمعلمات سواء لدى المصريين او السعوديين ، وذلك بصدد مقياس الروح المعنوية ، وبصدد اغلب مكوناته الثمانية ، وذلك لصالح المعلمات (المصريات ، السعوديات) ، وقد يعزى ذلك لطبيعتها الانثوية ، فهذه المهنة هي اكثر المهن ملائمة لهن ، فهي امتداد لدورها كحاضنه ومربية اطفال ، وهذا ما اثبتته العديد من الدراسات ، حيث اكدت على اضطلاع المرأة ببعض الوظائف على نحو يفوق الرجال (دراسة كلاين سنة ١٩٤٩ Cline شيس سنة ١٩٥١ Chase ، روبنسون سنة ١٩٥٨ Robinson وعدلي كامل سنة ١٩٦١، وريدفر سنة ١٩٦٤ Redefer) .

ويستخلص من الجدول رقم (١٥) مايأتي :ـ

أ ـ ان المعلمات المصريات والسعوديات يحظين بدرجات اعلى من المعلمين المصريين والسعوديين في كل من الابعاد الاتية : (حب المهنة ، التمكن من المادة ، سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية ، دلائل ارتفاع الروح المعنوية) .

ب ـ انه لا فرق يذكر بين المعلمين المصريين والمعلمات المصريات بصدد المكون الثالث " الميل للعمل مع التلاميذ " والمكون الرابع " العلاقات الإنسانية " بينما تفوقت المعلمه السعودية على المعلم السعودي في هذين المكونين .

ج ـ توجد فروق بين المعلمات المصريات والمعلمين المصريين بصدد المكون الخامس " اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسية " وذلك لصالح المعلمات ، بينما لا توجد هذه الفروق بصدد هذا المكون لدى العينة السعودية .

د ـ لا توجد فروق بين المعلمات والمعلمين المصريين بصدد المكون السادس " الاعداد التربوي " بينما وجدت فروق دالة لدى عينة السعوديين لصالح المعلمات .

الفرض الثالث " توجد فروق دالة في الروح المعنوية بين المعلمين المصريين ذوي الخبرة الطويلة وذوي الخبرة القصيرة ، وكذلك بين المعلمين السعوديين ذوي الخبرة الطويلة وذوي الخبرة القصيرة " .

وقد تم التحقق من هذا الفرض بعد تطبيق الاختبار بصورتيه (أ، ب) ، فقد طبقت الصورة (أ) على المعلمين المصريين (٣٨ معلم خبرة كبيرة ، ٤٢ معلم خبرة قليله) كما طبقت الصورة (ب) على المعلمين السعوديين (٣٤ معلم خبرة كبيرة ، ٤٣ معلم خبرة قليله) وعولجت استجابات هذه العينات احصائيا باستخدام النسبة التائية وذلك بالنسبة للاختبار ككل ، ثم بالنسبة لمكونات المقياس ، وسيوضح ذلك في الجدول الاتي :ـ

اولا : جدول رقم (١٦) يوضح اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المعلمين المصريين ذوى الخبرة الكبيرة والقليلة ، والمعلمين السعوديين ذوى الخبرة الكبيرة والقليلة • وهذا بالنسبة للمقياس ككل

المتغير	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
معلمون مصريون ذوو خبرة كبيرة ××	٣٨	١٣٨	٥ر٢	٣ر٩١	٠١ر
معلمون مصريون ذوو خبرة قليلة ×	٤٢	١٢٨	٦ر٣		
معلمون سعوديون ذوو خبرة كبيرة	٣٤	١٣٨	٩ر٩	٣ر٣١	٠١ر
معلمون سعوديون ذوو خبرة قليلة	٤٣	١٢٥	١١ر٣		

ثانيا : جدول رقم (١٧) يوضح اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المعلمين المصريين ذوى الخبرة الكبيرة والخبرة القليلة ، والمعلمين السعوديين ذوى الخبرة الكبيرة والخبرة القليلة ، وذلك بالنسبة لمكونات المقياس

المتغير	الابعاد	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	٢٢	٢ر١		
	١				٥ر١٤	٠١ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٩	٣ر١		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١٦	٢ر٥		
	١				٣ر٦٢	٠١ر
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	١٤	٢ر٣		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٢	٣ر١	-	
	٢				٢ر٨١	٠١ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٠	٣ر٢		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١٠	٢ر٦		
	٢				٣ر٠٣	٠١ر
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	١٢	٢ر٩		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٧	٣ر٧		
	٣				٣ر٥٤	٠١ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٤	٣ر٨		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١٧	٢ر٣		
	٣				١ر٩٧	ليس لها دلالة
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	١٨	٢ر١		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٢	٣ر٢		
	٤				٢ر٥٣	٠٥ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٠	٣ر٨		

×× الخبرة الكبيرة = ٥ سنوات فاكثر •

× الخبرة القليلة = ١ ـ ٤ سنوات •

سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١١	٣ر٩		
	٤				٢ر٧٩	٠١ر
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	٩	٣ر٤		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٨	٢ر١		
	٥				٣ر٧٧	٠١ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٦	٢ر٦		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١٨	٣ر١		
	٥				٣ر٢٥	٠١ر
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	١٦	٢ر٤		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٠	٢ر٢		
	٦				٣ر٦٢	٠١ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	٨	٢ر٧		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	٨	٢ر		
	٦				١ر٦٢	ليس لها دلالة
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	٩	٣ر١		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٧	٢ر١		
	٧				٣ر٩٤	٠١ر
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٥	٢ر٤		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١٧	١ر٩		
	٧				٣ر٨١	٠١ر
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	١٥	٢ر٤		
مصرى ذو خبرة كبيرة		٣٨	١٤	٢ر٥		
	٨				١ر٠٥	ليس لها دلالة
مصرى ذو خبرة قليلة		٤٢	١٢	٢ر٨		
سعودى ذو خبرة كبيرة		٣٤	١٤	٢ر٥		
	٨				٢ر٧٠	٠١ر
سعودى ذو خبرة قليلة		٤٣	١٢	٣ر٧		

بالنظر للجدولين رقم (١٦، ١٧) يتضح ان الفرض الثالث قد تحقق ، حيث ان الروح المعنوية تتأثر بمتغير الخبرة ، وذلك لدى كل من العينة المصرية والسعودية بصدد المقياس ككل وكذلك مكوناته المرقمة بـ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧) وهي على التوالى (حب المهنة ، التمكن من المادة ، العلاقات الانسانية ، اشباع المهنه لحاجات المعلم النفسيه ، سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية) .

اما بصدد المكونات (٣ ، ٦ ، ٨) فنلاحظ ماياتى :ـ

ـ ان ثمة فروقا ذات دلالة بين المعلمين المصريين ذوى الخبرة الكبيرة ، وذوى الخبرة القليلة لصالح الخبرة الكبيرة بصدد المكونين (٣ ، ٠٦) (الميل للعمل مع التلاميذ ، والاعداد التربوى) بينما لا نجد فروقا تذكر بين ذوى الخبرة الكبيرة والقليلة لدى العينة السعودية بصدد هذين المتغيرين .

- ان ثمة فروقا ذات دلالة بين المعلمين السعوديين ذوى الخبرة الكبيرة والخبرة القليلة لصالح الخبرة الكبيرة وذلك بصدد المكون (٨) " دلائل ارتفاع الروح المعنوية " بينما لم نجد فروقا تذكر لدى عينة المعلمين المصريين بصدد هذا المتغير • وهكذا يتضح مما تقدم أن ذوى الخبرة العالية يكونون اكثر اقبالا على عملهم ورضا بأدائهم ويعزى ذلك لعدة اعتبارات من اهمها :-

أ- انه كلما زادت خبرة المعلم زاد تمكنا من مادته ، ودراية بها ، وادراكا لمزاياها ، وفهما لعيوبها •

ب- المعلم ذو الخبرة الكبيرة اكثر تمرسا بمتاعب المهنة ، والماما باساليب مواجهة هذه المتاعب ، فهو يعرف كيف يشارك التلاميذ انشطتهم ، وكيف يوظف الوسائل التعليمية توظيفا مثمرا ، وهذا كله يزلل كثيرا من مشاكله مما يجعله اكثر ارتفاعا فى معنوياته • وعلى النقيض نجد المعلم ذا الخبرة البسيطة والذى احيانا يفكر فيما انتهت اليه اقداره كمعلم ، وما انتهت اليه اقدار زملائه (مهندسين ، اطباء) •

الفرض الرابع : " تتأثر الروح المعنوية لدى المعلمين المصريين بالاعداد التربوى وكذلك المعلمين السعوديين "

وللتحقق من هذا الفرض ، طبق الاختبار بصورته (أ ، ب) ، حيث طبقت الصورة (أ) على المعلمين المصريين (٤٨ من المعلمين الذين تخرجوا من كليات التربية والذين تم اعدادهم تربويا ، ٣٢ من المعلمين الذين تخرجوا من كليات نظرية اكاديمية ، اى انهم لم يعدوا تربويا) ، كما طبقت الصورة (ب) على المعلمين السعوديين (٤٥ من المعلمين الذين تخرجوا من كلية التربية ، ٣٢ من المعلمين الذين تخرجوا من كليات اكاديمية نظرية) وعولجت استجابات هؤلاء وأولئك باستخدام النسبة التائية ، وسيوضح ذلك فى الجدول الاتى :-

اولا : جدول رقم (١٨) يوضح اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المعلمين المصريين الذين اعدوا تربويا والذين لم يعدوا تربويا ، وكذلك المعلمين السعوديين الذين اعدوا والذين لم يعدوا وهذا بالنسبة للمقياس ككل •

المتغير	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
مصريون اعدوا تربويا	٤٨	١٢٥	٧ر٢	٢ر٥٣	٠٥ر
مصريون لم يعدوا تربويا	٣٢	١٢٠	٧ر٩		
سعوديون اعدوا تربويا	٤٥	١٣٥	١٢ر١	٢ر٥٨	٠٥ر
سعوديون لم يعدوا تربويا	٣٢	١٣١	١٣ر١٥		

ثانيا : جدول رقم (١٩) يوضح اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المعلمين المصريين الذين اعدوا والذين لـــــم يعدوا ، وكذلك المعلمين السعوديين الذين اعدوا والذين لم يعدوا وذلك بالنسبة لمكونات المقياس .

المتغيـــر	الابعاد	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
مصريون اعدوا تربويـــا		٤٨	٢٣	٢ر١		
	١				٥ر١٧	٠١ر
مصريون لم يعدوا تربويـــا		٣٢	٢٠	٢ر٨		
سعوديون اعدوا تربويـــا		٤٥	١٨	٣ر١		
	١				٤ر٦١	٠١ر
سعوديون لم يعدوا تربويـا		٣٢	١٥	٢ر٤		
مصريون اعدوا تربويـــا		٤٨	١١	٢ر٣		
	٢				٣ر٦٣	٠١ر
مصريون لم يعدوا تربويا		٣٢	٩	٢ر٦		
سعوديون اعدوا تربويـا		٤٥	١٢	٢ر٣		
	٢				٣ر٧١	٠١ر
سعوديون لم يعدوا تربويا		٣٢	١٠	١ر٨		
مصريون اعدوا تربويـــا		٤٨	١٧	٢ر٤		
	٣				٣ر٥٠	٠١ر
مصريون لم يعدوا تربويـا		٣٢	١٥	٢ر٦		
سعوديون اعدوا تربويـــا		٤٥	١٧	٢ر١		
	٣				١ر٦٣	ليس لها دلالة
سعوديون لم يعدوا		٣٢	١٦	٢ر٣		
مصريون اعدوا		٤٨	١٢	٢ر١		
	٤				٢ر١٧	٠٥ر
مصريون لم يعدوا		٣٢	١١	٢ر٤		
سعوديون اعدوا		٤٥	١٢	٢ر٥		
	٤				١ر٧٥	ليس لها دلالة
سعوديون لم يعدوا		٣٢	١١	١ر٩		
مصريون اعدوا		٤٨	١٠	٢ر١		
	٦				١ر٩٢	ليس لها دلالة
مصريون لم يعدوا		٣٢	٨	٢ر٥		
سعوديون اعدوا		٤٥	١٥	٢ر٣		
	٦				٣ر٣٨	٠١ر
سعوديون لم يعدوا		٣٢	١٣	٢ر١		
	٧				١ر٧٢	ليس لها دلالة
سعوديون اعدوا		٤٥	١٧	٢ر٧		

	٧				٣ر٣٧	٠١ر
سعوديون لم يعدوا	٤٨	١٥	٢ر٧			
	٨				١ر٥٨	ليس لها دلالة
مصريون لم يعدوا	٣٢	١٤	٢ر٨			
سعوديون اعدوا	٤٥	١٤	١ر١			
	٨				٢ر٩٦	٠١ر
سعوديون لم يعدوا	٢٢	١٢	١ر٢			

بالنظر للجدولين (١٨، ١٩) يتضح ان الفرض الرابع قد تحقق ، اذ ان الروح المعنوية تتأثر بالاعداد التربوى ، تجلى ذلك بوضوح لدى كل من عينة المعلمين المصريين والسعوديين وذلك بصدد كل من المقياس ككل ، ومكوناته المرقمة بـ (١ ، ٢ ، ٥) وهى على التوالى (حب المهنة ، التمكن من المادة ، اشباع المهنة لحاجات المعلم النفسيه) ، اما بصدد بقية المكونات فاننا نلاحظ مايلى :-

- ان ثمة فروقا بين المعلمين المصريين الذين اعدوا تربويا ، والذين لم يعدوا لعالج الفئة الاولى، وذلك بصدد المكونين (٣، ٤) (الميل للعمل مع التلاميذ ، العلاقات الانسانية) بينما لم تلمس هذه الفروق لدى العينة السعودية .

- ان ثمة فروقا بين المعلمين السعوديين الذين اعدوا تربويا والذين لم يعدوا لصالح الفئة الاولى وذلك بصدد المكونات (٦ ، ٧ ، ٨) وهى على التوالى "الاعداد التربوى ، سمات الشخصية المرتبطة بالروح المعنوية ، دلائل ارتفاع الروح المعنوية " بينما لم تلمس هذه الفروق لدى عينة المعلمين المصريين . بيد ان المعلمين يعتبرون اكبر المدخلات واقيمها ، فان مشكلة اعداد المعلم لا تكمن فى مجرد توفير الاعداد اللازمة منهم سنويا ، وانما تكمن المشكلة فى النوعية والكيفية ، فاذا كان قدر مهنة التدريس تزويد القطاعات المستهلكة بالقوى البشرية ، فعليها ان تستوعب جزءا من افضل ما تنتجه وبكل اسف فان هذا لا يحدث .

وقد اتفقت نتيجة هذا البحث مع ماأسفرت عنه دراسة كل من رود وايزمان سنة ١٩٦٢ Rudd & Wiseman وريدفر سنة ١٩٦٤ Redefer فقد اجمعت هذه الدراسات وغيرها على ان عدم الكفاية فى الاعداد المهنى يؤثر لسلب فى اداء المعلمين المدرسى ، فالاعداد الجيد يجب ان يعتمد على اسس علميه مثل (ان يكون المعلم موجها علميا وثقافيا واداريا وخبيرا تكنولوجيا) وذلك حتى يستطيع المعلم ان يؤدى عمله بكفاءة عاليه .

الفرض الخامس " توجد فروق داله فى الروح المعنوية بين المعلمين المصريين والسعوديين " .

وقد تم التحقق من هذا الفرض بتطبيق اختبار الدراسة بصورتيه (أ ، ب) حيث طبقت الصورة (أ) على المعلمين المصريين والذين بلغ عددهم (٣٥ معلما من الذكور) كما طبقت الصورة (ب) على المعلمين السعوديين والذين بلغ عددهم (٤٦ من الذكور) وعولجت استجاباتهم باستخدام النسبة التائية وذلك كما توضحه فى الجدول الاتى :-

جدول رقم (٢٠) يوضح دلالة الفروق بين المعلمين المصريين والسعوديين

المتغيرات	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
معلمون مصريون	٣٥	١٢٧	٧ر٢	٩٦٦ر	ليس لها دلالة
معلمون سعوديون	٤٦	١٢٩	١١ر٣		

يؤكد الجدول السابق على ان الفرض الخامس لم يتحقق . اذ انه لا توجد فروق تذكر فى الروح المعنوية بين المعلمين المصريين (الرجال) واقرانهم السعوديين ، ويمكن ان يعزى ذلك الى ماياتى :ـ

ـ حقيقة ان ثمة اختلافا فى كثير من المتغيرات السوسيولوجية والسيكلوجية والاقتصادية بين المجتمعين وبالرغم من هذا فان متوسطاتهم على مقياس الروح المعنوية كانت متقاربه ، وربما يعزى ذلك الى الشعور العام لدى العينتين بعدم الرضا تجاه مهنة التدريس لما تكتنفه المهنه من عيوب فكل من افراد العينتين يشعرون ان عطاءهم بلا حدود ولا يناظره مقابل فضلا عن احساسهم العام بتدنى المهنة فى حاضرها ومستقبلها اذا ما قيست ببقية المهن (مهندسين ، اطباء ..) .

ـ وكثيرا ماعبر المعلم السعودى وقرينه المصرى عن استيائه من تدنى نظرة المجتمع له والذى يتمثل فى كثير من مواقف الحياة المتعددة ، علاوه على انعدام فرص الترقى لمناصب عليا .

ـ حقيقة ان المعلم السعودى يظفر بدخل عال ، ولا يواجه مشاكل الاسكان او المواصلات ، وما شابه هذا او ذاك مثل قرينه المصرى لكن كليهما لا يستطيع اقامة حياة اجتماعية اسريه بسهولة اذ ان تكاليف الزواج فى المجتمع السعودى تكاليف خياليه باهظة بصفة عامة ولدى المعلم بصورة خاصة نظرا لضعف الراتب وذلك اذا ماقيس ببقية المهن ، ناهيك عن المعلم المصرى ومايواجهه من اختناقات ماديه قد تجهض سعيه لاقامة حياه مستقره .

الفرض السادس : " توجد فروق دالة فى الروح المعنوية بين المعلمات المصريات والمعلمات السعوديات " .

وقد طبق مقياس الروح المعنوية للمعلمين بصورتيه (أ ، ب) حيث طبقت الصورة (أ) على المعلمات المصريات " ن = ٤٥ ، وطبقت الصورة (ب) على المعلمات السعوديات ن = ٣١ وعولجت الاستجابات باستخدام النسبه التائية لمعرفة دلالة الفروق بين المعلمات فى القطرين الشقيقين ، وذلك كما هو مبين فى الجدول الاتى :ـ

جدول رقم (٢١) يوضح دلالة الفروق بين المعلمات المصريات والمعلمات السعوديات

المتغيرات	عدد العينة	م	ع	قيمة ت	مستوى الدلالة
معلمات مصريات	٤٥	١٣٢	١٠ر٢	٢ر٣٤	٠٥ر
معلمات سعوديات	٣١	١٣٧	٧ر٥		

يتضح من الجدول رقم (٢١) ان الفرض السادس قد تحقق ، اذ ان الروح المعنوية لدى المعلمات السعوديات اكثر ارتفاعا من الروح المعنوية لدى المعلمات المصريات فياترى ماتفسير ذلك ؟ .

تحظى المعلمة السعودية بكثير من الوان الترف المعاصر ، فهى لا تشكو من الاعباء المنزلية او الضغوط الاقتصادية ، فضلا عن انها لا تعانى من تعدد الادوار وما يصاحب ذلك من صراعات نفسية فهى تملك من الخدم الكثير ، ومن السبل التكنولوجية العديد ، فخروجها للعمل يعد لونا من الوان الترف وهو لم يتجاوز حدود مدارس التربية والتعليم ، ولم يتم ذلك الا فى السنوات العشر الاخيرة .

وربما كان السبب ايضا ، ان الفتاة السعودية تخضع لبعض التقاليد والعادات التى تمنعها من الخروج من المنزل ، اللهم الا اذا عملت معلمه ، وحيث لا يسمح لها بشيء من الحرية الا قليلا ، لذلك فهى تسعد وترحب جدا بالعمل خارج محيط الاسرة فهذا يحقق ذاتها ، ويشعرها بكيانها .

وعلى العكس نجد المعلمة المصرية التى تشكو ضيقا اقتصاديا ، وصراعات حياتيه ، فهى معلمة فى المدرسة وراعيه لمنزلها ومدبره لشئونه الاقتصادية ، فتصارع الادوار وتتشابك الوظائف ، وتثقل الاعباء يقلل من ادائها فى المدرسة ، ويضعف من اقبالها على العمل انها تخرج لتكافح وتعانى لا لتتنزه وتترفه ، كل ذلك من اجل قهر غول الاسعار الذى يهدد امنها الغذائى وامنها النفسى .

اولا : المراجع العربية

١ - احمد زكى صالح سنة ١٩٦٥ " علم النفس فى الادارة والصناعة " ط (٢) ، دار النهضة العربية، القاهرة ص ٣١٤ .

٢ - السيد خيرى واخرون سنة ١٩٧٢ " قياس وتشخيص الروح المعنوية لدى العمال الصناعين " المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة .

٣ - رمزية محمد الغريب سنة سنة ١٩٧٢ " التقويم والقياس النفسى التربوى " الانجلو ، القاهرة ص ٤٨٠ .

٤ - ـــــــــ سنة ١٩٦٠ " ابحاث فى علم النفس " لجنة البيان العربى ، القاهرة ص ٣٣ .

٥ - عبدالله عبدالدايم سنة ١٩٦٨ " التربية التجريبية والبحث التربوى " دار العلم بيروت ص ٤٣٩ .

٦ - نورمان مايز ، " علم النفس فى الصناعة " ترجمة عماد اسماعيل ، جرجس امين سنة ١٩٦٧ ، مؤسسة فرانكلين ، الحلبى وشركاه ، القاهرة ص ١٣٩ .

٧ - وفاء الزير سنة ١٩٧٨ " الرضا عن العمل بين معلمى المرحلتين الاعدادية والثانوية " ماجستير غير منشور، كلية التربية ، المنصورة .

ثانيا : المراجع الاجنبية

8- BLESDSOE, J .1968"Factars related to satis faction and dissatisfaction With teaching" Jour. of the student Personal association for teacher Education 6, 29

9- DENISON,OLMSTED, 1946,"Lecture on the Beau ideal of the Perfect teacher"Am.Inst. of instruction at Hartford, Aug. 1945, Boston W.D. Ticker and Co. P. 83 - 108

10- EVANS, LASEAU, 1963, My Job Content New York:Mc- Graw Hill Comp .P.132-133

11- HENRY, E.,1977,"Teacher student relation as apredictor of teachers job satisfaction" Diss, Abstr. P.38-41

12- IRWIN, W. 1976,"Bu reaucracy and teacher Orintation Astudy of Orgnization morale , motivation ond Loyality, Disser. Abstr. 37.

13- RUDD & WISEMAN, 1969,"Sources of dissatisfaction among ogroup of teachers"British J. of Educ. Psy. Vol. 32 No. 5 Part 3 P.275.

14- RICHARDSON & BLOCKER, 1966"An item Factorization of the faculty Attitude survey" J. of Exp. Educ. Vol. 34 No. 4, P. 88 - 93

15- REDFER, F.L., 1964"Studies of teacher Morale" School and Society Jour. No. 22 P.36

16- SHAPIRO, B. 1972,"The relationship between satisfaction and performance in student teaching Education" Techology J. X11, Nov.

اقرئى المحادثة الآتية :

- عزيزى السيد محمود " قالت له زوجته ذات يوم " هل سمعت أن المنزل المجاور لنا قد سكن أخيرا " .

أجاب السيد محمود بأنه لم يسمع

- ولكنه سكن فعلا " أجابت زوجته " فقد حضرت الينا السيدة خديجة وأخبرتنى بكل شىء" . لم يجب السيد محمود
- " ألا تريد أن تعرف من سكنه " صاحت الزوجة بعد أن نفذ صبرها :
- " أنت تريدينني أن أعرف " .. حسنا ليس لدى مانع من أن أسمع " .
- ألا تعرف ياعزيزى أن السيدة خديجة تقول أن هناك شابا شديد الثراء جاء من الوجه البحرى وأجر المنزل المجاور وأنه جاء يوم الاثنين الماضى فى عربة فخمة ليرى المنزل وقد أعجبه كثيرا واتفق مع صاحب المنزل أن يحضر فى نهاية الاسبوع القادم مع خدمه " .
- " ما اسمه ؟ "
- " مدحت الدرملى "
- " متزوج أم أعزب ؟ "
- " أنه أعزب ياعزيزى ليطمئن قلبك - رجل أعزب وله مستقبل باهر دخله خمسة آلاف جنيها فى السنة . ما أحسن حظ بناتنا ".
- " كيف ؟ وما علاقة هذا ببناتنا ؟ "
- " أوه ياعزيزى " اجابت الزوجة " ما أكثر ما أنت ممل اليوم .. يجب أن تعرف أننى أفكر فى زواجه من احدى بناتنا " .
- " هل هذا هو مايرمى اليه حينما جاء ليسكن بجوارنا ؟ "

- "يرمى اليه ؟ كيف تقول هذا ؟ هناك احتمال أن تعجبه احدى بناتنا ولذلك فأنا أريدك أن تزوره فور استقراره هنا " .
- وما المناسبة ؟ اذهبى أنت والبنات اذا اردت بعشهم بمفردهم فربما لو رآك معهم يعجب بك أنت فأنت مازلت جميلة مثلهم ؟
- أوه ياعزيزى انك تخجلنى أنا لاأعتقد أننى مازلت جميلة لهذه الدرجة وعلى كل حال عندما تكون المرأة أما لخمسة بنات فن سن الزواج فلايجب أن تفكر فى جمالها أبدا " .
ارجو ياعزيزى أن تذهب لتراه حينما يحضر الى منزله الجديد.
- لاأعتقد ذلك فأنا مشغول .
- ولكن فكر فى بناتنا وفيما يعنيه وجوده لاى واحد منهن . سيزوره السيد زاهر وزوجته عندما يحضر لنفس السبب وأنت تعرف أنهم لايزورون أحدا من الجيران، لابد وأن تذهب لزيارته فسيكون معبا علينا زيارته بدونك .
- انك شديدة التزمت ياعزيزتى . سوف يسره أن يراك ويراهن وسأرسل معك ورقة صغيرة أخبره أننى موافق على فكرة زواجه من ليلى " .
- أوه ، أرجو ألا تفعل ذلك ياعزيزى فليلى ليست أكثر جمالا من اخواتها " .
- كلهن متساوين فى الجهل والغباء مثل كل البنات ولكن ليلى اذكى منهن قليلا .
- كيف تقول ذلك على بناتك ياعزيزى . اذا كنت تحاول اغاظتى فأرجو أن ترحم أعصابى .
- اننى أخاف على أعصابك جدا فهم أصدقائى من أكثر من عشرين عاما .
- "أنت لاتدرى كم أعانى " .

- ولكنك ستكونى بخير وستعيشى لترى احدى بناتك متزوجة من رجل ثرى يسكن بجوارنا ودخله خمسة آلاف جنيه فى السنة ".
- والله حتى لو أتى عشرون رجلا ثريا وسكنوا بجوارنا فلن يجدى ذلك شيئا مادمت لاتريد أن تزور أحدا .
- اننى أعدك أنه عندما يسكن عشرون رجلا ثريا يجوارنا فتأكدى أننى سأزورهم جميعا .

هذه المحادثة قد جاءت فى مقدمة احدى القضايا الطويلة أى ضوء تلقيه على شخصيات السيد محمود وزوجته وعن علاقتهما معا " .

UNIVERSITY COLLEGE FOR GIRLS

ANNUAL REVIEW

AIN SHAMS UNIVERSITY

No. 13

COLLEGE FOR GIRLS PRESS

1987

CONTENTS

Page

1 . La Mère Chez Rachid Boudjedra 1

Par : Dr. NAFISSA MOHAMED ABDEL SALAM ELEISHE

2 . Sultanate of Oman Study in Economic Geography ... 42

By : Dr. ISIS LABIB H. EL SOWEFI

3 . L'enseignement individualisé 63

Par : Dr. LAMAAT ISMAIL KHALIFA

4 . L'apprentissage par résolution de problèmes 93

Par : Dr. LAMAAT ISMAIL KHALIFA

5 . Interaction et Communication en classe de Langue ... 104

Par : Dr. LAMAAT ISMAIL KHALIFA

6 . PRAGMATIC PRINCIPLES AND FOREIGN LANGUAGE TEACHING . 116

By : Dr. SANA ABDEL AZIZ TAMMAM

NAFISSA MOHAMED ABDEL SALAM ELGHISHE

La Mère
Chez Rachid Boudjedra

Publication prochaine dans les
Annales de la Faculté des Jeunes
Filles
Université Ain-Chams
1985

La Mère chez Boudjedra

Parmi le petit groupe d'écrivains évolués, même s'ils ont reçu leur éducation dans les Lycées Français, appartenant à une tradition culturelle méditérranéenne, Rachid Boudjedra se distingue par l'attention qu'il porte au contenu sociologique évident : amour de la mère, amour de l'univers, révolte violente contre les traditions ou nostalgie de ces mêmes traditions, recherche d'un équilibre entre la nouvelle société urbaniste et l'ancienne.

En 1969, ce poète romancier lance dans le public, des romans, à l'écriture rageuse de délire où il se libère du descriptif, de l'explicatif, au profit du langage critique.

L'Escargot Entêté, La Répudiation, L'Insolation, les 1001 Années de la Nostalgie font et demeurent oeuvres majeures de notre temps.

A une heure où la cellule sociale, la famille est en lutte aux pires assauts, de la part du monde, de la littérature, de la législation, à l'heure où trop de mères oublient ou négligent les devoirs essentiels de leur charge, Boudjedra enregistre, dans ses romans de remarquables bandes d'actualité sur la réalité de la maman Algérienne. Cette ambiance exotique du rôle de la mère, presque le même dans le monde, il le pressentit.

La mère au sens habituel, du terme, c.a.d. la femme mariée dotée d'enfants légitimes, est un personnage relatif et tridimensionnel. Relatif parce qu'elle ne se conçoit que par rapport au père et à l'enfant. Tridimensionnel parce que, en plus de ce double rapport la mère est aussi une femme, c.a.d. un être spécifique doué d'aspirations propres qui n'ont souvent rien à voir avec celle de l'épouse ou les désirs de l'enfant.

Il est donc impossible d'évoquer l'un des membres de la micro-société familiale sans parler des deux autres. La relation triangulaire est non seulement un fait psychologique mais aussi une réalité sociale.

Si Claude Blanche[1] s'est amusée à établir les différentes catégories où l'on peut classer une mère, Boudjedra a choisi la maman qui sera tout à la fois : la sereine et tendre figure à côté de la négligente, de même que la paresseuse paraît à côté de la scrupuleuse, la confidente, l'autoritaire et l'hyper protectrice.

(1): Feux Sur Les Mères - Paris - Edition du Scorpion 1960 P.25

./...

Ce professeur de philosophie a cherché à dénoncer le charlatanisme religieux, la polygamie, le mariage des jeunes filles à treize et quatorze ans. Créateur libertin il a essayé de filmer sa jeunesse et son décor.

En effet, très tôt, l'enfant algérien intériorise le rôle de sa mère et comprend combien sa situation est précaire et fragile au foyer. Il ressent avec angoisse la domination et la supériorité du père par rapport à la mère.

La Répudiation pourrait être considérée comme autobiographique dit l'auteur de l'Escargot Entêté

> " dans la mesure où j'ai eu personnellement des problèmes avec mon père, quand il a répudié ma mère? J'en ai énormément souffert " (1)

Tout figure dans ses mélodrames, dans cette ambiance du pays réel : démographie galopante, enrichissement de la nouvelle bourgeoisie face à la misère de certains paysans, l'aspiration de l'Algérie tout entière, à un moment de son histoire, dirigée vers la liberté et la vérité.

La mère demeure le centre, elle en est la flamme, elle en est l'élément sine qua non, chacun la reconnaît de bon coeur dans la famille. Cette mère simple, ordinaire accomplit jour après jour , et le plus souvent dans la grisaille d'une vie sans relief, cette mission à la fois sublime et irremplaçable, avec un total oubli de soi .

Boudjedra, par un modeste effort veut nous aider à passer du magique à un état de conscience, du spontané instinctif à une liberté adulte et raisonnable. Pour tous les âges et à tous les moments il nous la présente omniprésente et omnipotente à la fois.

Nous croyons qu'elle vivra toujours, et nous nous contentons naïfs, tristes naïfs de cette certitude tranquille et inexprimée qui nous laissera hébétés et vides, terriblement mutilés, le jour où d'une présence perpétuelle, elle deviendra pour nous une absence complète.

Dans chacun de ses romans, Boudjedra parle du fond de sa prison circulaire, enfermé sur lui-même dans sa caverne maternelle en quête de la maman ou femme répudiée, à la recherche d'une innocence primordiale loin des saccages, attaquant cette espèce de synthèse mythique magique, érotique, sentimental d'une civilisation entière, la faisant passer de sa forme orale à l'écriture.

(1): Pendala, Mirinette : "Entretien avec Rachid Boudjedra" dans Présence Francophone Printemps 1979

./...

PREMIER CHAPITRE

Présentation des Mamans

" On aime sa mère presque sans le savoir, sans le sentir, car cela est naturel comme de vivre, et on ne s'apreçoit pas de toute la profondeur des racines de cet amour qu'au moment de la séparation dernière ".

Maupassant (Guy)

Comme la Mort

Paris-Albin Michel, 1950, P.372

L'individu n'existe que par sa famille, simple mutation de la notion de clan qui existe encore, sous des formes plus adoptées à la vie contemporaine. Le nom de la famille constitue une puissance. Pour comprendre l'importance du nom qui prime la réalité historique et sociale, il faut se placer dans la logique de l'honneur, du prestige et de la protection algérienne ou orientale.

Boudjedra parle de la cellule familiale algérienne avec force et vérité. C'est en même temps l'Algérie, le Maghreb, le monde arabe tout entier, sa force et sa faiblesse, son passé et son présent, mêlé avec violence et lyrisme. La volonté d'exagération est parfois si manifesté en ce qui concerne la mère, femme et objet avec lequel on s'amuse, on la consomme et on la rejette, on la répudie, on la viole et on la méprise.

Elle n'est parfois qu'une chair à donner du plaisir et un instrument à faire des enfants. Elles devient impureté constante et interdite en même temps que "sanctuaire réservé".

Le mythe de la mère se montre dans le symbolisme polyvalent de la maison, ce cadre normal où se trouve la maman, évoque l'image de l'abri, du refuge, de la protection, de la sécurité: en un mot de la mère. L'homme sollicite l'intervention de la maman, en ce qui concerne son mariage, son divorce, pour donner un nom à ses enfants ou prendre une décision familiale.

Le fils reconnaît à sa mère le droit de décision pour tout ce qui se rapporte à sa vie privée.

Amoureuse de la nature et de la vie, Sido mère de Colette est comme Messaouda (la mère dans les 1001 Anneés de la Nostalgie), toutes deux sont sources de vie et de force.

Dans la Répudiation, la mère Zohra se sent doucement écartée, c'est alors que le fils, se révolte contre le père et contre tout ce qu'il représente.

Le fait est dans l'exigence imposée aux femmes, on réclame une vertu que la morale prédominante n'impose pas aux hommes, ni au même degré.

La mémoire de Boudjedra se fait exploration et découverte, interrogation et invention. Ce n'est pas une création inconsciente, le point de départ étant un souvenir auquel se joint une forte émotion. Chaque heure de son existence occupée par une présence aimée, chaque événement, si menu soit-il se rapportant à un être chéri, deviennent créateurs d'une capacité et d'une puissance de fixation dans une continuité confuse.

./...

Zohra est au sens cosmique du terme, une force de la nature que l'on peut difficilement indiquer, étant par excellence le lieu des contiguités, l'espace où se confondent et se résolvent toutes les antinomies. Immense au sens étymologique du terme, elle réconcilie les confins.

> " Non, on ne parle pas, on ne discute pas, avec une femme. Simplement on l'informe (ce soir, il y a des visites) on la convoque, on la condamne et pêle-mêle on l'épouse (on la marie ou on la répudie, on la giffle ou on la chasse, on la bat ou on la flatte - jamais ou presque on ne voit en elle un autre, aussi positif que soi, et qui aurait, comme tout un chacun, quelque chose à donner ". (1)

Le mariage étant parfois une affaire d'intêret, les époux ne s'étant pas choisis eux-mêmes; mais ayant été choisis par leurs parents, pour des raisons de rang social ou d'argent, l'un et l'autre trouvent dans leur union non pas l'amour mais l'ennui.

Les deux mères des Milles et Une Années de la Nostalgie : Messaouda et Bender Chah ne parlaient que rarement de cette crise qui mit leurs familles en marge et précipita leur mariage avec des hommes qui n'étaient pas de leur rang social, l'un manoeuvre dans une papeterie, l'autre crieur dans un bordel.

> " Elles avaient été bradées aux premiers venus car leur famille avaient subi le contrecoup de la Seconde Guerre Mondiale et avaient fait faillite, le même jour." (2)

Boudjedra doué d'un certain humour et d'un sens de grotesque à défaut d'une satire qui ne peut s'exercer sur l'irréel, revient souvent au fait fondamental dans l'Insolation et dans la Répudiation, la faiblesse et l'infériorité de la femme : de la maman Zoubida racontait souvent à son enfant que son mariage avec si Zoubir n'avait été que la conclusion d'une affaire financière puisque la famille avait besoin d'argent.

Selma n'avait jamais osé avoué à son mari ni à son fils qu'elle avait été violé par son beau frère à l'âge de seize ans.

(1): Msefer, Assia Akesbi: Dépendance de la Mère au Carrefour du Pulsionel et du Social, Thèse - Paris IV, 1979, p. 120.

(2): R. Boudjedra, Les 1001 Années de la Nostalgie. Paris - Denoel, 1979 p. 331.

./...

La Mère chez Rachid Boudjedra

Oh! L'amour d'une mère, amour que nul n'oublie!
Pain Merveilleux qu'un Dieu partage et multiplie!
Table toujours servie au paternel foyer!
Chacun en a sa part et tous l'ont tout entier!

" Victor Hugo "

Dans l'Escargot Entêté, la mère ne joue pas le rôle essentiel, mais c'est à travers le fils maniaque qu'elle transparaît, par bribes.

C'est ainsi que Messaouda, fait exception à la règle générale. Elle s'obstinait à 81 ans, à dépasser les limites de ses forces et de sa résistance. Elle gardait toujours la fierté de ses ancêtres qui avaient occupé des charges importantes et exercé des métiers hors du commun, elle avait dans sa famille des aieux chambellan du Sultan Mourad.(1)

Rachid évoque la maman qui voit grandir avec un peu de crainte mais toujours plus d'amour, ses enfants et ses adolescents; que la vie, jour après jour, détache plus ou moins de ce cercle intime où elle voudrait les garder, mais elle sait bien qu'ils ne trouveront bientôt plus la plénitude de leur vie personnelle.

Si Sophie de Rostopchine, Comtesse de Ségur demeure une attachante figure de maman et de grand-mère au XIX Siècle, Messaouda demeure dans son foyer, de bonne humeur, rallumant et ranimant les enthousiasmes refroidis de ses enfants.

Boudjedra, au courant des découvertes de la psychanalyse moderne, a tendance à doter ses héroines d'un inconscient trés actif : rêves racontés, introspections minutieuses, mythes et symboles. Parfois, à l'insu de l'autre dans l'Insolation, se glissent des éléments que la psychologie des profondeurs a appris à reconnaître et à situer dans la vie humaine. C'est pourquoi nous accorderons à l'inconscient des mamans une attention particulière.

D'ailleurs notre romancier donne à l'Algérie, à sa géographie et à son histoire une importance qui continue à donner à la maman, quelle qu'elle soit, un intêret de premier plan.

Les mamans semblent répéter :

" Voilà ce que nous sommes
Voilà comme nous vivons ". (2)

Zoubeda et Zohra, les mères de la Répudiation et de l'Insolation représentent la femme cloisonnée et privée de tout contact avec la vie publique. Désespéré, le héros avait pitié des mamans, il s'extériorisait en ces termes:

" Comme ma mère était condamnée à ne plus quitter la maison jusqu'à sa mort, nous étions trés inquiets à l'idée de l'agonie qui allait nous

(1): R. Boudjedra: Les 1001 Années - p. 334
(2): Maspero : Les Zéros tournent en rond - Paris, 1961, Maspero - p. 56

./...

envahir et de l'amour maternel qui allait nous dévorer. Il n'y avait pas d'issue." (1)

Un jeune homme savait dès son enfance qu'il pouvait avoir plusieurs épouses mais il devait se souvenir qu'il n'aura qu'une seule maman. Baudjèdra met l'accent sur la signification de la maternité en milieu traditionnel en exprimant combien cela valorise et ennoblit. Le titre même de la Répudiation est déjà supplice de la mère, supplice dont le premier officiant est certes le père qui vit loin de sa famille.

" Mon père dort dans son alacrité rassurante
Ma mère est une femme répudiée " (2)

L'oeuvre de Boudjedra est la monographie minutieuse d'une certaine réalité vécue et imaginée à la fois.

Portrait physique

Les mamans de Boudjedra sont plutôt décrites par les traits moraux traditionnellement considérés comme féminins, que par les traits physiques. Angoisse, délire et pourquoi pas, le fou rire aussi, qui servent en quelque sorte à la démystification de ce personnage, évanouissement, écoeurement, panique, éclipsent les descriptions du corps maternel qui sont presque inexcistants directement.

A part Messaouda qui sort de l'ordinaire et possède une caractérisation corporelle.

" Messaouda en train de prendre son bain quotidien dans une énorme jarre chauffée au bois du jardin à la façon traditionnelle. Sa belle fille remarqua qu'elle avait un corps très bien conservé malgré ses dix accouchements et des seins volumineux séparés par un magnifique tatouage bleu"(1)

Quant à la maman dans l'Escargot Entêté, son tatouage séparait longuement le front en deux (2)

La mère de Kaltoum, Bender Chah, femme du gouverneur dans les 1001 Années de la Nostalgie avait un corps fragile au point qu'on voyait à travers sa peau, la transparence des os.

(1) R. Boudjedra . La Répudiation, Paris Denoel, 1969, p 10
(2) Ibid , p 22

(1) Les 1001 Années de la Nostalgie , p 111
(2) R. Baudjedra, l'Escargot Entêté, Paris, Denoel, 1977, p 56

./...

Alanguie, délicate du nez et des poumons, et la moindre brise pouvait l'emporter

> "Elle témoignait d'une fatigue plus vieille qu'elle même et n'avait de réel que ses immenses yeux qui dévoraient le reste de son minuscle visage." (1)

Elle était la deuxième femme du village à sortir dévoilée. C'est pourquoi sa beauté resurgissait comme par enchantement et s'étalait sur son visage.

Elle ressemblait par sa beauté à la mère de Zoubir dans l'Insolation.

> " Ma mère était belle. Contrairement à ma tante, elle ne faisait pas la prière et prisait en cachette". (2)

C'est une beauté dont les détails sont inconnus, par contre les traits et les gestes sont mieux dessinés dans la Répudiation.

> " La lumière souligne le fin duvet qui lui couvre la lèvre supérieure, on dirait qu'elle a une moustache.
> Elle baraguine entre ses lèvres.
> Tout à coup, je la trouve belle, elle a des petites rides à droite du menton et comme je ne peux voir la partie gauche, je décide qu'elle n'en a pas ce côté-la." (3)

Boudjedra donne l'impression de participer à un corps à corps avec les mots, il voit sa mémoire saigner, les mots s'énivrent et le cours de la logique qui les supporte, s'en trouve affecté. C'est alors qu'il se permet de lancer des termes affectifs et pittoresques.

> " Je voyais Ma se mordre les lèvres et se tordre le corps. Elle se taisait... Ma garde une attitude discrète, mais au fond elle a envie de provoquer un scandale : se déshabiller et laver ses seins avec l'eau glacée du puit
> Solitude... Fermeture ...
> Pire qu'une huître : un vagin inculte" (4)

Devant ce constat de l'image, à la fois emphatique et péjorative de la maternité nous sentons la relation mère-enfant ; le phénomène de l'ambivalence domine les textes et met en lumière les théories de la psychanalyse. La maman sans le montrer endosse une ultime responsabilité : l'inconscient et les désirs de son enfant.

(1) Les Mille et Une Années de la Nostalgie , p 335
(2) l'Insolation, Paris, Denoel 1972, p 10
(3) La Répudiation, p 112
(4) Ibid, p 46

./...

A maintes reprises Boudjedra souligne le tic de Messaouda de jouer aux bretelles de son soutien gorge porte-parole de son état: joyeuse ou malheureuse.

" Son soutien gorge qui avait cédé sous le poids de sa gaîté, conjuguée à la folle abondance de ses chairs" (1)

Messaouda a pu acquérir une grande autorité auprès de ses enfants et de ses petits enfants, elle s'en occupait constamment, les harcelant quotidiennement, afin qu'ils ne s'écartent point du droit chemin, tracé par elle.

Les deux premiers jumeaux de Keltoum confondaient leur mère avec leur grand-mère, ils emmêlaient les deux Messaouda "bien que les seins de leur mère fussent beaucoup moins volumineux que ceux de leur grand-mère" (2)

Le fonctionnaire de l'Escargot Entêté avait hérité de sa mère quelques traits physiques.

" J'ai les yeux gris de ma mère " (3)

Elle même le reconnaissait et elle le flattait pour cette ressemblance, prévoyant déjà la détériorisation d'un de ses poumons.

Le "Je" du personnage du fils est au fond l'expression d'un moi qui se cherche, en se déterminant par rapport à la mère. C'est la démarcation claire d'une génération à l'autre, puisque le fils avait hérité la force de caractère et sa passion du thé à la menthe. Elle en consommait plusieurs litres par jour et avait les reins solides.

Cette maman, résidant si loin de son fils, employé assez méticuleux, y avait déjà mis ses empreintes dés l'âge de deux ans, elle en était fier et se flattait souvent les jours où elle était de bonne humeur. Une admiration réciproque attachait la mère à son fils, elle craignait la fragilité des poumons ou n'importe quelle autre maladie qui pouvait toucher à sa capacité de procréation.

Quant à lui, il revoyait souvent les photos de sa mère, conservées précieusement dans une boîte en carton, avec extase et tendresse.

" Je tiens de ma mère. Elle était susceptible et ses gestes étaient si clairs qu'elle faisait scintiller l'ombre autour d'elle. En un mot elle était phosphorescente " (4)

(1) Les 1001 Années, p 285
(2) Ibid, p 195
(3) L'Escargot Entêté , p 159
(4) Ibid , p 21

./...

Portrait Moral

La famille étendue, étant la plus représentative, la plus cohérente, sa richesse dépendant en quelque sorte de son affectif, l'on comprend cette tendance à accroître autant que possible le nombre de personnes solidairement liées.

Si la femme est hantée par la procréation, l'homme est exigeant pour la prolifération.

> " Dour craignait qu'elle ne lui donnât qu'un enfant solitaire qui en baverait toute sa vie, Messaouda entrerait dans une rage folle. N'avait-elle pas décidé que puisqu'il était né esseulé et sans nom, il était condamné à procréer des jumeaux de sexes différents". (1)

Le rôle de reproductrice assigné à la femme, comme sa fonction primordiale, a été maintes fois évoquée par les auteurs maghrébiens d'expression française: tel Sefrouri, Chraïbi, Feraoun. Ils ont bien prévu le danger et le malheur qui peuvent frapper la femme stérile, sur qui pèse la menace continuelle de la répudiation. C'est pourquoi Boudjedra insiste sur la pharmacopée traditionnelle et les méthodes magico religieuses occupent dans ses romans, une place considérable.

Hantées par la stérilité, les femmes recourent aux multiples remèdes, aux boissons d'herbes fortement épicées. Elles rendent visites aux "toblas" qui leur écrivent des talismans destinés à rompre l'envoûtement dont elles se croient victimes, ou bien vont-elles honorer d'une visite tous les saints reputés dans ce domaine.

Messaouda, en dehors de sa fécondité prodigieuse qui l'avait amenée à concevoir neuf fois de suite des jumeaux, à l'exception de pauvre Mohamed S.N.P., savait donner des conseils aux femmes stériles, excellait dans l'art de dessiner des tatouages sur les parties les plus intimes et débordait sous des dehors grincheux, d'une tendresse aussi grande que sa cupidité. Messaouda avait immolé plusieurs boucs, pour remercier Dieu de sa fécondité!

Le héros de l'Escargot Entêté se pose directement la question.

> "Pourquoi cette obsession? La reproduction ! Seule chose qui les intéresse réellement comme les rats et les souris!" (2)

Nous sommes étonnés par l'attitude assez stricte de sa mère "elle avait décidé un garçon, une fille (3). C'est surtout la naissance masculine.

(1) Les 1001 Années de la Nostalgie , p 377
(2) L'Escargot Entêté , p 14
(3) Ibid , p 25

./...

qui est alors considérée non seulement comme une protection et une sécurité pour la femme, mais aussi un facteur de stabilité pour le ménage.
Le fils représente pour la maman sa part de chance devant Dieu. Le mari n'attend de sa femme que des garçons. Il s'agit de prouver à toute la tribu et la famille que sa femme, est de bonne qualité, qu'on ne s'est point trompé sur la marchandise et qu'on est soi-même un homme véritable.

Chez Boudjedra, on retient surtout la violence du témoignage, on remarque avant tout la présence du sang chaque fois que le narrateur parle de sa mère. C'est la victime qui rappelle à Mehdi toutes les autres circonstances malheureuses de son enfance.La lente agonie fait surgir en lui d'abominables visions. Elle devient pour l'enfant l'image de l'impureté constante et interdi... en même temps que "sanctuaire réservé".

Et dans son cadre normal, la maman perdait chaque jour un peu de sa douceur et de sa constance ; cependant elle n'est jamais adulte, ne sortant que rarement pour rendre visite à des amies ou pour se rendre au bain maure, à la fin du cycle mensuel . Par l'éducation reçue, par les valeurs spirituelles et intellectuelles, par le style de la vie acquise, la génération de nos romans appartient au passé le plus conservateur. La mère et l'épouse se voient terriblement lésées par la loi puisqu' elles n'ont en réalité aucune garantie sérieuse face à toutes les procédures dont peuvent disposer les maris. Celles-ci lorsqu'elles sont répudiées, retournent nécessairement dans leur famille et deviennent des charges supplémentaires,puisque dans la majorité des cas, elles sont incapables de subvenir à leur besoins.

> " Ma Mère ! vingt brûlures entre les yeux, le calvaire de Ma durait toujours. Elle pétrissait la pâte, cuisinait et soignait Zahir qui se morfondait dans une torpeur bizarre (...) Elle s'évanouissait deux fois par jour. Ma préférait l'engourdissement " (1)

Certes cette maman perdait de plus en plus son autorité et sa santé, faisant de son mieux pour oublier.
Boudjedra n'a point oublié que la polygamie demeure comme elle l'a tjs été l'apanage de la bourgeoisie, c.a.d des gros commerçants dans les villes et de gros propriétaires terriens de la campagne. La polygamie comme la répudiation dégradent les différents rapports familiaux,faussés à la base,par l'autoritarisme

(1) La Répudiation , p 80

./...

ombrageux du chef de famille, la multiplicité des demi-frères et des demi-soeurs, la rivalité entre les différentes épouses et le favoritisme que pratique l'epoux à l'égard de l'une d'entre elles, généralement la plus jeune et la plus belle. C'est alors que la première épouse vit dans l'inquiétude, et la peur lui fatigue la tête.

> " Elle se déleste des mots comme elle peut,et cherche une fuite dans le vertige mais rien n'arrive. Devant ses paupières une fluorescence intermittente que l'incertitude rend peu à peu insupportable.
> Elle ne sait pas cerner le réel." (1)

Si Ma, était moralement, complètement déprimée, Selma devenait méfiante, hantée par l'angoisse de l'agonie (2). Le goître continuait à croître et à déformer son cou à tel point que parfois elle prétendait parler aux morts et engageait des dialogues imaginaires avec son frère tué. Quand elle allait très mal , elle appelait son fils et l'entretenait, le priant de lui chercher une grande hâche, pour tuer son mari Siomar. Elle délirait et il ne fallait pas la contredire. L'idée de la mort germait dans sa tête.

> " Selma me répètait qu'elle avait mal au bout des seins et que c'était le signe du malheur qui allait frapper à la porte ." (3).

Au début,comme toute sage maman,Selma avait tout fait pour cacher sa maladie, elle disait qu'elle avait des maux de tête, qu'elle calmait en la serrant dans des fichus multicolores. Elle ne voulait reconnaître que la médecine traditionnelle. Plus d'une fois Boudjedra donne les détails minutieux des symptômes .

> " Puis elle avait ce goître qui lui avait peu à peu dévorer le cou, grossissait à vue d'oeil et durcissait chaque jour,un peu plus comme un étau qui l'étouffait et l'empêchait de bien respirer." (4)

La maman algérienne exprimait la puissance de Dieu vis à vis de toute maladie. Mais Messaouda, à la nouvelle du suicide de sa fille, tomba en syncope, quand elle revint à elle même elle avait perdu la voix, la mort d'Atilkaa l'avait interdite et à la fois, avait sidéré la famille entière.

(1) La Répudiation , p 38
(2) L'Insolation , p 208
(3) L'Insolation , p 128
(4) Ibid , 134

./...

" La maladie de Messaouda toujours muette, était un témoignage concret et affligeant du malheur tombé brusquement sur le clan le plus nombreux, le plus excentrique le plus turbulent et le plus rayonné de Mananna". (1)

On était stupéfait devant cette vieille mère qui avait plutôt le caractère comique, préférant plaisanter et écouter les anecdotes. Voyant les événements sous "l'angle de l'imagerie et du conte", Boudjedra a peint des mamans inoubliables.

Elles demeurent originales, vivant chacune un drame particulier, contaminé et souillé par "le sang". Boudjedra a donné au portrait de la maman "soumise, violée et déprimée", c'est à dire au portrait moral une grande importance. Quant au portrait physique, il l'a dessiné à peine, c'est peut-être, à cause de la femme qui était voilée de la tête aux pieds.

(1) Les 1001 Années de la Nostalgie , p 128

./...

D E U X I E M E C H A P I T R E

Rôle de la Mère

" La femme n'est sa véritable sphère que quand elle est mère, elle déploie alors seulement ses forces, elle pratique les devoirs de sa vie, elle en a tous les bonheurs et tous les plaisirs. Une femme qui n'est pas mère est un être incomplet et manqué " .

Balzac - Mémoires de deux jeunes Mariées

Oeuvres - Tome 1 - P. 251

Rôle de la Maman

(1) Rôle Ménager : Faire des gosses, autant que possible des garçons, les élever, tenir la maison, cuisiner avec art semble le devoir de la maman.
Les mamans de Boudjedra présentent deux types catégoriques et fermes face à deux types faibles et soumises à la volonté de leur mari, l'une ayant subi l'humiliation d'être répudiée, à cause de la vieillesse, la deuxième subissant la honte et la maladie.
Boudjedra profitant du langage poétique se plaît à raconter dans La Répudiation, l'histoire de Rachid, narrateur vivant dans le délire, qui reproche à son père la répudiation de sa femme, il venait de se remarier avec une jeune fille affriolante de 15 ans, Zoubida, qui excite tous les mâles de la tribu déjà en effervescence. Il raconte sa propre histoire, étant à la recherche de la paternité perdue en même temps que sa mère.

" Ma mère à côté, agonisait par la faute des menstrues démentielles qui ne voulaient s'arrêter ". (1)

Cette maman, nous l'écoutons à peine, mais nous la voyons agir, tiraillée entre la joie et la tristesse, joie de voir son garçon devenir homme et tristesse de le voir touché dans la chair qu'elle chérissait le plus.

Pourtant, elle continue à partager sa vie entre le travail ménager et la servitude absolue à "son seigneur et à ses enfants".
Bien que vivant dans l'ignorance, elle savait profiter de son temps et du temps de ses enfants . Elle gaulait les figues pour faire les confitures de l'hiver, épluchait les légumes et cuisinait jour et nuit.

Messaouda, fille d'un commerçant qui trafiquait la percale, le chintz et la toile de voilure dans les village de la côte, occupait son temps et celui de sa nombreuse progéniture à la culture d'un jardinet où poussaient les plus gros concombres, les melons les plus sucrés, les nèfles les plus obèses "ayant un goût venu du paradis et un parfum incomparable" (2).

Les mères algériennes, comme Boudjédra les a conçues , sont déléguées aux travaux ménagers : tenir la maison étincelante, nettoyer les volières et les cages, enfin organiser l'intendance; Messaouda pourrait être considérée comme un jardinier bien expert, ayant le sens de l'irrigation. Elle savait comment retourner la terre, comment arroser les cultures délicates. Elle était réputée et désirait entretenir sa réputation,

(1) La répudiation , p 14
(2) Les 1001 Années de la Nostalgie, p 307

selon laquelle, elle possédait la maison la plus propre, la plus paisible; ses meubles transmis de génération en génération avaient l'air de sortir de chez le menuisier et sentait bon l'encaustique malgré leur âge.

Elle représentait le type de la mère idéale et ambitieuse. Elle pratiquait le commerce lucratif et l'élévage. Sa richesse lui permettait d'agrandir la maison, de consolider les meubles, d'installer un système de climatisation approprié et de se lancer dans la culture de serre.

> " Elle eut même l'idée de creuser un bassin s'il venait à pleuvoir, elle aurait la possibilité d'y recueillir l'eau de la pluie, d'y verser quelques quintaux de sel, et d'entreprendre un élevage de poissons marins ". (1)

Boudjedra répète souvent que la société algérienne assiste à un perpétuel mouvement de destructuation et de restructuration, cependant la situation et le rôle de la maman n'ont pas encore subi de profonds ni de réels changements. Messaouda se débrouillait toute seule, économisait assez d'argent, stokait suffisamment de denrées pour vivre sans problèmes matériels juaqu'à la fin de ses jours.

Elle demeurait parmi les mamans un type original, et un modèle de résignation, ayant gardé de son éducation un horrible mépris pour la race noire, une passion de l'eau de rose et celle des fleurs d'oranger, mais une avarice légendaire qui embarassait ses enfants.

La production agricole étant caractérisée par la faiblesse des rendements, l'état retardataire des moyens d'exploitation et des méthodes de travail, Messaouda par son amour jaloux de la terre, de ses fruits, par son goût prononcé pour le travail lucratif, représentait la structure sociale à tendance démocratique;

Tandis que Bender Chah essayait de créer chez elle un milieu bourgeois. Elle gardait des tapis, tenait à un certain nombre de domestique, à l'éxubérance des jardins, les miroirs importés de Venise, l'argenterie astiquée chaque jour, les chambres ombragées, les fenêtres profondes au tulle évanescent, les odeurs calfeutrés de résine et d'ombre, les bougeoirs en or ciselés (2).

Deux réalités contradictoires dans un pays de révolution, à travers un itinéraire pathétique; Bender Chah voulait occuper le vide sentimental qu'elle souffrait. Pendant l'abscence de sa fille Keltoum, ayant senti le besoin de la revoir c'est avec tendresse et effusion qu'elles se retrouvèrent. Après un voyage de noces heureux :

> " elle remarqua que sa mère avait retrouvé un petit peu de sa

(1) Ibid , p 64
(2) Ibid , p 325

./...

gaîte d'antan, comme libérée d'un gros poids." (1)

Driss Chraibi tout comme Boudjedra tenait à expliquer qu'il a puisé l'absence totale de l'esprit de révolte féminine, le rôle de l'angoisse, la valeur de la patience, l'amour de la vie chevillée dans l'âme, et finalement la soumission complète devant le comportement des maris qui jouissent de tous leurs droits.

Intourée de la soulitude, d'une douceur à l'ombre du coeur refroidi; la maman continuait à s'occuper de ses enfants, avec le visage rempli de sillons de plus en plus profonds qu'ont creusé les larmes, Rachid reproche à sa mère la résignation, elle meurt de son silence puisque même le droit à la parole n'était pas encore acquis! Toute son existence se justifait dans une vie recluse où elle finit par céder. Dans La Répudiation où la trame anecdotique, commde dans Les 1001 Années de La Nostalgie, est tissée autour de l'énigme essentiel

" Ma, La Mère
" Parle moi plutôt de la Mère...
Parle moi encore de ta mère." (2)

semble le leitmotif du roman. Acceptant la fille illégitime de si Zoubir et d'une couturière, juive de vivre chez elle, l'adaptation lui était pénible cependant elle continuait sa vie ménagère, stokant comestibles rares et couteux, préparant le plat préféré par son mari : le couscous très fin et très épicé acceptant ses ordres, ne sortant jamais dévoilée et organisant des veillées amicales et les cérémonies des fêtes musulmanes.

La mère du bureaucrate n'a jamais eu la parole directe dans le roman, mais son fils ayant tendance à relater le passé, à penser à sa mère, à sortir la boîte à chaussure où il camouflait ses photos, ayant hérité ses habitudes, respecté ses goûts et ses opinions.

" j'aime ma solitude. Ma mère disait les fréquentations sont mauvaises et la gale est contagieuse." (3)

C'est pourquoi il juge qu'elle a très bien agi après la mort de son père, ayant coupé tout lien avec la famille de son mari, avec la sienne aussi. Elle a changé de ville tout de suite après l'enterrement. Elle n'a pas eu de faiblesse.

Comportement très rare, analysé par le fils qui n'a jamais, égoiste de nature, exposé le point de vue de sa mère, ses émotions, ses sacrifices, puisque d'habitude les mamans restent attachées à leur domicile, à leurs souvenirs.

(1) Les 1001 Années , p 268
(2) La Répudiation , p 12,15,17
(3) Le Escargot Entêté , p 129

./...

Cette mère a dû subir le choc de la civilisation technique qui envahissait tous les domaines de la vie. Le besoin le plus immédiat étant celui de la libération.

L'emploi du temps passé vient rétablir la distance chronologique qui sépare le moi enfantin et le moi adulte. Catégorique lorsqu'il le faut mais tendre et généreuse tant qu'il le faut la maman!

Messaouda demeure quand même une figure inoubliable, critiquant les fantaisies de son fils, elle décrétait les noms des prochains mâles de la lignée S.N.P.

Fixé par la tradition, confirmé, par son mari, le rôle de la femme est clair : l'épouse est une ménagère, une reproductrice, une responsable de l'éducation.

./...

Rôle Educateur

Il n'est pas de spectacle plus aimable que celui d'une mère berçant, câlinant, amusant son petit enfant, ni de plus jolies expressions que celles de la tendresse sur les levres. Les noms câlins s'emploient de bien des manières.

L'alimentation au sein est alors l'alimentation la plus courante dans le milieu traditionnel des romans de Boudjedra. Par des caresses, des paroles gentilles et affectives, la mère participe à la tétée de son enfant, les chansons semblent choses nécessaires.

Si Rousseau est le plus connu comme théoricien de l'amour maternel, qui eut de son temps le plus grand rayonnement et la plus pénétrante influence, Boudjedra le dépasse dans l'exaltation de la maternité. Messaouda II est peut-être plus tendre encore que Messaouda I. Tout au long de la toilette de son enfant, elle l'embrasse en lui souhaitant un avenir glorieux et heureux.

Et quel malheur pour la maman qui perd son enfant ! Bender Chah en perdant sa deuxième fille, n'a jamais guérie de cette mort dont elle se sentira à jamais coupable.

> " Elle passait sa vie assise dans un fauteuil à bascule (...) . Elle se calfeutrait en attendant de mourir (...) . Elle portait sur son visage l'expression de l'absence comme si elle n'était pas de ce monde ".(1)

Telle a été la réaction de cette maman devant la réalité extérieure et la vie quotidienne.

Toutes les mamans chez Boudjedra sont exceptionnellement intelligentes; présentées en ligne zigzaguée pour les ressortir de l'ombre à la lumière.

La maman du bureaucrate dans l'Escargot Entêté.

> " .. était vive et comprenait vite. Pourtant elle ne savait ni lire, ni écrire. " (2)

Ce sont presque les mêmes termes qu'il reprend dans les autres romans pour assimiler la maternité à la fécondité plutôt qu'à la culture.

> " Ma mère ne sait ni lire ni écrire. Raideur. Sinuosités dans la tête. Elle reste seule face à la conspiration du mâle allié aux mouches et à Dieu. " (3)

(1) Les 1001 Années , p 250
(2) L'Escargot Entêté , p 139
(3) La Répudiation , p 59

./...

La paysanne enceinte ou maman ne change à peu près rien à ses activités ordinaires : non seulement elle tient la maison, la basse-cour, la laiterie et le potager, elle donne des ordres à ses enfants, les renseignant sur la façon de monter le moulin qui fonctionne à l'energie solaire, comment obtenir le plus beau verger, augmenter le vacarme et offenser un méchant gouverneur devant son bureau! Messaouda possédait l'art d'être mère et même grand-mère, elle faisait parfois semblant de ne pas entendre ses enfants, tout occupée à donner à manger aux poules, à laver la laine, à rouler les couscous, ou à presser les tomates pour les conserves de l'hiver.

Au milieu de tout ce fardeau, quand son fils tombait dans le coma, elle se vidait en le soignant, de toutes les larmes de son corps en attendant qu'il revienne à sa conscience. Elle seule est capable de comprendre les anomalies du fils, inventant des méthodes particulières et propres à sauver ses fils soit du désastre de l'insomnie, soit des pièges de l'asthme.

En ce qui concerne ses filles, à part Rachida, elle a pu leur éviter toute peur du monde extérieur en les surveillant de près et en les poursuivant de ses conseils.

Presque toujours la maman est animée par des pressentiments, et des soucis, c'est pourquoi elle se sacrifie corps et âme à la réussite de ses enfants.

Dans l'Escargot Entêté la maman était sûre de la réussite de son fils.(1)

Un besoin de voir, de sentir de comprendre et d'être obéi domine les mamans chez Boudjedra..

La mère chez Boudjedra demeure du début jusqu'à la fin un foyer de curiosités, d'inquiétudes multiples, un foyer d'obsession, d'approches et de répulsion qui transparaissent dans la juxtaposition des circonstances successives de la vie, et la juxtaposition du " vous " et du " tu " de la causerie. Cet "Escargot" subit, même à une distance éloignée, et même à un âge avancé, l'autorité de sa mère :

> " Je connais la génétique. Je renonce vite car le regard de ma mère est insoutenable. Il est plein de reproches." (2)

Messaouda la plus autoritaire des mamans était capable de tout faire pour être obéi, elle s'occupait de tout, un besoin de voir de sentir, de diriger son clan, même l'aîné Mohamed S.N.P. époux et père subissait sa propre faiblesse sanitaire et sa fécondité. Selon la mentalité, il devrait avoir toujours des jumeaux !

Toutes les mamans procédaient presque de la même manière, répétant les dictons,

(1) L'Escargot Entêté, p 57
(2) Ibid, p 100

./....

les contes et les proverbes; c'est la seule méthode valable pour apprendre à leurs enfants, la politesse, la générosité, la reconnaissance envers Dieu. Parfois elles citaient devant leurs fils les défauts du père défunt ou absent: la vulgarité, l'avarice, le narcissisme.

Toutes sans exception réclamaient et maintes fois, la conduite exemplaire, elles hurlait et leur voix s'entendait si haut à travers les romans.

L'Employé de l'Escargot Entêté garde toujours une grande reconnaissance pour sa maman.

" Ma mère m'a appris à ne pas me mettre entre les deux bosses du chameau."(1)

Certes l'enfant algérien, grandissant et poussant selon sa nature, maniaque, exceptionnel ou normale, a derrière lui, tout un passé, toute une histoire affective où l'image maternelle ressort au premier plan.

Céline dans La Répudiation est l'amante mère,dans laquelle Rachid "s'engloutit à travers un fouillis " obscur et grave, cette amante devient en même temps "l'ample chair nourricière ouverte à toutes les maternités " (2)

Ainsi, la conscience du fils, est-elle presque toute entière emplie par sa mère. Aussi bénéfique et aussi équilibrante que puisse être l'influence et la protection maternelle durant le premier âge, cette domination pacifique devient néfaste le jour où le père oublie, néglige ou répudie sa femme.

Ebranlé jusqu'au fond, le fils se fait son avocat, persiste à la voir constamment auprés de lui.

La concentration de Boudjedra dans l'analyse, sa façon de s'échapper dans le rêve, sont un monde bien à lui, où la clarté qui émane de la mère, élément modérateur et excitant à la fois, devient ainsi et demeure le dispensateur actif du climat de son oeuvre où l'enfance l'accompagne toujours.

Dans l'Insolation, Mahdi le fils, délire dans un hôpital psychiatrique, il couche avec l'infirmière en la confondant avec sa mère chérie. Il n'arrive pas à croire que cette mère jolie a été violée à seize ans par un bourgeois bigot et vicieux, son beau frère qui devait la protéger. Une complaisance bien à lui, lui fait retrouver le souvenir de sa mère, vestale de son passé et de son obsession; les dangers et les delices de cet état des choses lui sont tout à fait particulier. C'est avec humour, un humour anecdotique, cet humour fonctionnel devient une des composantes essentielles de son texte. Il faut reconnaître que l'auteur et les

(1) Ibid , p 155
(2) La Répudiation , p 59

./...

personnages ont une tête mêlée d'humour et d'amour. Il nous livre dans chacun de ses romans les détails et les symptomes parfois contradictoires des mères, éprises surtout par leur passé, par leur conduite, par leurs proverbes :

" Ma mère disait, on ne cache pas le soleil avec un tamis. " (1)

" Elle était analphabète, mais avait un répertoire de proverbes fabuleux. " (2)

Il savait que sa mère avait raison, qu'elle était infaillible, que ses proverbes étaient une source d'enrichissement; ses proverbes, il les cultivait ainsi que la menthe pour le thé.

" Automne. Quelle drôle de saison !
Ma mère disait ni orange, ni citron. " (3)

Si Mohamed S.N.P. s'enfuyait pour quelques jours au Sahara "entretenant les oiseaux et expliquant Ibnn Khaldoun", au moindre appel de sa mère, il était là. Non seulement S.N.P. mais aussi ses frères exécutaient silencieusement les projets conçus par la mère.

Pour Boudjedra comme pour Baudelaire, la mère est à la fois un inépuisable fond de souvenirs et un merveilleux univers de vision poétique où il "voit tout en nouveauté". Lyrisme et admiration prodigieux s'infiltrent tout le long des textes. Par la variété des croquis, l'auteur gagne la sympathie et l'intêret du lecteur et lui découvre la complexité du rôle de la mère.

Ainsi le réel et le vécu côtoient constamment le rêve et l'imaginaire, la fabulation et le rappel des souvenirs reconstitués apparaissent dilués dans le quotidien pour cerner le lecteur avec les problèmes de la vie courante.

(1) L'Escargot Entêté , p 159
(2) Ibid , p 10
(3) Ibid , p 171

./...

T R O I S I E M E C H A P I T R E

Croyances et Moeurs

" .. du berceau à la tombe, l'Oeil est là, il ne cesse de la regarder, elle ne cesse de le voir, elle se dit libre, elle se sent coupable .. "

Mrabet, Fadela,

Les Algériennes, Paris,

Maspero, 1974, P. 73

Croyances

Boudjedra tient souvent, à reprendre, maintes fois, que la société algérienne est profondément musulmane. C'est d'ailleurs par l'intermédiaire du ferment religieux qu'elle a pu, contre vents et marées, sauvegarder sa personnalité, à tel point qu'elle en paraît presque archaique et trop engluée dans sa tradition ancestrale. Il est vrai que cette société longtemps agrippée à l'Islam, baigne dans une religiosité trés grande comme pour conjurer quelques maléfices pernicieux qui pourraient de nouveau lui nuire.

L'Algérienne vit sa religion comme entité spirituelle et économique, c'est pourquoi l'on arrive difficilement à dissocier la citoyenne de la croyante tellement l'amalgame entre l'une et l'autre est puissant. En effet l'Islam est à la fois un dogme religieux et un mode de vie pragmatique particulièrement incrusté dans la vie quotidienne. La foi est au coeur de toutes les héroines mères, voilées ou non, ignorantes ou cultivées. C'est leur aliénation majeure, si majeure et si forte, qu'elle est devenue en quelque sorte leur nature. Ce qui caractérise les mères et les grand-mères, c'est la passivité complète, et elles trouvent leur situation entièrement normale : " C'est comme ça.. C'est écrit,Dieu le veut ".

La mère algérienne sage et pieuse tient à faire vivre son entourage dans une religiosité lourde à laquelle nul n'échappe. Le cordon ombilical n'est pas jeté, il est conservé par la maman, elle le gardait entre les pages d'un Coran, enluminé,placé au chevet de son bébé afin qu'il s'imprègne des paroles de Dieu.

Pour la maman, l'Islam apparaît avant tout comme une discipline de vie. D'ailleurs elle croit que son pouvoir et sa santé émanent du facteur religieux islamique. De nombreux versets coraniques incitent à l'idéalisation de la mère et à l'obéissance qui lui est dûe. L'inquiétude devant les dangers de tous les genres qui menacent le frêle petit être, inspire à la maman de nombreuses indications et expressions " Que Dieu le guide -l'agréer, lui accorde la vie, le bonheur, la propriété et la victoire sur le destin ". Elle devait aussi répondre aux désirs de son mari, convaincue, qu'elle ne peut s'opposer à l'entreprise de se remarier sans aller à contre - courant des écrits coraniques et des décisions des muphtis, prêtes à l'entreprendre jour et nuit.

Même malade,Selma faisait sa prière de l'aube :

./...

" .. elle s'était laissée prendre par ses prières et ses Saints." (1)

D'autres fois elle suppliait le prophète pour guider son mari vers le droit chemin. Mais souvent

> " Elle prenait son chapelet et remerciait mille fois Dieu pour sa bonté, allumait des cierges, empestait la maison en brûlant dans énorme brasero rougeoyant des plantes dont la puanteur nous donnait d'atroces maux de tête." (2)

L'auteur de L'Escargot Entêté s'oppose à la culture algérienne, très marquée par certains impératifs spécifiques de la religion musulmane qui comporte selon lui certaines lacunes (3). Le moindre geste, ou le moindre acte accompli par la mère algérienne a toujours un substrat religieux qui, exagéré ou mal assimilé donne naissance à la superstition et à la magie dont s'imprègne la vie de tous les jours.

> " Les trois éléments: religion, superstition et croyance au pouvoir magique se fondent la plupart du temps et créent une forme de spiritualité à la fois dense et émouvante de par la crédulité de ceux qui s'y adonnent " (4)

La maman de Zoubir avait une peur extraordinaire de l'enfer, mais cette angoisse l'aidait à supporter l'injustice dans laquelle elle avait été enfermer depuis l'année de son mariage, l'âge de seize ans.

Cette maman qui songe parfois à la vengeance, demeure immuable, elle porte en elle des éléments absorbant ou neutralisant les influences successives et contradictoires sans pouvoir désobeir à la religion.

> " Lasse, haletante, il lui arrivait de quitter son lit et de sortir quelque temps dans la cour lorsque la voix du muezzin a une intonation particulière qui laisse entendre, que le soir sera frais.." (5)

Dans cette tradition, figée sont accrochées des idées, des mythes, des préjugés, des tabous, tout ce qui demeure du passé et agit sur le présent.

(1) La Répudiation , p 60
(2) Ibid, p 87
(3) Boudjedra: La Vie Quotidienne en Algérie
Paris - Hachette - 1971, p 11
(4) Yves Lacoste: "La Nouvelle Critique" dans
La Culture Algérienne: Janvier 1960, N° 112
(5) L'Insolation, p 195

./...

Superstition et Magie

L'enfant est familiarisé dés son premier souffle avec des êtres mystérieux, et vit dans une ambiance entachée de magie et de superstitions.

Chez Boudjedra le passé est toujours présent, c'est la magie du souvenir, dans la puissance de résurrection qu'il conserve et qui lui permet de retrouver un moment de sa vie, un aspect de son être reincarné dans le spectacle qui se déroule à nouveau sous ses yeux. La vérité s'entremêle de poésie, l'évocation s'entrelace au mythe.

C'est la maman qui par une agitation constante anime les rites et les cérémonies destinés à protéger et faire prospérer la famille. Par ce biais, elle acquiert un prestige extraordinaire et compense largement son infériorité de principe édictée par l'égoisme masculin. Elle acquiert également une grande autorité auprès de ses enfants en bas âge dont elle s'occupe constamment et qu'elle harcelle quotidiennement de peur qu'ils ne s'écartent de l'avenir heureuse tracé par elle.

> " Qui aurait osé croire ses yeux? Il avait fallu amener la malade, l'habiller d'une chemise de lin, lui enduire la tête d'huile d'olive, oindre ses membres de graisses, la coler contre deux oreilles, la réveiller de sa somnolence, dire que Dieu est grand, allumer des braseros, faire crépiter du benjoin et autres produits magiques (harmel, alun, gomme arabique) noircir ses yeux dukhôl, la farder telle une poupée touareg, la bousculer, la rouspiller, la gronder gentillement afin qu'elle se reveillât de sa stupeur et qu'elle quittât cette hébétude malsaine." (1)

Selma était entrée dans la folie, en grande pompe, et la liturgie, les rites et la magie noire ne pouvaient plus rien pour elle. Semblable à la mère de Zoubir étant complètement dominée par les charlatans sorciers dont elle n'obtenait rien (2)

Quant à Manama, le village de Messaouda, village arabe isolé aux confins du désert, c'était le théâtre idéal pour un jeu prodigieux de signes, à première vue, la magie y côtoie le rationnel, l'immaginaire le réel.

Toutes les mamans Messaouda, Selma, Maman de Zoubir comptaient sur l'abstraction des formules magiques. La maman Algérienne supportait docilement son destin.

> " Enfant, elle l'était, et elle ne pouvait dominer les choses que par l'intermédiaire d'une autre transcendance, l'amulette." (3)

(1) L'Insolation , p 141
(2) La Répudiation , p 171
(3) Boudjedra : La Vie Quotienne, opcit, p 29

./...

Elles restent attachées à ce qui consititue pour elles le côté merveilleux de la vie quotidienne et leur permet de calmer les inquiétudes, n'ayant reçu aucune éducation, fortifiées par leur pratique magique, à travers lesquelles elles essayent de dominer la réalité quotidienne qui souvent leur échappe et leur paraît mystérieuse.

La mère de famille qui aura arraché sa descendance aux embûches de la vie, à la maladie, au mauvais oeil, aura les meilleures chances d'éviter la répudiation. Comme Selma, Lalla Fatma est le type commun dans les villes et les villages.

> " Lalla Fatma croyant ainsi que sa fille aura les traits réguliers et les membres harmonieux. Elle se doit aussi de passer au dessus de sa tête un encensoir plein de benjoin et de pierres d'alun pour éloigner le mauvais oeil, car autrement l'enfant risquerait de devenir borgne ou d'avoir un bec de lièvre." (1)

Une fois la construction du moulin achevé, Messaouda tourna autour de ses enfants, et sacrifia une poule noire, on en était au coffrage.

Si cette maman croyait au mauvais oeil, elle croyait de même aux rêves. Elle promettait à sa fille le mariage proche étant donné qu'elle avait rêvé qu'elle mariait Malika avant la sècheresse.

Grâce à son humour caustique et à sa ré-écriture explosée et lyriquement baroque, en concordance avec les réalités contradictoires du pays en voie de révolution, a travers un itinéraire pathétique, dans un monde qui plonge ses racines dans les mythes populaires et les symboles de la langue, l'auteur joue sur les mots à toute occasion sans rire ou sourire: Goûtons page aprés page les aperçus d'Alger, les fantaisies que nous offre Boudjedra, cette maman ignorant ses droits, surtout dans le milieu traditionnel.

(1) Boudjedra: La Vie Quotidienne, opcit, p 29

./...

Communication et Mort

La mère à travers les romans de Boudjedra apparaît comme une grande source d'affection toujours disponible, elle est aussi compréhensive et tolérante. Ainsi est-elle toujours présente pour écouter son enfant, le conseillant et lui pardonnant, étant une mère gratifiante et permissive.

Complicité et compréhension elle est aussi amour et respect. Conscient de ses sacrifices, l'enfant lui est reconnaissant et très attaché.

> " Hammadi, le dernier de la lignée, que sa mère continuait à allaiter en secret, bien qu'il ait atteint la quinzaine ! " (1)

Quelle exagération, pour styliser l'attachement mère enfant! Messaouda à chaque retour du fils aîné Mohamed S.N.P. exigeait qu'on l'examine.

> ".. Je ne veux pas que mon fils se nourissent d'aliments dont la fraicheur est douteuse." (2)

Quant à Selma, elle possédait sa propre méthode pour traiter et guérir son fils.

> "(..) elle, m'aurait appliqué un cataplasme de feuilles de figuier, trempées dans du vinaigre frottées par une gousse d'ail. C'est que j'en ai eu des Insolations!" (3)

La maman dans son inquiétude, devient fréquemment triste et se sent inutile du fait de l'impossibilité d'entrer dans le domaine intérieur de ses fils et filles. Elles essaye de communiquer, même si chacun vit dans son monde clos.

Selma a rêvé, depuis le jour de son mariage, de tuer son époux . Son rêve prenait quelque consistance dans le délire qui précède la mort, son vrai courage était de communiquer, aux autres dans une sorte de délire verbal, son désir le plus intime. Elle se réalisait dans le langage, mais une fois en face de lui, elle reconnaissait qu':

> ".. elle n'oserait même pas lever le regard, tellement il l'avait soumise." (4)

Suivant de près les métamorphoses, le fils s'abandonnait parfois à la somnolence, restant de longues heures, étendu sur son lit; et dans cet état il ne s'agissait point d'un isolement total, son oreille est tendue "prête à percevoir la moindre

(1) Les 1001 Années de la Nostalgie, p 232
(2) Ibid , p 262
(3) L'Insolation , p 196
(4) Ibid , p 151

./...

plainte de sa mère." (1)

La mère Selma assumait cette fonction de lien entre Mehdi et son père, une fois disparue, le refus de communication devient total. Dans le même roman, l'ami de Mehdi rêvait de rendre sa propre mère paisible et moins inquiète, il savait qu'elle était dans le besoin. Il songeait souvent à l'aider.

> " Je vais donner ces quelques billets à ma mère, la pauvre! Elle ne sait plus comment faire pour acheter un croûton de pain et un oignon qu'elle mange cru." (2)

En réalité, toutes les mamans de Boudjedra souffrent en silence, Mehdi essayait même de falsifier la vérité, il faisait courir le bruit que sa belle mère qui était très belle, était très laide, et il lui semblait qu'une nouvelle pareille aiderait sa mère à vivre. Sa maman devenait une obsession, il voulait la rendre heureuse, il voulait éviter sa mort à tout prix.

> " Peut-être, d'ailleurs que toutes ces sensations ne parvenaient pas jusqu'à moi, alors qu'éveillé, je vivais l'angoissante attente de la mort de ma mère que j'avais toujours appelée Selma, parce qu'elle ne m'avait jamais semblé assez vieille pour mériter le nom de mère."(3)

Boudjedra autant que Mohamed Dif sent l'amertume vis à vis des rapports père-mère-fils et dans un élan de révolte s'exprime dans le même sens. Le fils est heureux de protéger sa mère.

> " Il fallait que je la défende , car elle était, elle aussi, une victime au même titre que les autres femmes du pays dans lequel il était venu vivre." (4)

Chacun des héros reconnaît honnêtement les redevances et les leçons receuillis chez les mamans. Le protagoniste maniaque de l'Escargot Entêté lui doit tout: " l'ordre et la rigueur et l'horreur des jours de pluie, de la fonction reproductrice de l'homme et des miroirs." (5)

C'est le même langage de Driss Chraibi dans la Civilisation Ma Mère lorsqu'il constate qu'elle était pour lui un puits profond où il prenait "l'amour et la patience." (5)

(1) Ibid, p 151
(2) Ibid, p 95
(3) La Répudiation, p 14
(4) L'Escargot Entêté, p 15
(5) Driss Chraibi: La Civilisation Ma Mère, Paris Denoel 1970, P 20

./...

Si chère à tout enfant, tout adolescent, tout adulte, sa mort est une perte irremplaçable, et nous assistons à la perte de toutes les mamans:Messaouda, Selma, la maman de Mehdi, et du fonctionnaire de la statistique des rats. Dans L'Insolation, elle agonisait à trente cinp ans, toujours malade, grièvement malade et tout le monde savait.

Mais quel malheur! quelle idéalisation! Kaltoum fut complètement désemparée quand elle fut obligée de déclarer à la famille S.N.P. que sa mère Bender Chah était décédée La mort de Messaouda, grand-mère et âgé de plus de quatre vingt ans clôtura la légende des 1001 Années.

Pour l'enfant aussi bien que pour l'adulte, ils sentent le regret de l'absence, même comblés, ils se sentent privés de tout, puisque à leur existence manque la douceur maternelle. Boudjedra, enfant et écrivain, poète et artiste à la fois, exprime avec chagrin le flux et le reflux des idées et des sensations qui concernent la mort. L'image maternelle devient un archétype dont les fonctions sont à la fois cosmologiques, antropologiques , psychologiques; et innombrables deviennent les mythes auxquelles elle a donné naissance.

L'image maternelle englobe sans distinction tout ce dont les héros ont hérité avec la vie: la langue, la foi, les traditions, les préjugés et le conformisme.

Boudjedra a eu recours au mouvement perpétuel,à la présence discontinue et continue de la maman,pour susciter une impression que le lecteur doit éprouver en même temps que le héros. El il a réussi, certes à la stylisation de la maman, sans insister sur les défauts, ni sur les perfections,mais en peignant l'attitude la plus primitive : celle de la résignation de la mère et celle de la révolte des enfants, traduisant symboliquement la colère des deux à la fois. Il vise sans doute un éclaircissement, et une explication, un sens collectif éclairé,qui,peut-être poussera les mères vers la libération, l'indépendance puis la paix.

Certains psychiatres, frappés par l'amour que ces héros algériens portent à leur mère, et le respect distant qu'ils témoignent à leur père, ont prétendu déceler le complexe d'Oedipe. Mais Boudjedra se défend et raconte la genèse de ses romans.

> " (..) Je m'étais proposé de raconter une destinée concrète, celle de ma mère, puis, peu à peu, le roman a pris une autre direction." (1)

Tout en mettant sous le microscope le rôle de la mère, sa situation constante et inconstante au foyer, tout en ressentant avec angoisse la domination et la supériorité de l'époux , l'auteur engage le fils à se faire l'avocat et à persister pour rendre sa mère heureuse et constamment à ses cotés.

(1) R. Boudjedra: in L'Express 29 Sept. 1969 - N° 951

./...

L'auteur a choisi pour cadre historique le moment où s'affrontent deux idéologies et deux générations; la description de la vie quotidienne du passé proche ou lointain n'est pas une évasion, ni l'illustration d'une fuite de responsabilité, c'est un profond engagement dans l'histoire actuelle mais un engagement à rebours. Cette construction de l'espace imaginaire se retrouve plus ou moins consciemment dans toute oeuvre littéraire maghrébien.

La maman devient donc le périple haletant parcouru par l'auteur, au sein du monde réel, avec le rêve ébauché sans cesse et sans cesse refoulé. Elle semble parler humblement, joyeusement, et parfois sarcastiquement de sa présence ou absence, et en poète et artiste l'auteur a essayé de déchiffrer ce qui est en dehors de lui, le conduisait à la connaissance de ce qui est en lui.

./...

Conclusion

Chacun porte en soi une image féminine dont le premier modèle fut sa mère, il dépendra de cette image s'il respectera plus tard les femmes ou s'il les méprisera : telle est la conception de Nietzshe. Quant à Baudelaire, sa mère fut d'abord la prédominance d'un élément vécu, puis imaginé et rêvé, pour devenir finalement son " exclusivité ".

" Dans mes tristesses, je suis content de sentir l'amour de ma bonne mère se développer en moi, c'est toujours ça. " (1)

Et pour tous les âges, et à tous les moments, la maman tient en ses mains l'épée de la justice, Boudjedra a collaboré à mettre a nu l'image de la mère qui accepte d'être malheureuse pour que son fils soit heureux, avec une harmonie toute nouvelle elle se fatigue pour lui permettre le repos, elle sacrifie nourriture et sommeil afin de soigner l'enfant malade, en cas d'embrarras financiers, elle vend bijoux pour lui venir en aide; s'il se laisse aller à des fautes ou à des actes d'égoisme, elle fait preuve à son égard de manséitude, de bonté.

Si dans les romans de Boudjedra la mère n'est pas le personnage principal, elle présente un excellent terrain d'investigation pour dévoiler le visage de toute la famille. Certes pour conserver la paisible sérénité à travers les épreuves de tous les jours, elle contient une bonne dose d'oubli de soi, qui est l'expression de l'amour.

Au musée, sous forme de Madone taillée et polie dans le marbre, dans un fouillis de fabbalas et de bras roses sur la toile de Greuze, marivaudée et estimée au théâtre, on la trouve dans les Fables.

" L'asile le plus sûr est le sein d'une mère ".

Dans la poésie, dans la chanson, elle apparaît toujours. La Mère de M. Gorki est une des oeuvres qui ont contribué à faire de lui le précurseur de la Littérature Soviétique.

Boudjedra se créait un monde à lui, qui n'est ni tout à fait nature, ni tout à fait imaginaire, mais sorte de Tiers Monde issu à la fois de son être, créateur de vie, dépose de cycle de la Mère qui apparaît comme une espèce de dramaturgie musicale.

(1). Baudelaire (Charles) Correspondance
T1 - A Mme Aupick - 16 Juillet 1839 , P. 76

./...

Dans son ivresse créatrice, fictive et diachronique à la fois, Boudjedra crée avec simplicité, crie avec violence, plaint avec tendresse le sort de la mamana algérienne de la période anté-révolutionnaire. Mais par la plume, par la voix, par le bras, par le geste, bref par l'expression Boudjedra donne l'occasion à la maman de respirer et sa respiration et ses revendications créeront quelque chose.

BIBLIOGRAPHIE

Oeuvres de Rachid Boudjedra:

Boudjedra, Rachid : . La Répudiation, Paris, Denoël
1969, 296 p.

. L'Insolation, Paris, Denoël
1972, 236 p.

. L'Escargot Entêté, Paris, Denoël
1977.

. Journal Palestinien, Paris, Hachette
1972, 184 p.

. Naissance du Cinéma Algérien, Paris, Maspero,
1971, 99 p.

. Pour ne plus rêver, Alger, Ed. Nation Algérienne
1985, 80 p.

. Topographie Idéale pour une agression caractéristisée,
Paris, Denoël, 1975, 243 p.

. La Vie Quotidienne en Algérie, Paris, Hachette
1971, 253 p.

. Les 1001 Années de la Nostalgie, Paris, Denoël
1979, 398 p.

. Le Vainqueur de coupe, Paris, Denoël
1981, 65 p.

./...

Oeuvres de Critique et Manuels de Littérature

Ageron, Ch. R : . Histoire de l'Algérie Contemporaine
Paris, P.V.F. 1964, 300 p.

Badinter, Elizabeth : . L'Amour en Plus - Histoire de l'amour maternel
XVIII - XX Siècle, Paris, Flammarion, 1980, 372 p.

Benazet, Marty : . La Mère et l'éveil sexuel de son enfant
Paris, Grasset, 1972, 208 p.

Bencheneb, S : . La Littérature Arabe
Algérie - Sahara, 1964, 210p.

Berque, Jacques : . Les Arabes d'Hier à Demain
Paris, le Seuil, 1976, 360 p.

Blanche, Claude : . Feux Sur les Mères
Paris, Ed du Scorpion 1960, 125 p.

Bourdieu, Pierre : . Sociologie de l'Algérie
Paris, Ed Que Sais-je, 1961, N° 802, 125 p.

Charaibi (Driss) : . La Civilisation, Ma Mère
Paris, Denoël, 1972, 126 p. .

Dejeux, Jean : . La Littérature Algérienne Contemporaine
Paris, Ed Que Sais-je, 1975, N° 1604, 126 p.

Dejeux, Jean : . Les Tendances depuis 1962 dans La Littérature Maghrébienne de Langue Française, Alger, 1973, 110 p.

Duvignaud, Jean : . Spectacle et Société
Paris, Denoël, 1970, 168 p.

Esquer, Gabriel : . Histoire de l'Algérie, 1830, 1950
Paris, P.U.F., 1965, 230 p.

Julien, Charles André : . Histoire de l'Algérie du Nord
Paris, Payot, 1978, 2 V.

Khatibi, Abdel Kebir: . Le Roman Maghrébien
Paris, Maspero, 1968, 147 p.

./...

Laroui, Abdallah : . L'Idéologie Arabe Contemporaine
Paris, Maspero, 1973, 226 p.

Laroui, Abdallah : . La Crise des Intellectuels Arabes
Paris, Le Seuil, 1974, 155 p.

Mrabet, Fadela : . Les Algériennes
Paris, Maspero, 1967, 311 p.

Mrabet, Fadela : . La Femme Algérienne
Paris, Maspero, 1970, 216 p.

Richonne, Agnès : . Mamans de tous les temps
Paris, Ed, S.O.P., 1968, 160 p.

Soctzar, Pantuck : . La Littérature Algérienne Moderne
Pragues, Inst. Orientale de l'Art et des Sciences
V. 22, 1969, 193 p.

Trucho-Prudence Claude . C'était Maman
Paris, Levain, 1975, 133 p.

Walter, Mauro : . La Littérature Algérienne Contemporaine
Alger, Ed, Universitaire, 1966, 215 p.

Zerdouni, Nefissa : . Enfants d'Hier, l'éducation de l'enfant en milieu
traditionnel algérien, Paris, Maspero, 1970, 302 P.

Thèses Consultées

Benouameur, Rachid : . Littérature Algérienne
Le roman contemporain de langue française Chapel Hill,
Université de la Caroline du Nord, 1962.

Boulineau, Pascale : . Le Couple Mère - Enfant dans la Littérature française
de l'Entre Deux Guerres, Paris III, 1980. Directeur
Mme Fraisse 3eme Cycle.

El Gherbi, El Mostafa : . Thèmes Idéologiques et Production Romanesque dans La
Littérature Maghrébienne Française d'Aujourd'hui
1976 - 1977.

Kadmiri, Fouzia : . La Mère et L'Enfant dans le milieu traditionnel
Znibèr Mme Marocain, Paris IV, 1976, 221 p. Dir Jacques Berque.

./...

Msefer, Assia Akesbi : . L'Ependance de La Mère Au Carrefour du Pulsionnel et du Social, Paris VII, 1979, 250 p.

Sainte-Marie Elenthère : . La Mère dans le Roman Canadien
Quebec - Les Presses Universitaires Laval,
1980, 330 p.

-:-:-:--:-:-:-:-:-:-:-

Revues et Périodiques

Ali, Merad : . "Aspects de la Littérature Maghrébienne " dans Confluents 1965, N° 47.

Aloui, Mhamed : . "Deux portraits de la Mère au Maghreb Boudjedra et Driss Chraibi" dans L'Afrique Littéraire et Artistique, Décembre, 1974.

Baraoui, Hedi A : . "Le Récit tentaculaire d'un Nouveau roman engagé" dans L'Afrique Littéraire et artistique - 1976

Cluny, Claude Michel : . "L'Escargot Entêté" dans Magazine Littéraire, Novembre 1979.

Daubenton, Annie : "Les Coquilles de la Bureaucratie" dans Les Nouvelles Littéraires, 18 Mai 1977, N° 2385.

Dejeux : . "Connaissance du monde féminin et de la famille en Algérie" dans Revue Algérienne des Sciences Juridiques et Politiques Décembre 1968.

Enckell, Pierre : "La Tape à l'Oeil de Boudjedra" dans Les Nouvelles Littéraires 27Sp. 1979.

Enckell, Pierre : . Les 1001 Années de la Nostalgie dans Les Nouvelles Littéraires 27 Janvier 1979, N° 2705.

Lacoste, Yves : . "La nouvelle critique" dans La Cutlture Algérienne, Janvier 1960, N° 112.

Jay, Salim : . "Rencontre avec Boudjedra" dans L'Afrique Littéraire et Artistique, 1975, 3eme Trim.

./...

L'acheraf Mostafa : ."L'Avenir de la Culture Algérienne" dans Les Temps Modernes, Octobre 1963, N° 209.

Meade, Claude Yves : . "La Culture Algérienne" dans La Nouvelle Critique Janvier 1969, N° 112.

Pendola, Marinette : . "Entretien avec Boudjedra" dans Présence Francophone. Printemps 1979.

Pendola, Marinette : . "Préface au panorama de La Nouvelle Littérature Maghrébienne", dans Présence Francophone, 1961.

Le Sidaner, Jean-Marie : . "Les 1001 Années de La Nostalgie" dans Magazine Littéraire, Novembre 1979.

Tidjani, H. : . "Critique de la Femme Algérienne" dans Al Tahdhib El Islami, N° 9, 1966.

Tillion, G. : . "Le Rôle de la Femme dans l'Algérie Nouvelle" dans Croissance des Jeunes Nations, 1962, N° 10.

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

TABLE DES MATIERES

Introduction P. 01

I. Chapitre Premier

(a) Présentations des mamans - Structures familiales et conditions de la femme. P. 03

(b) Portrait Physique P. 07

(c) Portrait Moral P. 10

II. Deuxième Chapitre

(a) Rôle Ménager de la Mère P. 15

(b) Rôle éducatif P. 19

(c) Acquisition psycho -physiologiques - Hérédité P. 21

III. Troisième Chapitre

(a) Croyance - éducation religieuse P. 23

(b) Superstition et Magie P. 26

(c) Communication et Mort P. 28

Conclusion P. 32

Bibliographie P. 33

SULTANATE OF OMAN
STUDY IN ECONOMIC GEOGRAPHY

By
Dr. Isis Labib H. El Sowefi

Among the characteristics of the economies of the highly developed countries, e.g., the industrial countries, is a diversification of economic activity into as many sectors as possible. This is an attempt to prevent the weakening of one economic sector from becoming a threat to the whole country.

Present-day developing countries were forced into the role of being primarily the producers and suppliers of raw materials of all kinds for the industrialized countries. Usually, these countries concentrated on producing just one product, the sale of which formed their only income. A change for the worse in the demand for this product on the world market could lead to great economic difficulties.

Examples of countries in which the economies are dependent for the most part on one raw material are Iran, Kuwait and Saudi Arabia (oil). And Omani income, which presents the foundation for the modern development of the country, stems to over 95% from oil. Since OMAN also has other economic bases than oil, the economic development plan is diversified. It is not just a question of discovering new oil and gas reserves, but of developing mineral deposits, of improving production in the agricultural sector, of exploiting the riches of the sea, of developing trade, industry, crafts and construction. The government has provided an example in its development of the infrastructure, by direct stimulus and by taking the initiative, also the private sector is following this example but is behind as far as the expected investments are concerned.

Nevertheless, expansion in the private sector is taking place, particularly in the area of trade and construction. It becomes clear that the petroleum industry has risen

considerably in importance since 1970, but it plays only a subordinate role as an employer, as for agriculture, up to now the most important employer in the country, it is continually decreasing in importance, and trade is growing in importance. There have been no substantial change since 1970 in the field of industry *(see table 1)*.

Table 1: Cross national product classified according to its origin in %

Sector	*1965*	*1970*	*1975*	*1980*
Agriculture, Fishing	36.6	15.5	9.8	2.5
Mining (oil)	30.9	67.9	55.8	64.1
Manufacturing	0.3	0.2	0.3	0.4
Construction	21.4	9.9	14.2	12.1
Transport-Communication	1.0	0.6	2.6	3.1
Trade	2.6	1.5	4.9	6.5
Others	1.0	4.4	12.4	11.3
Total in millions of Omani Rials.	38.8	106.8	169.4	738.8

The statistics cited here are designed only to show the Omani economy is currently expanding. This should give insight into government's intensified efforts to diversify the economy. Only by developing agriculture, fishing and an independent industrial production, as well as through the exploitation of all the country's resources will it be possible to decrease the one-sided dependence on oil and imports.

The developments that have taken place in the different sectors of the economy are the subject of the following studies

1. Mining, Oil

Oman is part of that region of the earth with the largest oil reserves and the largest oil exports *(see table 2).*

Table 2: Oil reserves and deliveries of the world

Region	*Oil Reserves 1980*		*Oil Deliveries 1980*	
	in mill. tons	*in %*	*in mill. tons*	*in %*
Middle East (=Gulf countries)	50079	55.9	966.9	35.8
Western Europe	3453	3.9	23.8	0.9
Africa	8695	9.7	242.0	9.0
North America	5405	6.0	548.5	20.3
Latin America	4972	5.6	222.2	8.2
Far east and Australia	2881	3.2	106.6	3.9
Eastern Europe China, USSR	14066	15.7	591.6	21.9
Total	89551	100.0	2701.6	100.0

Saudi Arabia is the leading country among the oil producing countries in the Near East. It is followed by Iran, Iraq and Kuwait. Oman is in the eighth position but is sixth among the 12 oil producing countries of the Gulf region in terms of its reserves. With the discovery of new oil deposits in the Area of Amal-Marmul in 1978, Oman's position should be further strengthened *(see table 3 and illustration No 1).*

Table 3: Oil Reserves and Oil Production in the Middle East 1980

Country	*Oil Reserves*		*Oil Production*	
	in mill. tons	*in %*	*in mill. tons*	*in %*
Abu Dhabi	3875	7.8	64.6	6.8
Bahrain	43	0.1	3.1	0.3
Dubai	179	0.3	12.6	1.3
Iraq	4602	9.2	111.3	11.5
Iran	8752	17.6	268.7	27.8
Quatar	759	1.6	20.0	2.2
Kuwait	9365	18.7	93.3	9.6
Oman	798	1.6	16.5	1.8
Neutral Zone	938	1.9	25.4	2.6
Saudi Arabia	20251	40.5	337.3	34.9
Syria	323	0.6	9.0	0.9
Turkey	15	0.1	3.1	0.3
Total	50079	100.0	966.9	100.0

The history of Omani Oil industry goes back to the year 1945. Concentrated efforts were first made in the year 1952. But these efforts were unsuccessful. Nor did the exploratory drilling near Marmul in 1957 have the expected success. In 1964 drilling was discontinued. Only after the end of the DHOFAR war (1975) was the search for oil taken up again. These efforts were crowned with success in 1978. Valuable quantities of high quality oil were discovered near Marmul.

The first years of oil exploration in the Omani interior near Fahud-Yibal were likewise without success. Of course oil has already been sought here in 1955, but only in

OIL RESERVES AND OIL PRODUCTION IN THE MIDDLE EAST 1980

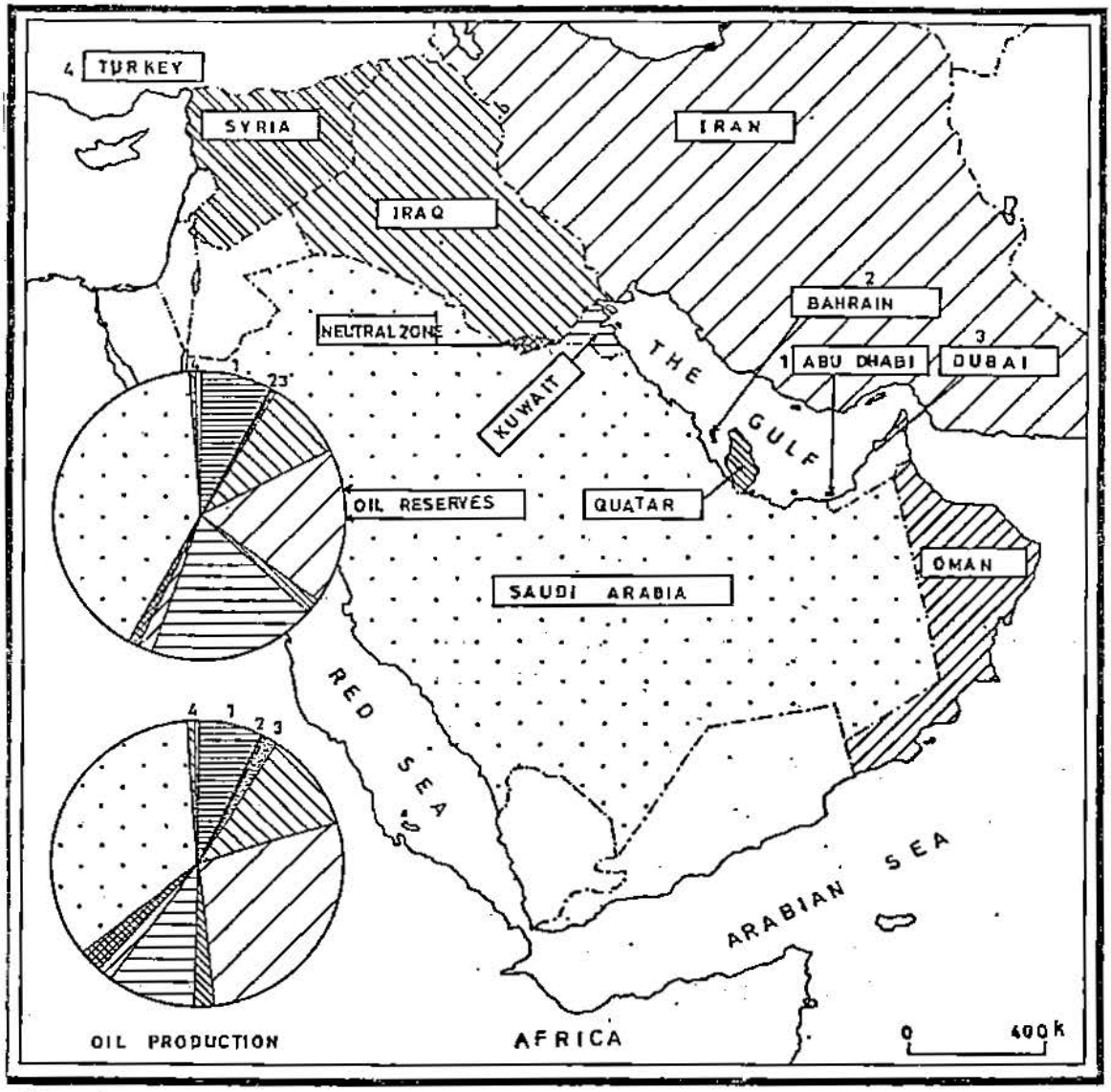

No 1

1962 was there success at Yibal-2 and Natih-1, and in 1963 at Fahud-2. However, the export of oil by way of Mina Al-Fahal could only be begun in 1967.

In keeping with the development in other oil producing countries, the Omani government also began to participate in growing measure in the companies active on its territory. In 1974 Oman acquired 25% of the stock in the company that had been dominated by Shell with 85% up to that time. Today, Oman holds 60% of the stock and is thus the main share-holder in the Petroleum Development Oman Ltd. Company (P.D.O.) which is active in Oman. In this way, Oman is in a position to run the oil economy within its own borders, to control income, and to make the decisions concerning one of the country's most important resources more or less autonomously. Intensive exploratory work, which is going on in all parts of the country, is a sign of Omani efforts. In addition to the P.D.O. whose oil concession area covers most of the Omani interior and which alone has productive oil fields, there are five other companies participating in the search of oil and gas, three of them on shore and two off-shore in Oman. (see the illustration No 2). Their success will more or less determine the future, since the oil sector is the most important branch of the Omani economy. So, the income from the sale of oil will continue to form the financial basis of the Omani state for an indefinite period of time.

In addition to the efforts to develop and exploit the oil reserves, there are intensified efforts to exploit other mineral resources as well, e.g. natural gas. For the most part, it has just been burned off up to now. Only a small part of the gas from the field at Yibal has been used since 1978 to run the power station and the desalination plan in Al-Ghubra in the capital area. Domestic use of gas for other industrial projects were also planned and executed at Sohar.

In addition to natural gas, the country also has valuable deposits of lime-stone used in the production of cement, of asbestos, of copper and chromium. The exploitation

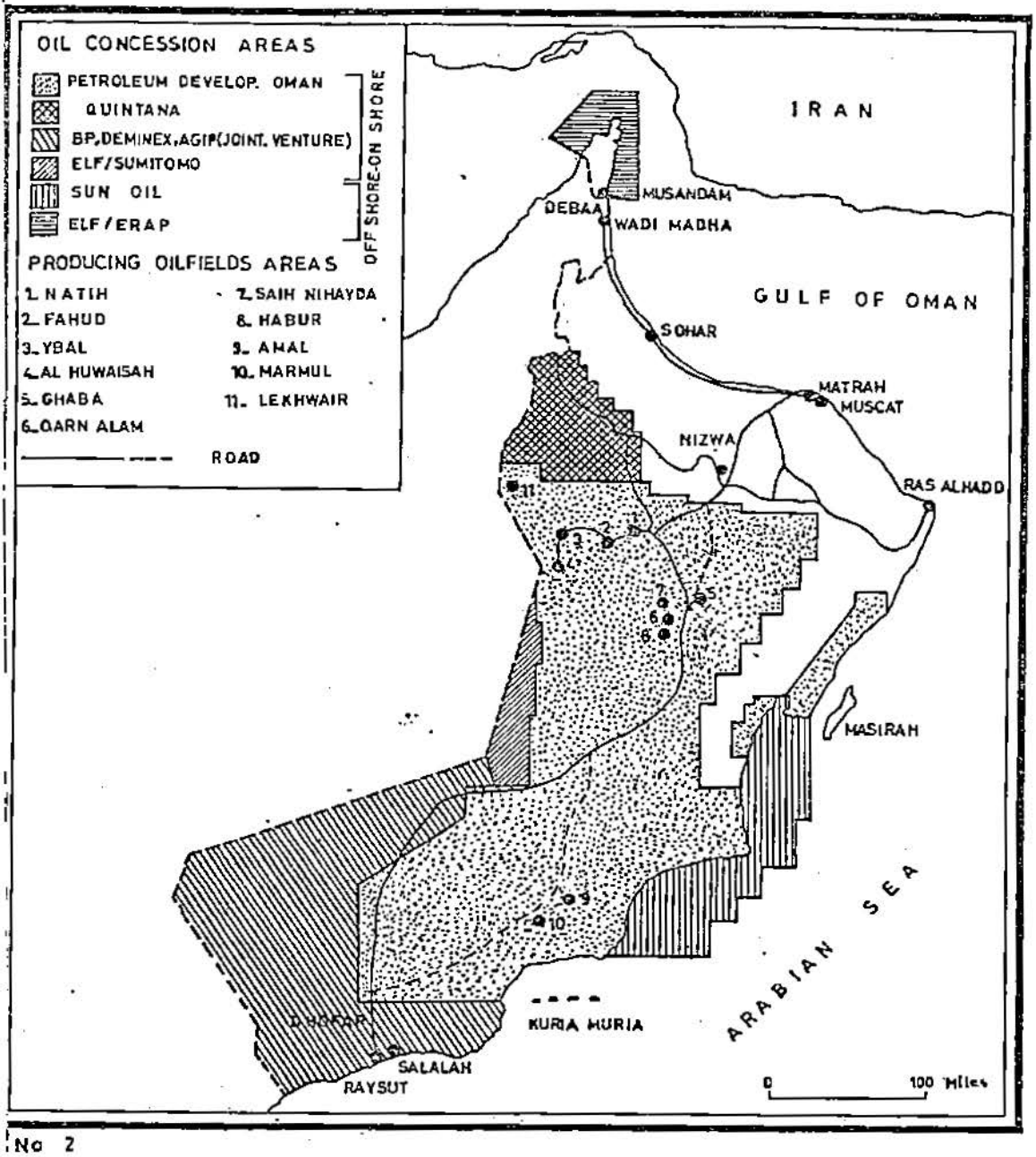
OIL CONCESSION AREAS
PETROLEUM DEVELOP. OMAN
QUINTANA
BP, DEMINEX, AGIP (JOINT. VENTURE)
ELF/SUMITOMO
SUN OIL
ELF/ERAP
OFF SHORE-ON SHORE
PRODUCING OILFIELDS AREAS
1. NATIH
2. FAHUD
3. YBAL
4. AL HUWAISAH
5. GHABA
6. GARN ALAM
7. SAIH NIHAYDA
8. HABUR
9. AMAL
10. MARMUL
11. LEKHWAIR
ROAD
IRAN
DEBAA
MUSANDAM
WADI MADHA
GULF OF OMAN
SOHAR
MATRAH
MUSCAT
NIZWA
RAS ALHADD
MASIRAH
ARABIAN SEA
KURIA MURIA
SALALAH
RAYSUT
0
100 Miles

No 2

of the limestone deposits is already going on successfully after the cement factory has been built.

In 1978, the project to build a copper refinery begun, with production 20000 tons. Future annual production is estimated at about 40000 tons at year 1990. Oman could thus become one of the leading producers of copper in the world *(see table 4 and illustration No 3)* and would then have a second raw material in world-wide demand in addition to oil.

Table 4: Copper production in mill. tons in 1980

(a selection of the most important producers)

Country	*Copper Production in mill. tons*
USA	1.50
USSR	1.05
Chile	0.72
Canada	0.71
Zambia	0.7
Zaire	0.41
Peru	0.24
Oman	0.04
World production 1980	7.03

The sale of refined copper makes up about 5% of the Omani government's revenue.

Exploitation of Oman's chromite deposits, which have been estimated at 10 million tons is also contributing to a broadening of the source of government income. The energy

COPPER PRODUCTION IN MILL TONS IN 1980

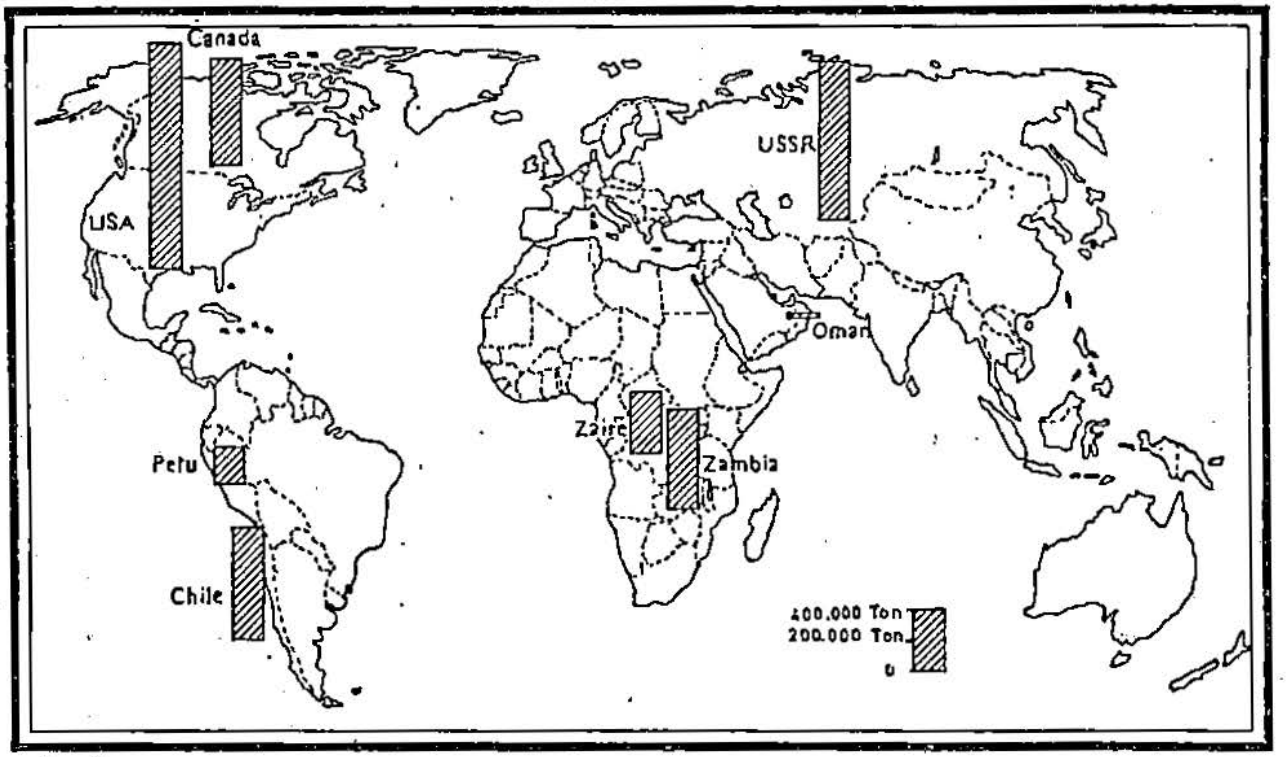

No 3

necessary to run the refineries comes from the gas deposits at Yibal. The deposits of Uranium in Northern Oman that became known in the spring of 1985 are also promising. If it should prove that these deposits are worth mining, it would open up an undreamt of economic opportunity for Oman.

These mining projects represent the first step toward placing the Omani economy on a broader, more diversified basis and decreasing the one-sided dependence on oil. This goal of the development of the government is not, however, limited to mining activity but also applies equally to agricultural production.

2. Agriculture and Livestock

There are many conditions favorable to agriculture and the raising of livestock in the Sultanate of Oman. If these natural conditions could be maintained and expanded and if the farming and bedouin economy could be improved, Oman would be in a position to produce a large part of the foodstuffs it needs itself. The import of such goods could then be decreased, especially that the importation of foodstuffs has been rising since 1970. In particular, the import of cheap grains (domestic production = 0.9 Mill.O.R, import = 7.6 Mill.O.R. 1980). Livestock and meat products (domestic production = 15.3 Mill.O.R., import = 5 Mill.O.R. 1980) represents competition for Omani agriculture. But the importation of these products was also necessary since Omani agriculture was not capable of producing enough to satisfy the growing demands when the country was opened up and the population grew rapidly as a result of immigration.

The reason for this was not just insufficient mechanization or the lack of water, but rather the one-sided concentration on the growing of dates, Alfalfa, limes and onions. Grain and vegetables, agricultural products for which there is a growing demand, were grown only for the use of the producer and they were thus not available for sale on the open market *(see table 5)*.

Table 5: The agricultural situation in Oman (1980)

Crop	*Area devoted to crop*	
	in hectars	*in %*
Dates	13340	37.1
Alfalfa (Lucerne,Cut)	5560	15.4
Onions	3680	10.2
Limes	3560	9.9
Wheat	1200	3.3
Tobacco	1000	2.8
Bananas	880	2.4
Others	6780	18.9
Total	36,000	100.0

Another problem arose for agriculture and livestock raising after 1970. Agriculture lost laborers to the construction industry, trade, the P.D.O. and the administration, because of the higher salaries paid in these sectors. Because of this loss, the raising of livestock and the cultivation of irrigated fields, both of which are costly in terms of labor, had to be limited. In many oases, the garden and irrigation installations are threatened with decay, a fact which pushed the government to make big efforts to protect them. And many bedouins have reduced the number of animals they hold and have limited migratory grazing. With the decline in these two areas of the economy, a movement of the inhabitants from their tribal settlement areas also took place (e.g., bedouins settled near the oases; agricultural laborers moved to the capital area or even to the U.A.E.) and there was a danger that the economic sector that had been the most important up to that point would undergo a long-term decline. A decrease in the practice of migratory grazing, e.g., can mean that the grazing land becomes overgrown with thorn bushes and is made unsuitable for grazing in the future.

This development would not be in keeping with the modern policies of the government which are based on the growth of a broad-based economy. And since Oman is

referred to as the "garden" of the Gulf with some justification, i.e., Oman could also deliver agricultural products to neighboring countries. So that, to realize this development of agriculture and livestock the following measures should take place.

1) The development of production farms, research and experimental stations, extension farms, extension centers and extension sub-centers.
2) The introduction of fertilizers, machines, new seed, and pesticides.
3) The extension of small loans for agriculture and the distribution of land.
4) The construction of processing plants for dates.
5) The construction of wells and the maintenance of Falaj installations.

In particular we should take note of government farms. The goal is to study the nature of agricultural production in Oman, to develop new technical methods to improve on traditional methods of cultivation, to try out different types of seed and to develop new, hardy breeds of livestock. The knowledge that is acquired on these government farms is then to be passed on to the farmer and the livestock breeder who are then to be taught the new techniques and given a insight into the necessity of increasing production and who are to be won over to producing for the market.

The production farms in Nizwa, Sohar, and Rumais and in Salalah are engaged in an attempt to translate the knowledge that has been won into the production of products for the market. The intention here is to stimulate the farmer and to provide him with an example. The success that has been achieved up to this point is promising.

The extension farms, extension farms, extension centers and extension sub-enters, which are to be found in 30 of the oases in the country, are to be spread the new ideas of the government thus contributing to the improvement of agricultural production; but it is also their task to act as advisers and to set an example for others to follow. In laying out new date groves, e.g., the distance between trees necessary for optimal production is

adhered to; there is an increasing use of fertilizers, and there is a growing use of tractors. Most impressive are the results achieved up to this point is the production of vegetables, fruits and milk products. Oman is not dependent on import in this area now *(see table 6 and illustration No 4).*

Table6: Production and Import of Agricultural Commodities 1980

	Production in mill. O.R.	*Import in mill. O.R.*
Vegetables	8.5	2.2
Fruits	27.4	4.0
Dairy products	7.5	4.9
Wheat, Flour	0.9	7.6
Meat	15.3	5.0
Rice	----	6.5

There have been changes in the ways in which water is procured. The traditional draw wells are almost all equipped with motorized pumps, and numerous new wells have been drilled. This is especially true where the distribution of land through the government has made the most progress. This includes the Batinah and the oases in inner Oman in whose vicinity the bedouins have settled and have turned to the cultivation of the land. In the Batinah, a chain of gardens and farms has been established on both sides of the Muscat-Sohar road each of which has several wells that bring the ground water to the fields by means of strong motorized pumps. The production results that have been achieved are promising, but it must not be forgotten that the large amount of water withdrawn can disturb ground water conditions, in the Batinah and in some places, it has already done so. The reasons for this are to be found in the fact that sea water with a high salt content penetrates underground and that this penetration in land is more rapid the lower the pressure in the water beneath the Batinah that comes from the mountains. If the ground water pressure is lowered by the numerous motorized pumps, sea water

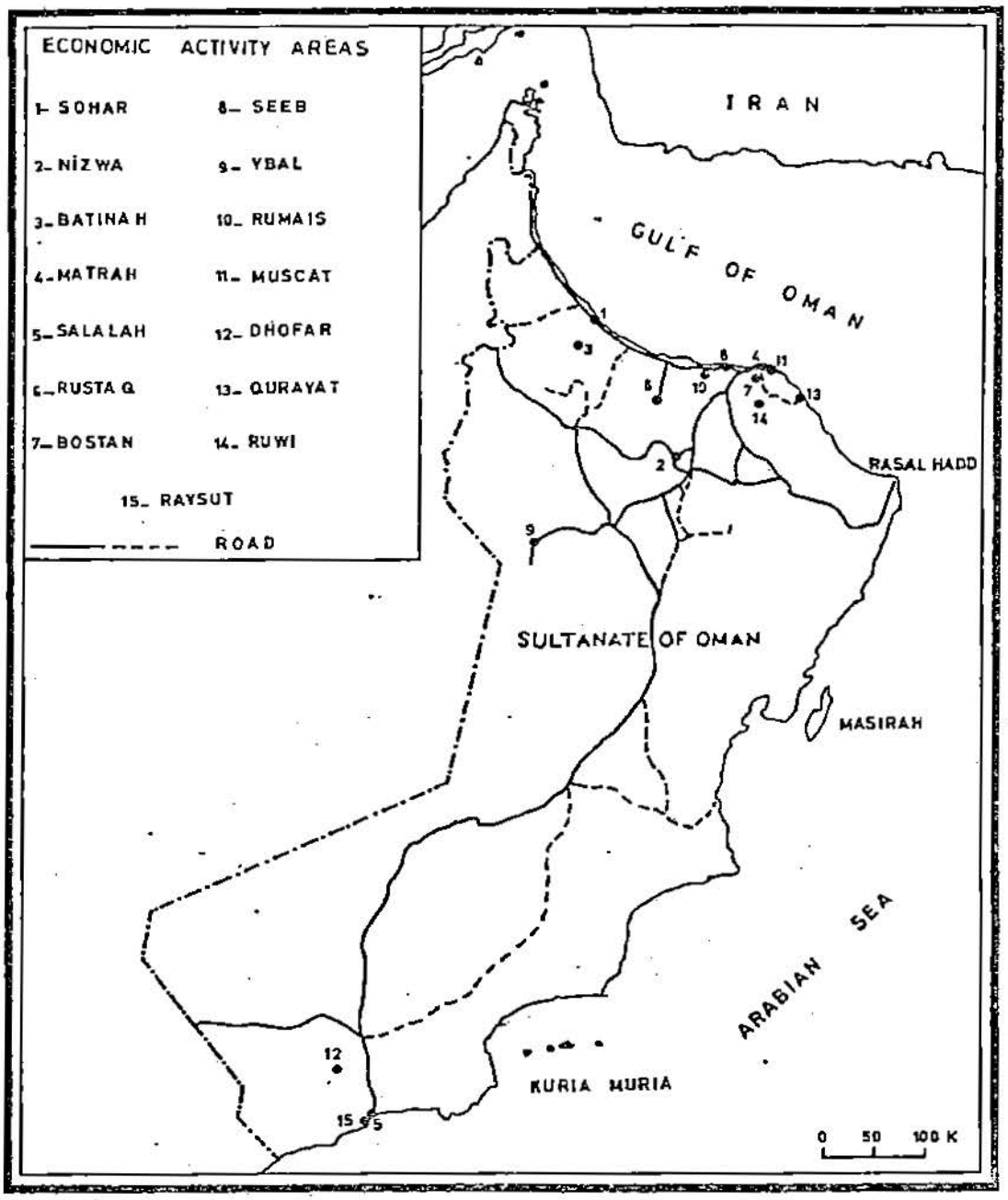
ECONOMIC ACTIVITY AREAS
1- SOHAR
2- NIZWA
3- BATINAH
4- MATRAH
5- SALALAH
6- RUSTAQ
7- BOSTAN
8- SEEB
9- YBAL
10- RUMAIS
11- MUSCAT
12- DHOFAR
13- QURAYAT
14- RUWI
15- RAYSUT
ROAD
IRAN
GULF OF OMAN
RASAL HADD
SULTANATE OF OMAN
MASIRAH
ARABIAN SEA
KURIA MURIA
0 50 100 K

No 4

penetrates more easily. The ground water of the Batinah is becoming increasingly salty and thus unsuitable for irrigation. The fact that date palms are dying in different places in the Batinah is a certain sign of this development. This process is reinforced by the limited amounts of precipitation or by the lack of precipitation in the mountains altogether, since that means that the flow of ground water from the mountains is decreased and the infiltration of sea water made easier. This problem has been realized by the government and it conducts different tests and experiments in order to overcome this problem, and to keep Batinah as an important agricultural area.

An expansion of the cultivated area around the oases is taking place. The prerequisites for this development are being fulfilled by the drilling of new wells. The areas are being used for the cultivation of grain, alfalfa, and above all for vegetables. The produce from these areas is sold in the local markets and especially in the Capital Area. Expansion of the road network and the use of motor vehicles permits rapid delivery of fresh goods. The support necessary for further development could come through the founding of distributing organizations commonly found in Germany, or France, for instance; through price controls, and through the supervision of imports of foodstuffs that are also produced in Oman.

Such measures are also necessary in the field of animal husbandry if one of the traditional branches of the Omani economy is not to be lost. In Saudi Arabia, Kuwait and Syria, domestic animal husbandry has decreased to such an extent that the need for livestock and meat products cannot be covered without imports. Certainly the wide, open areas of inner Oman and the slopes of the Oman and Dhofar Mountains do not offer a rich supply of fodder, but it is sufficient to maintain a migratory form of animal husbandry. It does not have to take the form of nomadism, i.e. the migration of herds and families, it can be intensified by the use of herdsmen and by introducing regularized migration with the use of additional or supplementary fodder.

The government has also been active in improving animal husbandry. The cultivation of fodder and breeding experiments with cattle in Wadi Qurayat, Salalah and in Rumais were the first steps taken in this direction. But the energetic help of the population is necessary for an increase in the production in the livestock industry. And this is a branch of the economy that has a long tradition in Oman and in which the Omani people have vast experienee.

3. Industry and Crafts

If one follows the history of the industrial development of present-day industrialized countries, it becomes clear that this is a process that has taken centuries and that is not to be attributed to one single cause. Certainly the highly developed crafts and the active merchant and trade class of the Middle Ages were important preconditions.

If one studies the industrialization of countries in the Third War, it is clear that it is only taking place slowly and that it is limited to a few products. Either they are producing goods for their own market, in order to become independent of the industrialized countries and the import of these goods (this process is called industrialization through import substitution), or they are producing goods that are to be sold in foreign markets as well as in the country of origin (this process is called export oriented industrialization). The goal in both cases is to develop a domestic industry in order to create jobs and in this way to increase the buying power of the population and to expand the domestic market. This provides the stimulus for the development of new industries, new jobs, etc. But this process quickly reaches the limits set by the competition of the industrialized countries. Most countries in the Third World (so called developing countries) have not gone past the very beginnings of the development of their own industry. The economic importance of these countries is therefore still concentrated in the provision of raw material and energy for the industrial countries.

The oil producing countries, however, enjoy a favored position among the developing countries. They have at their disposal the most important current source of energy, oil, which is also the foundation for a diversified industry. In addition, the production of oil provides these countries with the financial means to acquire the technical equipment and the knowledge of how to use energy and oil as well as other raw materials from agriculture or mining for the development of their own industry. Oman is one of these countries.

But the industrial development of Oman is still, in spite of satisfactory results, in its beginnings. The construction industry enjoys at the moment the greatest importance. It is along with agriculture and the government, the most important employer in the country. But the construction industry does not produce goods that can be exported. To the contrary, it uses up the money that Oman acquires primarily through the sale of oil. Nevertheless, the construction industry contributes to the diversification of economic activities and to the increase in the number of jobs.

Above all, the goal of industrial development must be to develop a type of production that (a) provides jobs for the greater part of the population, and (b) produces goods whenever possible on the basis of domestic raw materials that can be sold at a profit on the foreign and domestic market. Oman has raw materials from both mining and agriculture at its disposal, and there is a long tradition of crafts of all kinds that the government tries to develop, so that it can be integrated into the production process.

We have discussed the raw materials. The industry based on these materials is only at the beginning of its development. Finished products for the world market can be expected from the planned petrochemical industry which is to be linked to the oil refineries and run by gas. Artificial fertilizers, synthetic products and fibers could be produced. Finished products from the cement industry, while ores (chromium, copper and uranium) will certainly enter the market in processed form as crude metal.

Industrial production in Oman has been undertaken up to this point primarily in relation to agricultural products and is to be further developed. The beginning was the construction of date factories in Nizwa and Rustaq. The dates are processed in these factories, and numerous products are then attractively and hygienically packaged for sale on the market. These products meet even the highest international demands. The construction of a grain mill in Matrah is a further substantial step toward the development of domestic industry. The mill was planned with a capacity that would make it possible to use it for neighboring countries as well. There are also factories for the production of beverages, and the processing of domestic products is planned (e.g. mangoes, limes, bananas). The construction of canned-goods factories is also being considered (e.g. for vegetables, fruits, meat). But making these plans a reality still requires through preparation.

4. Coastal Fishing

A special opportunity for building up an independent industry is presented by the wealth of fish in Omani waters. Development of an Omani fishing fleet and the scientific investigation of fishing areas, a catch larger than that necessary to cover Oman's needs can be landed. At present the fish is delivered in special containers to all of the markets in Oman by refrigerated transporters. A prerequisite for the storage and preservation of the fish were the cold storage facilities financed by the government (e.g. an ice factory). The development of a fish-processing industry is planned for the future; above all it will produce canned fish of all kinds for the international market. Since many workers are needed here as in all food-processing industries, this sector should acquire special importance for the future job market in Oman.

In addition to these industries, which are based on domestic raw materials and which are all in the process of development, the first furniture factories have been built

as well as production plants for asbestos-cement pipes, moulded cement blocks and cement slabs, and a number of shops for crafts of various kinds: e.g. automobile repair workshops, paint shops and glass works, carpentry shops, workshops for the construction of water tans, tailors' shops and many others. And the government is trying through the Ministry of National Heritage to preserve and improve the traditional crafts. Pottery making, weaving, leather working, the traditional art of boat making, and copper, gold and silversmiths are receiving such support.

The conditions necessary for a diversified industrial development in Oman have been established by the government through the expansion of the infrastructure, the creation of government initiatives, and above all by the extension of credit and the creation of special industrial areas. The first of the industrial areas to be developed was that in the southeast of Ruwi on the road to Bostan. Mainly construction firms and suppliers of building materials and vehicles have established themselves here. An extensive "industrial area" has been laid out in the Southern Province between Salalah and Mina Raysut. The first companies, construction firms and wholesale dealers in building materials have established themselves here.

The Rusayl industrial area developed west of Seeb International Airport. The grounds, 300 sq Km in area equipped with all of the necessary features (streets, water, electricity, gas) and it plans particularly for light and medium industries which in no way pollute the atmosphere.

In Oman, there is above all a need to develop an industry that creates many jobs. The population is growing as a result of the high birthrate and immigration, e.g. from East Africa. And even more people who were formerly engaged in agriculture and animal husbandry or the children of such people, will be let go as a result of the coming rationalization in agriculture and will need work. And within the foreseeable future, the construction industry, which has grown so rapidly up to now, will cease to expand as it

has and will have to let workers go. They will need new jobs. The planned and developing industry of Oman can absorb the majority of these workers. But this means that automation cannot be allowed to determine the process of industrialization. Automation could mean high production, but the expected large number of people seeking jobs could not be absorbed. This is a problem in many developing countries.

REFERENCES

1. The Economist Intelligence Unit Ltd, Quarterly Economic Review of Arabian Peninsula, Annual Supplement, 1980.
2. Europa Publications Limited, The Middle East & North Africa, 1977-1980.
3. Government of Oman
   - Agriculture Department, Agriculture in Oman (Unpublished).
   - Audit Department, Governmental Employees, 1980.
   - Oman News, General Information, 1982.
   - Statistical Department, Statistical Yearbook, 1980.
   - Oman at a Glance, 1981.
   - Statistical abstract, Statistical Bureau, Ministry of Finance and National Economy, Oman 1982.
4. Khouja, M.W., The Economy of Oman, London, Macmillan, 1979.
5. Mahdavy, H., Patterns and Problems of Economic Development in Oman, Special Report, Mouscat, 1982.
6. Peterson, F.M., Studies in the Economic History of the Middle East, London Oxford University, Press, 1976.
7. United Nations, Studies on Selected Development Problems in Various Countries in the Middle East, 1979-1981.

المـــراجع العـــربية

١ ـ إتجاهات التنمية الأقتصادية فـى عمـان ـ خطة التنمية و الأستثمارات ـ وزارة المـالية و أجهزة التنمية الأقتصادية ـ مسقط ـ عمـان ١٩٨٠ .

٢ ـ أحـمد مـراد ـ الأنفاق العام فى البلدان العـربية ـ الأنماط و الأتجاهات الكـويت ، المعهد العـربى للتخطيط . فـبراير ١٩٧٩ .

٣ ـ حـازم الببلاوى ـ الفوائض المـالية النفطية و البنيان الأقتصادى العـربى ـ المجـلد الـرابع ـ العـدد الرابـع ـ الكـويت ١٩٧٩ .

٤ ـ عبد اللطـيف الحـمد ـ خمسـة عشـر عـاما من العمل الأنمائى العمـانى ـ الصندوق الكويتى للتنمية الأقتصادية العـربية ـ مجلة النفط و التعاون العربـى ، العـدد الأول ١٩٨٥ .

UNIVERSITE D'AIN-SHAMS
Faculté de Jeunes Filles
Section de Programmes et
de Méthodologie

" L'enseignement individualisé "

par

Dr. Lamaat Ismail Khalifa

1982

A - QU'EST-CE QUE L'INDIVIDUALISATION ?

a) enseignement traditionnel et enseignement individualisé

Pour bien saisir la nature de l'enseignement individualisé, il est utile de le comparer avec l'enseignement traditionnel.

Dans l'enseignement traditionnel, la classe ou le groupe est considéré comme une entité. On suppose que les besoins d'apprentissage, les habiletés et les réections de chaque enfant sont plus ou moins identiques. Cet enseignement est dono orienté en fonction du mythe de l'étudiant type. Il propose lee mêmes tâches scolaires sans tenir trop compte de l'habileté et de l'intérêt de l'étudiant.

Le professeur a un rythme de travail et une façon de fonctionner qui correspondent à l'image que l'on se fait de l'école et du professeur. Dans cee conditions, même les projets individuels, quand il y en a, tendent à être soumis au rythme des professeurs, à être organisés en fonction du groupe et à être intégrés à la routine de l'école.

b) enseignement individualisé

L'enseignement individualisé cherche à favoriser des expériences d'apprentissage adaptées à chaque étudiant. L'individualisation reconnaît qu'il n'y a pas d'enfant standard, que chacun est un individu qui apprend à sa manière et à son rythme.

L'individualisation cherche à motiver l'élève en l'aidant à trouver ses propres champs d'intérêt et en lui donnant des tâches individuelles basées sur ces intérêts.

Les critères principaux de l'enseignement individualisé sont donc l'orientation et le rythme. C'est un enseignement qui respecte le rythme d'apprentissage d'un individu plutôt que d'obliger un groupe à respecter un rythme établi par le professeur.

Comme l'enseignement individualisé est centré sur l'enfant, il demande un diagnostic du développement de l'enfant afin de déterminer les sortes d'expériences d'apprentissage dont il a besoin. Lorsque ces besoins auront été clairement identifiés, l'enseignement pourra être mieux centré sur l'enfant et mieux disposé en fonction de l'enfant.

L'enseignement individualisé permettra ainsi à l'étudiant, qui assume une réelle responsabilité dans son apprentissage, de:

- devenir un étudiant indépendent, capable de faire des progrès sans dépendre des autres;
- apprendre à son propre rythme et dans une proportion par lui déterminée;
- apprendre à l'aide d'un matériel qui est établi en fonction de toutes ses capacités de perception (en voyant, en entendant, en touchant, en s'exprimant par une combinaison de ses sens, etc...);

- apprendre à un niveau qui est approprié à ses habiletés;
- apprendre, en accord avec son groupe, son propre style d'apprentissage (seul, en petits groupes, par divers média, la nuit, etc...);
- être évalué en fonction de ses propres réalisations et non en comparaison avec les autres;
- acquérir la notion de ce qu'il accomplit et ainsi être capable de développer l'estime et la fierté de soi;
- choisir des options à partir d'une série de choix et participer activement aux paliers de décision en ce qui concerne les méthodes d'apprentissage.

c) formes de l'enseignement individualisé

Même s'il existe encore de nombreuses façons d'appliquer les principes de l'enseignement individualisé, on peut cependant, dire qu'il y a quatre formes d'enseignement individualisé et que chacune a ses propres caractéristiques. Ces quatre types d'enseignement individualisé sont :

1. Type A : enseignement individual, identifié et obligatoire;
2. Type B : programme autodirigé;
3. Type C : enseignement personnalisé;
4. Type D : étude libre.

1) Type A : Enseignement individuel, identifié et obligatoire

L'école détermine les objectifs et les méthodes d'enseignement (quoi et comment apprendre). L'école choisit aussi le matériel mis à la disposition de l'étudiant. L'enfant peut apprendre à son propre rythme.

2) Type B : Enseignement autodirigé

L'école, par l'intermédiaire du professeur, détermine les objectifs et les buts de l'apprentissage pour chacun des enfants.

Les enfants choisissent le matériel et décident comment procéder. Dans ce type d'enseignement, il est indispensable que les plans d'étude soient clairement établis, que les tests d'aptitude soient bien développés et qu'il existe des centres de ressources éducatives et des laboratoires où une grande variété de matériel est disponible pour permettre à l'étudiant, qui sait ce qu'il doit apprendre, de choisir le matériel qui lui convient le mieux.

3) Type C : Enseignement personnalisé

Les élèves identifient leurs propres objectifs. Ils déterminent les buts de leur propre apprentissage. Après avoir choisi ces buts, les élèves doivent suivre un programme établi par le professeur et utiliser le matériel approprié mis à sa disposition

par l'école. Ici aussi, les élèves déterminent leurs rythmes personnels d'apprentissage. Et le professeur est toujours disponible pour les aider ou les guider.

4) Type D : Etude libre

Ce type d'enseignement permet à l'étudiant ou, plus exactement au "s'éduquant", de déterminer ses propres objectifs ainsi que les moyens de les atteindre.

On retrouve l'étude libre dans les écoles qui prévoient dans l'organisation de l'apprentissage de l'étudiant une période de temps "non-structuré". Mais, en général, seuls les étudients les plus avancés sont amenés à choisir ces programmes.

Il ne faut pas cependant, considérer l'enseignement individualisé comme un simple procédé de tutorat.

Il faut aussi éviter de confondre enseignement individualisé et enseignement programmé. Si celui-ci peut être partie intégrante d'un type d'enseignement individualisé, il n'est pas nécessairement de l'enseignement individualisé au sens où nous l'avons défini.

Enfin, il faut dire qu'il n'y a pas une seule et unique façon d'aborder l'enseignement individualisé; toutes les approches ont cependant un point commun: l'accent mis sur l'enfant en tant qu'individu plutôt que sur le groupe.

"De nombreuses formules d'enseignement individualisé mettent l'accent sur le diagnostic personnel et l'extension des éléments d'autodidaxie, chaque participant se voyant assigner, en fonction de ses besoins et de ses aptitudes, un programme d'études composé de données à assimiler, de travaux de recherche et d'exercices dont il s'acquittera tantôt en groupe, tantôt seul. Il est en même temps pourvu de moyens d'autocontrôle.

Les modalités de l'apprentissage tendent à multiplier les procédures et les équipements d'apprentissage indépendant (enquêtes et recherches, centres de documentation, médiathèque) et les formules adaptatives (stations d'interrogation collective, machines à enseigner).

Le temps scolaire cesse d'être uniformément découpé. Son rythme est varié, le déroulement des exercices est diversifié et remplace la progression uniforme pour tous, certaines quantités de temps pouvant être réservées à l'étude individuelle, pratiquée au rythme propre de l'apprenant. On tend à distinguer plus ou moins empiriquement, dans l'étude des temps d'information (individuelle ou par larges groupes), des temps d'exercices en petits groupes, des temps d'assimilation individuelle, des temps de transfert et des temps de contrôle (individuel ou collectif)"

B - LES DIVERSES METHODES D'ENSEIGNEMENT INDIVIDUALISE

Le concept même d'enseignement individualisé étant maintenant cerné, il nous faut aborder les diverses méthodes et techniques que peuvent utiliser enseignants et étudiants pour arriver à réaliser la somme des acquisitions de connaissance, de même que l'ensemble des comportements prévus par le curriculum.

Individualisation de l'enseignement, répétons-le pour bien le retenir, ne veut pas dire en effet travail individuel. Cette forme de travail est l'une des quinze techniques qui s'offrent au cours de cet enseignement. Il en reste une multitude d'autres qui présupposent le travail de groupes ou la collaboration assidue des enseignants.

1- Le cours magistral

Le cours magistral formel n'est pas totalement supprimé par l'enseignement individualisé; il est cependant transformé.

En effet, de par sa nature, le cours magistral implique une participation active de la part du maître et une participation généralement passive de la part des auditeurs. L'utilisation de cette technique doit être restreinte en longueur et en fréquence puisque les techniques d'enseignement individualisé

encouragent l'élève à être actif et indépendant.

a) Groupes: puisque l'élève évoluera habituellement seul ou en petit groupe, les rencontres en grands groupes pourront comprendre aussi facilement 150 élèves que 30.

b) Module: ces grands groupes ne devront jamais dépasser en longueur un module de 15 ou 20 minutes, afin d'assurer le maintien de l'attention des élèves.

c) Objets: le cours magistral se limitera aux activités suivantes :

- l'orientation en début de semestre où les objectifs généraux du cours sont donnés ;
- la présentation, dans ses grandes lignes, de la théorie d'une unité importante de travail;
- une information supplémentaire à donner d'une façon périodique pour diriger davantage de nouvelles découvertes ;
- cours de synthèse donné à la fin d'une phase pour faire le bilan des connaissances acquises et des comportements développés.

2 - L'apprentissage en équipe

L'apprentissage en équipe est une technique par laquelle les élèves se réunissent par petits groupes (de cinq à huit) dans le but de s'enseigner mutuellement les faits et les concepts qui sont communs au cours de la phase précise où chacun des membres de l'équipe est arrivé.

L'équipe reçoit un matériel concret (écrit ou enregistré sur bande) qui comprend l'ensemble de l'information à maîtriser. Les individus - our le groupe - prennent connaissance de l'information, puis ils doivent répondre à un questionnaire dont certaines interrogations exigent des réponses précises que l'on peut trouver directement dans le texte, et certaines questions auxquelles on ne peut répondre qu'après une interaction du groupe, ce qui permet une discussion et une prise de décision. Le groupe se dote d'un secrétaire qui note les réponses, les résultats des discussions et les prises de décision.

3 - Cercles de connaissance

Si l'apprentissage en équipe permet l'acquisition de nouvelles connaissances, les cercles de connaissance permettent la révision des acquis. Les élèves (entre cinq et dix) se regroupent d'après la similarité du travail qui leur est prescrit et selon qu'ils ont complété ou non un aspect donné de leur contrat:

devoir, unité ou sujet d'approfondissement, peu importe si l'élève a terminé cet aspect précis depuis un mois, une semaine ou une journée.

4 - Simulation

La simulation a pour but la présentation de situations hypothétiques basées sur des facteurs qui viendront sans doute affecter la vie des participants. Les éleves doivent "jouer un rôle" ou indiquer leurs réactions et leur comportement face à cette situation. L'objet de cette technique d'apprentissage est double :

a) le développement de solutions de rechange face à un problème donné ;

b) le développement d'habiletés à solutionner des problèmes ainsi que l'expérience découlant de la pratique de ces habiletées.

En écrivant une simulation, l'élève devra acquérir de nouvelles connaissances afin de se familiariser avec les roles et il devra apprendre à défendre des points de vue qui ne sont pas nécessairement siens.

5 - Le jeu de rôles

Contrairement à la simulation, le jeu de rôles ne comporte pas le besoin pour l'élève d'acquérir de nouvelles connaissances. Il pourra réagir et exprimer ses perceptions face à une situation ou à une personne, spontanément à partir des acquisitions préalables. Le jeu des rôles est surtout une technique d'orientation (le professeur identifie le niveau de connaissance des élèves) et une technique de révision.

Cette forme d'enseignement est souvent utilisée au cours d'une simulation ou encore dans la deuxième phase d'une étude de cas.

6 - L'étude de cas

L'étude de cas peut être utilisée par des individus ou de petits groupes dans le but de développer l'habileté de la pensée critique (l'analyse) et d'acquérir une nouvelle perception des concepts et des situations qui prêtent à discussion.

Voici la ligne de conduite qu'il faut suivre dans l'élaboration d'une étude de cas :

a) la forme: l'étude de cas est habituellement écrite sous forme d'une courte nouvelle où la chronologie des évènements est nécessaire à la bonne compréhension de la situation. Le

cas peut aussi être présenté de façon visuelle et/ou auditive.

b) la définition du problème : le cas doit se limiter à un seul incident, un seul problème ou une seule situation, surtout avec des étudients jeunes. Il est évident que le cas peut se compliquer lorsqu'il s'adresse à des étudiants plus mûrs.

c) l'importance : le réalisme et le cadre de référence sont essentiels au succès de cette technique. Il faut "reconnaître" les personnes et leurs actions. Le style littéraire doit être adapté au niveau culturel - ou un peu plus élevé - auxquels sont arrivés les participants.

d) La motivation : les élèves seront davantage motivés s'ils contribuent à l'élaboration du cas - même à la rédaction - et si on leur attribue un rôle.

e) La procédure : les petits groupes de discussion tels ceux de l'apprentissage en équipe et des cercles de connaissance sont particulièrement appropriés à la technique de l'étude de cas. Le matériel doit être connu à l'avance ou lu, raconté ou visionné au début de la session. Cette activité nécessite un animateur (professeur ou élève) qui tente d'éviter les égarements, et un secrétaire qui note les interventions majeures des participants.

f) l'analyse : les questions clefs doivent être posées à l'avance, les autres lors de l'exploration du problème. D'abord on posera les questions simples se rapprotant à des faits, puis on abordera les raisons, les motivations et l'analyse des subtilités et des complexités de l'expérience et de l'interaction humaine. Enfin, on énumérera les valeurs, les règles établies à l'avance qui permettent d'élaborer une ligne d'action à partir des conclusions.

7 - L'assaut d'idées ("Brainstorming")

Dans sa forme élémentaire, l'assaut d'idées exige des interactions basées sur les connaissances déjà acquises par les étudiants qui agissent comme catalyseurs vis-à-vis des idées des autres. Dans sa forme complexe, les participants sont amenés à cheminer à travers un processus qui vise à déterminer ou à développer des objectifs, qui vise aussi l'analyse, l'évaluation, la solution de problèmes et la réanalyse en vue d'une mise en action.

Voici certaines règles de base de l'assault d'idées :

a) On encourage cheque participant à émettre ses idées ou suggestions aussitôt qu'il en a l'occasion.
b) On rappelle au groupe de centrer toutes leurs interventions spécifiquement sur le sujet, la question ou les situations qui prêtent à discussion, et sur rien d'autre .

c) L'analyse, le commentaire, la critique négative et l'agressivité ne sont pas permis.

d) Toute suggestion ou idée se rapportant au sujet est retenue, qu'elle semble réaliste ou non.

Cette technique qui vise la solution de problèmes a été utilisée pour la première fois dans l'industrie comme moyen de surmonter des obstacles, de solutionner des problèmes et de trouver des approches nouvelles et créatives aux procédures et systèmes inefficaces.

8 - Le "Task-Force" en équipe

Comme en industrie ou dans le secteur gouvernemental, le "task force" en éducation a pour but de fournir un travail ou une solution à un problème précis. L'équipe est composée de trois à six élèves qui, individuellement ou en groupe, font face à une situation d'urgence qui demande un réglement rapide.

Voici les étapes à suivre :

a) Le groupe du "task-force" consulte le professeur, identifie le probleme et fixe d'une manière précise la tâche à accomplir.

b) Des objectifs spécifiques sont déterminés.

c) Un échéancier précis est fixé.

d) Une post-consultation avec le professeur permet de déterminer si les objectifs sont atteints.

e) Si tous les objectifs ne sont pas atteints de façon satisfaisante, le groupe "task-force" se remet de nouveau au travail.

9 - Equipe de tuteurs

Les écoles, comme les classes ont toujours été constituées d'élèves plus forts qui peuvent aider les autres. Leur utilisation, comme technique d'enseignement individualisé, peut se faire d'une façon rationnelle. Le professeur doit voir à ce que cette tâche soit assignée de façon telle qu'elle bénéficie autant aux tuteurs qu'à leurs protégés et de maniere que cette activité s'intègre bien aux autres activités prévues.

a) Le rôle : chaque tuteur (entre 1 et 5 par groupe) doit connaître clairement ce qu'il doit accomplir avec chacun de ses protégés. Sa première tâche est de fournir des explications et des informations à son protégé. Le professeur peut aussi lui demander d'administrer les pré-tests et les contrôles de vérification des progrès. Le professeur assure toujours une supervision et il agit comme médiateur si un conflit surgit entre le tuteur et son protégé.

b) Les exigences : chaque tuteur doit déjà maîtriser l'unité de travail à l'intérieur de laquelle il est appelé à conseiller. En plus, c'est un élève responsable, sûr de lui-même et qui a la confiance du professeur et du protégé. Il évite de sermonner son protégé et, en situation de conflit, il fait appel à "l'autorité" du matériel disponible ou à la compétence du professeur.

c) Les avantages : l'avantage premier de cette méthode est de fournir au professeur de l'aide dans l'exécution des divers actes d'enseignement. L'élève récepteur bénéficie de plus d'attention et augmente ses chances de succès. Pour sa part, le tuteur augmente sa compétence, car il apprend mieux en enseignant. Son apprentissage social en bénéficie aussi, car l'enfant a besoin de communiquer aux autres ses acquisitions, surtout si, pour lui, elles sont importantes.

10 - Apprentissage en milieu de travail

Cette technique existe depuis déjà plusieurs années, surtout dans le secteur technique où l'étudiant, en mécanique automobile par exemple, va faire des stages dans un garage ou

une station service. Dans le cadre de l'enseignement individualisé, cette technique peut s'étendre à l'ensemble des "matières". Il faut cependant, s'assurer des conditions suivantes:

a) Que cette activité-travail soit une partie intégrante de l'apprentissage de l'élève.
b) Que cette activité soit structurée de façon telle qu'elle permette une évaluation du rendement de l'élève aussi bien durant le travail, qu'à la fin de ce travail.
c) Que l'organisme coopérant saisisse bien son rôle éducatif de superviseur et d'évaluateur.
d) Que l'école fournisse une personne compétente (le professeur lui-même ou une personne désignée à cette fin) qui assurera la collaboration nécessaire entre l'école et l'organisme en question.

11 - Le contrat individuel

Le contrat individuel est une entente survenue entre un professeur et un élève. Après l'analyse des aptitudes, des faiblesses et du style cognitif particulier d'un élève, un professeur lui permet de dresser lui-même les termes d'un contrat de travail qu'il réalisera seul et à la fin duquel, il sera évalué. Cette technique permet un apprentissage indépendant et un respect du rythme et des habiletés de chacun.

La frustration et l'anxiété sont ici minimisées, car l'élève sait exactement ce qu'on attend de lui. Pour chaque unité de travail à accomplir, on lui donne :

a) Une liste précise des connaissances à acquérir;
b) Une méthode précise à utiliser pour pouvoir démontrer à son professeur qu'il a maîtrisé les connaissances requises ;
c) Une indication précise du niveau de maîtrise qu'il doit atteindre avant qu'il puisse terminer le contrat et commencer un autre ;
d) Un choix parmi un bagage de matériel-ressource adapté à son niveau académique (bandes, disques, films, volumes, photos, diapositives, jeux, etc...)
e) Un choix d'activités qui permet d'utiliser et de renforcer l'information recueillie qui deviendra connaissance.
f) Un choix de moyens par lesquels l'élève présentera ses nouvelles acquisitions à un groupe récepteur ses collègues, ses professeurs ou autres personnes).

12 - Le projet multi-média

Le projet multi-média utilise divers modes de communication dans sa présentation. On peut utiliser la bande sonore, le film, la diapositive, la photographie, le dessin, le gra-

phique, la voix humaine, la musique, le bruitage, le pantomime, le décor, le costume, l'éclairage, etc...

Un projet multi-média est une excellente technique d'individualisation en ce que chaque membre de l'équipe (ou petit groupe) a des responsabilités qui lui sont particulières. Selon son rôle et sa fonction, on pourra développer des habilietés d'expression verbale, d'expression écrite, d'expression corporelle ; des habilités administratives; des habiletés d'ordre technologique ; des habiletés artistiques.

Si chaque membre de l'équipe choisit un rôle ou une fonction qui lui convient, et s'il réussit a le bien remplir, il contribue au succès du projet et développe son esprit d'équipe et son sens de responsabilité sociale.

13 - Contributions au milieu

Contribuer au milieu fournit à l'étudiant (de 12 ans et plus) la possibilité d'apprendre à assumer cette responsabilité collective qu'ont les citoyens vis-à-vis de leur milieu. L'étudiant devient plus conscient du rôle qu'il doit jouer en tant que citoyen, s'il s'attaque très jeune aux problèmes auxquels ont à faire face ses aînés. Cependant, pour que sa contribution soit positive vis-à-vis le milieu et qu'il progresse sur le plan de son apprentissage social, certaines conditions doivent être observées :

a) Il faut que cette activité s'insère dans un champ de connaissances ou dans un centre d'intérêt.

b) Il faut que les participants s'attribuent des tâches conforment à leurs goûts et à leurs aptitudes ;

c) Il faut qu'un écontrat", ou une entente, soit conclu entre la ville et le groupe d'étudiants afin d'assurer la collaboration des organismes municipaux.

d) Il faut que cet "exercice de vie en démocratie" soit couronné par des crédits académiques correspondant à l'effort et aux résultats des participants.

14 - Etude libre

Cette technique permet à l'étudiant ou, plus exactement au "s'éduquant", de déterminer ses propres objectifs ainsi que les moyens de les etteindre. On retrouve l'étude libre dans les écoles qui prévoient, dans l'organisation de l'apprentissage de l'étudiant, une période de temps "non-structuré".

15 - "Learning Activity Peckages"

Le LAP est une forme de communication entre l'élève et le professeur qui contient des consignes concernant les activités de l'élève visant des performances spécifiques. Voici les composantes d'un module d'enseignement individualisé LAP :

a) Le titre : Le titre doit indiquer le thème central ou l'idée principale de l'unité de travail. Si le contenu est très étendu, des sous-titres peuvent s'ajouter pour indiquer les idées secondaires.

b) La raison : Un texte, adressé à l'élève, lui communique l'objectif général de l'unité ainsi que son importance vis-à-vis de son programme d'étude. Ce texte doit être clair, concis et doit montrer le lien de ce travail par rapport à ceux qui l'ont précédé et ceux qui le suivront.

c) Pré-test des prérequis sous formes d'auto-évaluation: (Prerequisite Knowledge Self-Assessment Instrument) Ce prétext est inclus dans le LAP si le contenu de l'unité dépend des connaissances antérieures. Il permettra au professeur et à l'élève d'avaluer les chances de succès dans cette unité.

d) Les objectifs : Les objectifs doivent être présentés de façon à influencer le comportement. Ils doivent indiquer l'intention (intent), les conditions de performances et le niveau minimum de rendement acceptable. Les niveaux de difficultés de l'apprentissage doivent être diversifiés (le rappel, l'application et la synthèse) afin que l'élève soit encouragé à utiliser les processus les plus complexes de la pensée au lieu de se limiter au rappel et à la répétition de simples faits.

e) L'auto-évaluation : Une fois le but et les objectifs de l'unité connus, l'élève procède à une auto-évaluation qui a pour but de :

- permettre à l'élève de sauter ce LAP s'il répond déjà aux exigences;
- diriger l'élève aux parties du LAP qu'il a besoin d'étudier ;
- permettre à l'élève de vérifier son propre progrès avant le post-test (L'évaluation par le professeur).

f) Les activités d'apprentissage : Les activités doivent fournir à l'élève des choix concernant le comment, le quoi, le quand et le où de l'apprentissage et doivent aussi fournir des possibilités d'utilisation des ressources, c'est-à-dire :

- multi-média : l'utilisation de différents types de matériel audio-visuel ;
- multi-modes : des variations dans les objectifs qui déterminent la grandeur des groupes ainsi que la méthodologie ;
- multi-contenus : différents niveaux de difficulté dans tout le matériel ressource;
- multi-activités : variations en terme d'activités telles que l'audition, le visionnement, la parole, la manipulation, la participation à des jeux académiques et des simulations, etc...

g) Les instructions du professeur : Cette section doit inclure tout ce qui est essentiel à la bonne marche de l'exécution d'un LAP, au niveau de la présentation, de la gestion et de l'évaluation.

h) Le post-test ou l'évaluation par le professeur : Dernière composante du LAP, le post-test tiendra compte des objectifs qui dicteront sa nature, son importance et ses conditions.

C - EFFETS DE L'ENSEIGNEMENT INDIVIDUALISE

L'individualisation n'est pas une cure magique pour régler tous les maux de l'éducation. Mais dans tout le monde les écoles qui ont adopté ce type d'enseignement reconnaissent généralement qu'elles ne retourneront jamais à un type d'anseignement traditionnel. L'individualisation est aussi importante pour un grand nombre de professeurs. Si chaque professeur, confronté avec l'enjeu de l'enseignement individualisé, ne rencontre pas toujours le succès (à tel point que certains retournent à l'enseignement traditionnel), il s'avère que, dans la plupart des cas, les échecs ou les déceptions sont dus à un manque d'entraînement, à une insuffisance de matériel ou à la faiblesse de l'aide offerte.

Les étudiants ont généralement une réaction favorable. Ils sont plus satisfaits même s'ils reconnaissent qu'ils doivent travailler davantage que dans un cours traditionnel. On constate d'autre part, que l'étudiant, impliqué dans un programme d'enseignement individualisé, participe davantage, et que, de ce fait, la plupart des problèmes disciplinaires habituels (désertations, drop-out) deviennent pour ainsi dire inexistants.

Ce qui a grandement favorisé l'enseignement individualisé, c'est d'avoir pu convaincre, décider à "voir à leurs affaires", que se rendre à l'école chaque jour avait un sens.

Les parents sont d'abord sceptiques. Ils s'inquiètent de voir les classes, où l'on utilise ce type d'enseignement fonctionner de façon plutôt informelle; ils sont effrayée de voir des classes souvent bruyantes qui manquent parfois de sérieux.

Mais comme les enfants se sont montrés plus disposés à apprendre et parfois plus enthousiasmés lorsque l'enseignement individualisé fut préconisé, les parents n'ont pas tardé à réagir de la même manière au bout de quelque temps.

Les directions d'école ont trouvé dans l'approbation de la communauté une raison majeure de privilégier ce type d'enseignement.

L'individualisation peut être une réponse au problème des coûts, sans cesse grandissants de l'éducation.

BIBLIOGRAPHIE

ANEWA, J.E. "An Instrument for Individualizing,Instruction", Educational Leadership, Mai 1970, p. 787

ARNOLD, D.S., "How to Inovate Successfully", Todays Education, Janvier-Février 1974, p. 38

BISHOP, Lloyd K., Individualizing Educational Systems, Harper and Row, New York, 1971.

BLAKE, H.E., McPHERSON, Ann W. (1969). Individualized Instruction - where are we ?, in E.G. Talbert, L.E. Frase : Individualized instruction : a book of readings, p.52, Columbus (Ohio) : Merrill.

BELANGER, M. "L'Education américaine et nous" dans la revue de l'A.C.E.L.F., Montréal.

BURNS, F., "Méthods for Individualized Instruction" in Educational Technology, June 1971.

COMBES, A.W. Fostering Self-direction, in E.G., Talbert, L.E. Frase : Individualized instruction : a book of readings, Columbus (Ohio : Merrill, 1966.

CYR, J.M. and P. DUPUIS, "Quelques éléments d'une stratégie en vue de faciliter l'adoption des changements en milieu scolaire", Information X, September 1970.

DEJNOZKA, E.L. "Planning for Change : A Function o' Leadership", American Secondary Education II, décembre 1971.

DESHOYERS, L. Mergler-Racine D., Bhéreur P. AINVEQ : "Une

GOLDSMITHS, "Individualising Instruction at the College and University Level", in learning and development, vol. 4, no.7, mars 1974.

GOODLAD, J.I. Toward 2000 A.D. in Education, in E.G. Talbert, L.E. Frase : Individualized instruction: a book of readings, Columbus (Ohio) : Merrill, 1968.

HASSETT, Open Classroom : alternative to our tradition 1972.

HENDERSHOT C.H. "Programmed Learning and Individualy Paced Instruction", Bibliography rifth Ed. (4114 Ridgewood, Bay City, Michigan, 48706).

HOWES, Virgil "Individualisation of Instruction", London, Mac Millan, 1970.

HYER, Anna,L. "Effects on teacher role of the introduction of educational technology and media into schools". National Education Association, Washington : Spons Agency, Paris 1972.

JOHNSON, Stuart — Johnson Rita B., "Developping Individualized Instructional Material". Westinghouse Learning Press, California, 1970.

KAPPER, Philip — Ovard Glen, F. "Preparing and Using Individualized Learning Package for Ungraded, Continuous Education". Educational Technology Publications, 1971.

LAWLER, M.R. — and Contributors. "Strategies for Planned Curricular Innovations, N.Y., Teacher College Columbia University, 1970.

LEARNING DIRECTORY, N.Y. Westinghouse, Learning Corporation, 1970.

LE GALL, M. — Les parents dans la classe. "Parents et Maîtres" Vol. 19, no. 74, 1972.

LEITHWOOD, K.A. — and Russel, H.R. "Focus on Implementation", Interchange, vol. e, 1973

LEWIS, James, Jr. — "Administering the Individualized Instruction Program", Parker Publishing, N.Y., 1971.

LIPPITT, WATSON and WESTLEY, — "The Dynamics of Planned Change, N.Y. Harcourt, Brace and World Inc., 1958.

MORRITT, J.C. — "In Service Education for Teachers", Center for Applied Research in Education, N.Y., 1963.

MOORE, A.J. HOUSE, Sister Peggy, Individualization in a Modular Schedule. Educational Leadership, 29, no.3, 1971.

NATIONAL SOCIETY for the Study of Education, "Individualized Instruction" de. Nelson B. Henri, Université of Chicago, 1962.

NEAGLEY and EVANS "Handbook for Effective Supervision of Instruction", Prentice Hall, 1970.

O'NEIL, F. "The Role of Public Schools in Computer Assisted Instruction". Educational Technology, 10, no. 3, 1970.

RIESSMAN, F. "Styles of Learning, in E.G. Talbert : L.E. Frase : Individualized Instruction : a book of readings, Columbus (Ohio) : Merrill, 1966.

RIVARD, André "Boscoville : système d'enseignement individualisé par fiches".

ROGERS, Matthew "Diffusion of Innovation", The Free Press, N.Y. 1968.

RYABS, D.G., "Caracteristics of Teachers". American Council on Education, washington D.C., 1960.

SCANLON, R.G., BROWN, M.V. "In Service Education for Individualized Instruction". Educational Technology, 10, no.2 1970.

STEWARD, J.R. LOVE W.A. Jr. "The Teacher Response to Technology and the Individualization of Instruction", Educational Technology, 10, no. 2, 1970.

TALBERT E. Gene, Frase Larry E. "Individualized Instruction: a book of readings". Columbus : Merrill, 1972.

THOMAS, George Crescimbeni Joseph, "Individualising Instruction in the Elementary School" Ed. Random, U.S.A.

WALSH, H.M. Learning Ressources for Individualizing Instruction, in E.G. Talbert, L.E. Frase : Individualized Instruction : a book of readings, Columbus, Ohio : Merrill, 1966.

WEISGERBER, Robert "Perspectives in Individualized Learning", F.E. Peecock, Itasca (illinois), 1971.

WILKINS, P. Record-Keeping techniques for use in individualized instruction, in E.G. Talbert, L.E. Frase : Individualized Instruction : a book of readings, Columbus (Ohio) : Merrill, 1972.

WITTICH Walter Schuller Charles F., "Instructional Technology", Harper and Row Publishers, 1973.

ZIEGLER, R.J. Innovation : Checking out Instructional Change, Teacher, Janvier 1974.

UNIVERSITE D'AIN SHAMS
Faculté de Jeunes Filles
Département de Programmes
et de Méthodologie

" L'apprentissage par résolution de problèmes"

par

Dr. Lamaat Ismail Khalifa

1982

I - Le rôle du problème dans les pédagogies traditionnelles et nouvelles.

- Un problème est une situation stimulus demandant une certaine réponse de la part de l'apprenant chez qui cette réponse ne se trouve pas disponible au moment considéré . La définition de ce qu'est un problème comprend trois concepts :

1. Il y a problème par rapport à l'état de l'apprenant au moment considéré.
2. La réponse doit être adéquate aux caractéristiques de la situation.
3. La réponse n'est pas automatique, c'est-à-dire déjà liée aux caractéristiques de la situation.

- De tout temps la résolution de problèmes a été une importante activité pédagogique; mais le rôle fonctionnel, de cette activité dans une pédagogie traditionnelle diffère de son rôle fonctionnel dans une pédagogie nouvelle.

Dans une pédagogie traditionnelle l'activité de l'élève comprend une phase d'acquisition (la leçon) et une phase d'utilisation des connaissances (l'exercice d'application). Dans ce modèle traditionnel, le problème a deux fonctions : tester l'acquisition des connaissances; opérationnaliser ces connais-

sances, opérationnaliser ces connaissances sous forme de capacités. L'école est regardée comme un stage de préparation à la vie.

- Au contraire, les pédagogies nouvelles considèrent le problème comme point de départ et non comme l'aboutissement des apprentisseges. Deux principes sont à la base de cette conception :

Le premier est que toute personne se trouvant face à un problème (ou à une situation pour laquelle elle ne possède pas de solution immédiate) déploie un certain nombre de démarches pour le résoudre. Le deuxième est qu'il reste des traces de cette activité, de telle sorte que lorsque la personne se trouvera dans une situation semblable elle répondra de façon plus directe, sans avoir à réproduire toutes les démarches ayant conduit à la solution initiale.

Le problème comme mobile:

Dans la pédagogie traditionnelle le problème est pris comme mobile, la situation problème motive l'activité de l'élève, l'élève sera un demandeur actif curieux.

Le problème comme moyen:

Il y a problème lorsque aucune des règles ou façons de faire dont dispose le sujet n'est applicable à la situation. La personne développe alors une certaine activité, qui consiste à

élaborer des hypothèses à partir de règles déjà acquises.

L'hypothèse qui constitue une réponse adéquate à la situation passera du statut d'hypothèse au statut de règle. Dans l'avenir, la personne appliquera cette règle à toutes les situations semblables à la situation initiale.

II - La résolution du problème comme forme d'apprentissage.

La psychologie scientifique a intensivement étudié les phénomènes d'apprentissage, et ceci à la fin du siècle dernier. Mais ces recherches si profondes et si minitieuses ont été d'une utilité peu pratique pour le pédagogue. Car, dans la plupart des cas, la généralisation des loies établies dans les situations de laboratoire s'est révélée impossible aux situations de la vie scolaire. C'est pourquoi certains psychologues envisagent l'existence de plusieurs niveaux ou types d'apprentissage. dans leur théorie psycho-pédagogique de l'apprentissage White et Jensen distinguent deux niveaux d'apprentissage: le niveau associatif et le niveau cognitif. Le premier concerne l'apprentissage par coeur (association des éléments par couple). Le second concerne l'apprentissage abstrait (résolution de problèmes).

Le système proposé par Ausubul comprend deux types d'apprentissage. Le premier type c'est l'apprentissage de routine; dans cet apprentissage les notions sont présentées à l'élève toutes élaborées. Le second apprentissage c'est l'apprentissage

significatif, par découverte, l'élève doit découvrir et organiser lui-même les notions.

L'analyse proposée par Gagné est encore plus poussée, elle comprend huit types d'apprentissage:

1- L'apprentissage du signal
2- L'apprentissage stimulus - réponse.
3- L'enchaînement
4- L'association verbale
5- L'apprentissage de discriminations
6- L'apprentissage de concepts
7- L'apprentissage de règles
8- L'apprentissage par résolution de problèmes.

La pédagogie actuelle s'interresse à l'apprentissage par résolution de problèmes. Nous étudierons très brièvement les aspects pédagogiques de cette forme d'spprentissage.

III - Aspects pédagogiques de l'apprentissage par résolution de problèmes.

1. Pourquoi un apprentissage par résolution de problèmes ?

Les formes d'apprentissage définies par Ausubul et celles définies par Gagné démontrent qu'il existe deux modalités d'apprentissage.

(a) L'apprentissage par réception (Ausubul) ou l'apprentissage de règles, de concepts (Gagné).

(b) L'apprentissage par découverte (Ausubul) ou l'apprentissage par résolution de problèmes (Gagné).

Il y a actuellement un engouement pour la pédagogie de la découverte, cet engouement a deux arguments, l'un est la dépréciation de la pédagogie par exposition, considérée ennuyeuse et monotone; l'autre consiste à remettre l'enseignement aux activités spontanées de l'élève.

Ausubul insiste sur la très grande exigence en temps de l'apprentissage par découverte, il ajoute qu'on ne peut songer à généraliser cette forme d'apprentissage comme méthode d'enseignement; il convient de la privilégier seulement pour les jeunes enfants encore au stade concret du développement, ou pour des apprenants très avancés dans les domaines tout à fait nouveaux.

Autrement dit, l'apprentissage par découverte est utile dans les cas où il s'agit d'enseigner des concepts nouveaux.

Bruner et Gagné affirment que l'apprentissage par résolution de problèmes (ou par découverte) est motivant pour l'élève et peut créer chez lui une disposition "aimer à apprendre".

2. Principes susceptibles de guider le pédagogue:

(a) La méthode du problème

La démarche générale de cette méthode a été exposée par Dewey dans la célèbre "Méthode du problème".

Nous rappelons brièvement ses cinq points essentiels:

Le point de départ est dans quelque expérience de l'élève, autant que possible non construite par l'enseignant.

Le point suivant est la rupture de l'activité de l'élève par un obstacle, l'activité est suspendue.

Le point suivant est l'appel aux expériences passées, l'information stockée dans la mémoire...

Le point suivant est l'élaboration des hypothèses, ces hypothèses sont conçues comme immagination de voies nouvelles selon lesquelles l'activité interrompue pourrait être rétablie.

Le cinquième et dernier point c'est l'épreuve de l'hypothèse par l'expérience.

(b) Conditions de l'apprentissage par résolution de problèmes:

Gagné définit la résolution du probleme en l'élaboration d'une règle surordonnée s'appliquant à une situation a partir de règles sous-ordonnées qui ne s'y appliquent pas. Cette règle s'ajoutera comme capacité nouvelle au répertoire de capacités

que le sujet possède (cette règle est la solution).

Le pédagogue doit prévoir trois démarches des hiérarchies d'apprentissage pour toutes les notions à enseigner:

La première est de bien connaître les capacités ou règles sous- ordonnées nécessaires à l'apprentissage de chaque notion.

La deuxième est de s'assurer que les apprentissages sous-ordonnés ont bien été réalisés. L'valuation pédagogique ici acquiert tout son sens, elle fait partie du processus pédagogique lui-même, elle vise à déterminer, les tâches nouvelles que l'élève doit apprendre et non à évaluer les notions déjà assimilées.

La troisième démarche est de réactiver les capacités nécessaires. Il vaut mieux que cette réactivation (sous forme d'exercices de révisions) se fasse avant la présentation du problème.

(c) Guider l'activité de recherche:

Le milieu de vie présente à l'enfant un nombre considérable de situations - problèmes auxquelles il doit apporter des solutions pour s'adapter. Dans l'apprentissage le professeur doit introduire le problème dans la situation, ceci en élaborant une situation problème artificielle, mais très proche de celle de la vie.

Le rôle du professeur est de faire de sorte que le problème apparaisse clairement à l'élève; autrement dit, il doit aider,

l'élève à construire le problème, ceci premièrement. Deuxièmement, il doit guider l'élève dans ses activités de recherche de la solution. Le professeur doit s'abstenir de donner sous forme de solutions partielles les indices de la solution, il ne donnera que des indications sur les moyens conduisant à la solution. L'avantage principale de la pédagogie par résolution de problèmes est de développer chez les élèves des méthodes, des stratégies de recherches, qui sont autant de capacités générales applicables à un très grand nombre de situations. La pédagogie par résolution de problèmes est difficile, elle exige de l'enseignant une préparation soigneuse du problème et ensuite une disponibilité constante, afin qu'il puisse intervenir à propos et avec discernement tout au long de l'activité de recherche de l'élève.

(d) Rôle de la verbalisation:

Considérons d'une part la verbalisation de l'enseignant, d'autre part celle de l'élève. La verbalisation de l'enseignant est didactique et motivationnelle.

Dans l'introduction du problème, le guidage de l'activité de recherche, la parole de l'enseignant intervient avec d'autres moyens. C'est là son rôle dédactique, il s'agit d'influencer qualitativement l'activité produite par l'élève. Le rôle

motivationnel de la verbalisation de l'enseignant consiste à susciter des attitudes positives de l'élève à l'égard de la tâche, à renforcer par feed-back certaines réponses produites par l'élève.

La verbalisation de l'élève est d'une grande importance dans les activités de résolution de problèmes, un très grand nombre de recherches a démontré que les problèmes sont plus vite résolus lorsque les sujets verbalisent à haute voix leur activité.

En résumé la résolution du problème est une forme d'apprentissage adéquate lorsqu'il s'agit d'enseigner des notions tout à fait nouvelles pour l'élève. Cette méthode pédagogique suppose une très bonne connaissance de la structure de la matière à enseigner et de l'état de connaissances des élèves en cette matière. Le guidage de l'activité de recherche des élèves peut être la meilleure ou la pire des choses, selon que l'enseignant tend à élaborer des stratégies de recherche ou est conduit à souffler la solution.

...

Bibliographie

Ausubel (D.P.): The psychology of meaninful verbal learning, New York and London, Grune and Stratton, 1963.

Brubacher (J.S) Les grands pédagogues, Paris, P.U.E., 1956.

Bruner (J.S.) : Toward a theory of instruction, Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1967.

Champagnol (R.): Le rôle de la verbalisation dans la résolution de problème, in: Bulletin Psychologique, N° spécial, 1972-73.

Gagné (R.M.): The conditions of learning, London, New York, Rinehart and winston, 1970.

Illich (J.D.): Une société sans école, Paris, ed. du Seuil, 1971.

Skinner (B.F.): La révolution scientifique de l'enseignement, Bruxelles, Dessart, 1968.

...

UNIVERSITE D'AIN SHAMS
Faculté de Jeunes Filles
Section de Programmes et
de Methodologie

" Interaction et communication en classe de langue "

par

Dr. Lamaat Ismail Khalifa

1984

Quels que soient les courants à la mode, les méthodes en vigueur, les recommandations officielles, etc. l'activité dans les classes de langue reste centrée sur un maître tout-puissant. A un moment où il n'est bruit que d'approches communicatives, d'enrichissement des interactions, voire d'appel à l'autonomie de l'apprenant, celui-ci, reste en classe, quelqu'un qui ne réagit quequand on le lui demande.

En matière d'ordre établi et d'autorité, la classe est l'endroit où on travaille pour apprendre, c'est un lieu marqué. Le maître y conserve une position de pouvoir que lui confèrent, sa fonction, son savoir, son âge.

Mais la classe est aussi un lieu d'interaction sociale, elle n'a rien d'un lieu à part. La communication qui s'y établit, les interactions qui s'y réalisent, sont soumises aux normes de lieu, tout comme d'autres lieux sociaux.

Un naturel pas comme les autres:

D'un côté les discours naturels de la classe de langue sont des discours didactiques. La classe n'est pas un lieu où on discute comme on le ferait au café, préparer un projet de voyage etc.

D'un autre côté, les discours didactiques diffèrent des discours du dehors et passent comme artificieux. Au discours

second, appris, étranger de la classe s'oppose le discours maternel, naturel. Au discours surveillé, réfléchi de la classe, s'oppose un discours spontané. Au discours fictif de la classe s'oppose un discours authentique.

A l'issue de cette rapide mise en ordre nous pouvons affirmer les conclusions suivantes :

Les interactions et la communication en classe de langue sont commandées par la fonction sociale du lieu de formation. Mais il n'est possible de modifier ces modalités de communication qu'à l'intérieur des règles du lieu.

Si l'objectif poursuivi est que l'apprenant s'approprie la langue étrangère par interactions dans la classe et en dehors de la classe, les interactions observées en classe paraissent étriquées. Ce qui compte pour ces tendances communicatives c'est que l'apprenant s'engage en classe même dans des évènements de communication qui leur importent et où il aie à réagir de façon naturelle, plus intense que dans sa position habituelle d'élève répondant à la question du maître. L'acquisition naturelle s'opère par l'emploi réel de la langue à des fins d'action sur le monde et sur les gens.

Acquisition / Apprentissage:

On peut acquérir une langue étrangère comme on acquéiert la langue maternelle. L'acquisition permet d'opérer dans la

langue étrangère sans y penser, alors que l'apprentissage se manifeste par un système d'ajustement conscient, c'est ce que S. Krashen, appelle le "moniteur".

Pour Ktashen, l'acquisition d'une langue se fait selon le même processus par lequel les enfants acquièrent leur langue maternelle, ils interagissent pour le sens dans la langue cible et se préoccupent non de la forme de leurs énoncés mais de la signification des messages. L'acquisition ne dépend pas d'un enseignement explicite des règles ni de la correction des erreurs. Par contre dans l'apprentissage conscient d'une langue, selon Krashen la présentation des règles et la correction des erreurs constituent les facteurs les plus importants. C'est le système acquis qui est à l'origine de notre production langagière, l'apprentissage conscient peut servir à modifier les produits du syetème acquis parfois avant, parfois après la production d'un énoncé. Le schéma suivant distingue la théorie du "Moniteur avancée par Krashen :

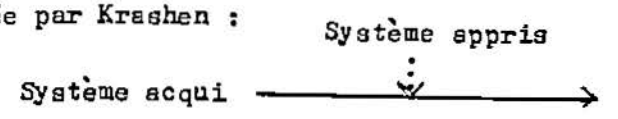

Remarquons que l'appris intervient de façon facultative par rapport à l'acquis. Nous pouvons donc nous corriger à l'aide de notre connaissance acquise d'une langue, c'est ce que font les natifs quand il arrive qu'ils se reprennent.

> Ce n'est pas en tout cas simple hasard si l'enseignement des langues voit se multiplier des pédagogies parallèles humanistiques ou alternatives qui réhabilitent la personne globale (et non seulement l'apprenant ou le communicateur). Ainsi, selon des voies différentes, la suggestopédie et la psychodramaturgie linguistique rompent avec les schémas interactionnels, habituels de la classe et s'efforcent d'en transformer l'espace.(1)

La suggestopédie:

La suggestopédie est une branche de la suggestologie, qui, elle-même, peut se définir comme la science de la suggestion. "La thèse du professeur Lozanov demeure la Bible en ce domaine". écrit Jean Cureau dans un article intitulé: Approches suggestopédique en milieu scolaire.(2)

Lozanov propose de porter l'effort sur les liens rationnels ou inconscients, dans l'apprentissage. C'est là qu'il place l'approche suggestive. Il le fait en se fondant sur le fonctionnement différencié des deux hémisphères célébraux:

---

(1) Coste Daniel, Les discours naturels de la classe, in: Le Français dans le Monde, N° 183, Février, Mars, 1984, p. 21.

(2) Lozanov, Georgi: Suggestology and outlines of suggestopedu, Gordon and Breach, 1978.

Cureau Jean, Approches suggestopédiques en milieu scolaire, in: Le Français dans le Monde, N° 175, Février-Mars, 1983. p. 30.

- l'hémisphère gauche étant plus celui de la réflexion, du raisonnement, de l'organisation logique.
- l'hémisphère droit étant plus celui de la sensibilité, de l'affectivité, de l'imagination.

> "Pour Lozanov la suggestion est une forme universelle de reflexe psychique pendant lequel, par la stimulation de l'activité psychique inconsciente, on crée chez le récepteur une disposition psychique orientée, vers le surgissement des réserves fonctionnelles de l'être humain." (1)

Tout apprentissage doit donc combiner l'intellectif et le psychique, tout message sera perçu dans sa globalité. Le passage par le psychosuggestif sollicite les réserves qui sont en chacun de nous. L'apprentissage selon cette hypothèse est une rééducation. Les grandes orientations pédagogiques que nous pouvons déduire de cette théorie sont:

1- La foi en l'homme :

Le professeur suggestopède doit être persuadé de la qualité et des possibilités de l'individu à qui il s'adresse et qu'il doit considérer en tant qu'être humain et non en tant qu'un simple apprenant. Ce n'est pas seulement l'autorité que donnent l'expérience, les diplômes mais bien celle que donne la conscience

(1) Cureau, Jean, Approches suggestopédiques, op. cit. p. 31.

de la dimension de l'autre. La discipline ne sera pas imposée par le professeur mais sera un consensus ressenti par le Groupe-classe. De même l'erreur sera un moment accepté et considéré comme une étape normale de l'epprentissage.

2- Le climat positif et la notion de confiance:

L'approche suggestopédique repose sur un climat de paix et de confiance. Ces deux éléments fondamentaux ont leur matérialité dans la démarche quotidienne en classe, affirme Jean Cureau.(1)

La musique à cet égard a un rôle primordial dans l'établissement du climat. Elle a un rôle de réequilibrage, des fonctions célébrales.

L'attitude du professeur est souple, détendue, silencieuse. Tout doit concourir à une disposition d'esprit qui s'ouvre, non pas sur un apprentissage, mais sur une acquisition librement acceptée.

La confiance est un autre maître mot de l'approche suggestopédique. Il faut éviter le morcellement de la matière. Rien n'est plus déprimant pour l'élève que de savoir qu'on n'étudiera qu'une règle à la fois ou que six phrases en français pendant le cours. L'élève reçoit un dossier contenant le texte, des pages

---

(1) Cureau Jean, op. cit.

de grammaire, du lexique, des activités qui lui permettent d'acquérir la langue sous différents angles en donnant la préférence à ceux qui correspondent le mieux à sa façon de savoir la réalité. Il faut écarter tout ce qui reesemble à une leçon traditionnelle afin que l'apprenant sache qu'il n'a pas à acquérir des savoirs pura mais des savoirs qui le mènent rapidement à des savoirs-faire.

Le psychodramaturgie linguistique:

La psychodramaturgie linguistique (PDL) est issue du psychodrame et de la dramaturgie. Elle doit au drame les techniques du double, du renversement de rôle..
Elle doit à la dramaturgie l'utilisation des masques, certaines formes d'expression théâtrale, certaines techniques de formation des acteurs. Cette méthode s'adresse aux débutants complets et aux faux-débutants, elle a pour objectif le développement d'aptitudes et d'attitudes qui favorisent la relation et la communication avec soi, avec les autres et avec l'environnement.

Nous nous contenterons d'énumérer certaines de ces aptitudes et attitudes.

- Une bonne technique respiratoire et vocale
- Une flexibilité, physique, affective et intellectuelle
- La faculté, de s'exprimer, d'accepter l'erreur.

- L'ouverture, l'écoute, la disponibilité
- Une confiance en soi et en l'autre.

C'est en développant ces attitudes et aptitudes nécessaires à l'expression de la spontanéité créatrice que les apprenants chacun à son rythme, entrent en contact avec la langue. La langue est vécue et non apprise. Le participant est engagé à la fois au niveau physique affectif et intellectuel dans le processus d'apprentissage. Le corps est directement impliqué dans tout acte de parole et gestes, attitudes, mimiques accompagnent, soutiennent prolongent l'expression verbale. Le travail de la voix permet de retrouver un contact ludique avec les sons de la langue.

L'affectivité a une place essentielle en PDL, ceci non seulement en raison de l'importance de la fonction expressive dans le langage, mais aussi en raison de l'implication directe des participants en tant que personnes dans le processus d'apprentissage. La langue n'est pas extérieure du groupe mais nait dans l'ici et maintenant du groupe.

L'activité intellectuelle n'est pas réduite à des processus cognitifs et conscients, les processus subconscients de synthèse, d'organisation des connaissances, de généralisation, de compréhension ont lieu tout le long de l'apprentissage. Les activités proposées ne font non seulement appel à la mémoire intellectuelle mais aussi et surtout à la mémoire motrice et à la mémoire affective.

La PDL n'a pas recours à la traduction. Dans l'enseignement traditionnel c'est à l'élève de comprendre ce que l'enseignant et le manuel veulent dire, ce qui l'invite à une traduction intérieure. Avec la PDL la situation est renversée, c'est aux animateurs de percevoir ce que les apprenants désirent exprimer et leur fournir les moyens linguistiques nécessaires.

Intérêt de la psychodramaturgie linguistique

1. Au niveau personnel:

La PDL conduit les participants à une plus grande prise de conscience d'eux-mêmes, à un contact plus sensible avec leur corps et à une relation plus profonde avec leur vie affective.

Les expériences en ce domaine ont fait remarquer chez les participants une expression plus libre de leurs impressions, ce qui peut leur permettre une communication plus directe et plus claire avec leur entourage.

2. Au niveau linguistique:

Les expériences ont démontré que la langue n'est plus ressentie comme un corps étranger mais est intégrée et fait partie de l'individu qui ne craint pas de s'exprimer dans cette langue. L'habitude dès le début de l'apprentissage d'être confronté à une langue totale facilite la rencontre avec la réalité de la langue à l'étranger. La compétence de communication des apprenants va au-delà de leur compétence linguistique.

Conclusion

C'est dans cette conoeption globale de l'individu et de l'apprentissage, dans le respect de la spécifité des conditions d'acquisition de la langue que résident la particularité et l'importance de l'impact de la suggestopédie et de la psycho-dramaturgie linguistique.

...

Bibliographie

Bélanger Bagriana, Retz, 1978.

Dufeu, B.: Verss une pedagogie de l'être, Heft, Juin 1982.

Dufeu, B.: La grammaire intentionnelle, Lehren, 1982.

Lerede, Heab: Qu'est-ce que la suggestologie ? Privat, 1980.

Lerede, Jean: Suggérer pour apprendre, P.U.Q., 1980.

Lozanov, Georgi: Suggestology and outlines of suggestopedy, Gordon and Breach, 1978.

Moreno, R.: Les fondements de la sociométrie, Paris, P.U.E, 1970.

Ostrander Sheila: Superlearning, Delacorte Press, 1979; Traduction en français: Les fantastiques possibilités du cerveau, Laffont, 1981.

Public Source Commission of Canada: A teaching experience with the suggestopedic method, 1975.

Richeaudeau: Les secrets de la communication efficace, Paris, Retz, 1975.

Saferis Fanny: Une révolution dans l'art d'apprendre, Laffont, 1978.

...

PRAGMATIC PRINCIPLES AND FOREIGN LANGUAGE TEACHING

Dr. SANA ABDEL AZIZ TAMMAM
University College For Women
Ein Shams University

1986

Pragmatic Principles and Foreign Language Teaching

Dr. Sanaa A. Tammam

"Most of our misunderstandings of other people are not due to any inability to hear them or to parse their sentences or to understand their words. A far more important source of difficulty in communication is that we so often fail to understand a speaker's intention".

(Miller, 1974)

In studying conversation, a distinction can be made between linguistic competence which is made up of grammatical competence (abstract decontextualised knowledge of intonation, phonology, syntax and semantics etc.) and pragmatic competence (the ability to use language effectively in order to achieve a specific purpose and to understand language in context. This parallels Leech's (1983) division of linguistics into grammar (the decontextualised formal system of the language) and pragmatics (the use of language in a goal-oriented speech situation in which the speaker is using language in order to produce a particular effect in the mind of the hearer. Leech suggests that the semantics/pragmatics distinction can be equated, at least in part, with the distinction between

'sentence meaning' and 'speaker's meaning'. This point has been made and discussed by Bach and Harnish (1979), Wilson and Sperber (1979, 1981) who all argue that while the range of possible senses and references of an utterance is explicitly provided, by semantic rules, pragmatic principles are needed in order to:
(a) assign sense and reference to the speaker's words.
(b) assign force and value to the speaker's words.

As Corder (1981) has pointed out, almost all sentences are ambiguous when taken out of context, while instances of sentences being genuinely ambiguous in contexts are fewer. It's one's semantic knowledge which provides the range of possible meanings of ambiguous sentences such as:

1- i. She missed it

In which the verb'miss 'has at least three senses and 'she' and 'it' have indefinite number of possible referents.

Pragmatic principles particularly the Gricean maxim of relevance allow one to assign sense and reference to the utterance in context e.g. if it were uttered in reply to:

1- ii. Why didn't Jane come on the earlier train?

Pragmatic inferencing would allow one to determine that 'she' referred to Jane, 'it' to 'the earlier

train' and 'missed' had the sense 'failed to catch'. Whereas in reply to:

1- iii. How did Jane manage without a car?

'she' would refer to 'Jane', 'it' to 'the car' and 'missed' would have the sense 'felt the lack of'.

Pragmatic principles, too, would allow one to assign force to the utterance e.g. criticism or disapproval.

It follows, therefore, that the hearer would fail to perceive the speaker's communicative intent if, from the range of possible senses and references, the hearer chose that which the speaker had not intended, and, if the hearer failed to perceive the intended illocutionary force of the speaker's utterance. The following examples illustrate the point:

2- a. Could you tell me when we get to Birmingham please?

b. Don't worry, it's a big place, I don't think it is possible to miss it.

In this case the driver understood that A's utterance is a request for information but misunderstood the intended sense of 'when' while in this case:

3- a. Is this coffee sugared?

b. I don't think so, Does it taste as if it is?

B interprets A's utterance as a genuine request for information rather than as A intended a complaint, the intended effect of which was to elicit an apology or an offer to provide the sugar.

For an utterance to be pragmatically successful involves two types of judgements: On One level, the basically grammatical assessment of a linguistic token and on the other, judgements concerning the pragmatic force of that utterance in a particular social setting.

The two levels are, of course, closely linked and the hearer's failure (at level I) to understand which proposition has been expressed may make it impossible for him to understand the intended illocutionary force (at level 2): e.g.

4- Lecturer : Have you seen Leo?

It was not clear, even in context, to decide whether he was using 'seen' in the sense of:

(a) to set eyes on: in which case the force of an utterance would probably have been a request for information: where is Leo?

(b) 'seen' in the sense of (spoken to), in which case the force would have been something between

criticism and a reproach for requiring an explanation or an apology (Have you spoken to Leo, as I have told you, and if not why not?).

Strictly speaking it would be logical to apply the term 'pragmatic failure' to misunderstandings which occur at either level one or level two, since both levels involve H in pragmatic inferencing but I reserve the term exclusively for misunderstandings which arise, not from the ability on the part of H to understand sense/reference of the speaker's words in the contexts in which they are uttered since they are relatively apparent in surface structure and can be judged according to prescriptive rules but from an inability to recognise the force of the speaker's utterance when the speaker intended that this particular hearer should recognise it.

Leech (1977), Brown and Levinson (1978) point out that the pragmatic force of an utterance is frequently ambivalent even in context, and often intentionally so. For reasons of politeness or expediency both speaker and hearer may deliberately exploit ambivalence.

".....the rhetoric of speech acts often encouranges ambivalence. "Would you like to come in and sit down?" depending on the situation could be

an invitation, a request or a directive. Or more importantly, it could be deliberately poised on the uncertain boundary between all three. (Leech, 1977:99).

We can say then that "pragmatic failure" has occurred on any occasion on which H perceives the force of S's utterance as other than S intended he should perceive it. For example: if,

(a) H perceives the force of S's utterance as stronger or weaker than S intended he should perceive it.

(b) H perceives S's utterance as ambivalent where S intended no ambivalance.

(c) S expects H to be able to infer the force of his utterance but is relying on a system of knowledge or beliefs which S and H do not in fact share.

In this paper however, we argue that for those engaged in the teaching of English to people from other cultures, pragmatic failure raises issues which make it essential to distinguish two types of pragmatic failure here:

i. Pragma-linguistic failure which occurs when the pragmatic force mapped by S onto a given utterance is systematically different from the force most frequently assigned to it by native speakers of TL.

ii. Socio-pragmatic failure: A term we have appropriated from Leech (1983:10-11) which we use here to refer to the S's failure to understand the social conditions placed on Language in use : i.e.

a) The communicative intent of an utterance: speech act, and,

b) The attitude of the S towards the hearer (the degree of social distance, relative power, rights, duties ..... etc).

As one moves from a to b one moves from what is language-specific to what is culture-specific. Pragma-Linguistic failure is basically a linguistic problem caused by difference in the linguistic encoding of pragmatic force, while socio-pragmatic failure stems from cross-culturally different perception of what constitutes appropriate linguistic behaviour. It is this latter type that we shall concentrate on.

It pragmaic expectations and assessment are indeed culture-specific, it is likely that a foreign S will assess size of imposition, social distance ... etc differently from a native speaker.

(1) <u>The Sample</u>

In this paper we shall demonstrate that language learners may fail to interpret a text, not because

they lack the necessary linguistic knowledge or because they lack the requisite knowledge of the world but because of a cross-cultural conflict of values and beleifs between the students and what the author intends to convey. If this is so with a literary text, it might also be true at times in ordinary human interaction.

Twelve students were presented with the opening dialogue in Jane Austen's Pride and Prejudice, and asked to write their comments on it. These students, at the time, had just been out of secondary schools where they had been taught very little literature, but with a knowledge of English sufficient to have overcome an entrance examination, and to be accepted by a university English department. Their answers revealed that though they seem to have understood the semantics of sentences, they had misinterpreted the utterances and consequently formed a mistaken impression of the two characters of Mr and Mrs Bennet and of the relationship between them.

(2) Model of Analysis:

I shall use the conversational rules proposed by Grice and apply them to the dialogue. Grice's principles can be expressed as follows:

The cooperative principle

Make your contribution such as is required, at the stage at which it occurs, by the accepted purpose of direction of the talk exchange in which you are engaged,

Maxim of Quality

Try to make your contribution one that is true specifically:

a. do not say what you believe to be false.

b. do not say that for which you lack adequate evidence.

Maxim of Quantity

a. Make your contribution as informative as is required for the current purposes of the exchange.

b. do not make your contribution more informative than is required.

Maxim of Relevance

Make your contribution relevant.

Maxim of Manner

Be perspicuous and specifically:

a. Avoid obscurity.

b. Avoid ambiguity.

c. Be brief.

around for a related but cooperative proposition that B might be intending to convey, we arrive at the opposite or negative of what he has stated, namely that there is nothing America can do. Hence, ironies arise. If there is no underlying assumption of cooperation, no irony would be drawn.

Levinson (1983) suggests that the exploitations or floutings, of different maxims could give rise to many of the traditional "figures of Speech".

"These inferences are based on the remarkable robustness of the assumption of cooperation: if someone drastically and dramatically deviates from maxim type behaviour, then his utterances are still read as underlyingly cooperative if this is at all possible" (1983: 109).

(3) Analysis

The conversation between Mr. and Mrs. Bennet opens with the following exchange:

My dear Mr. Bennet", said his lady to him one day, "Have you heard that Netherfield Park is let at last?"·

Mrs. Bennet's question is intended not only as an inquiry whether Mr. Bennet has or has not heard the news but as an introduction to a topic which is

oriented to reach a certain end.

Mr Bennet replied that he had not.

Mr Bennet however, chooses to reply to the inquiry part of her question and totally ignored the topic.

"But it is", returned she, "for Mrs. Long has just been here and she told me all about it".

Mr Bennet made no answer.

By social standards, Mr Bennet's responses are clearly not sufficient. He is not saying enough. The maxim of Quantity is being broken, and the author makes this clear to the readers in Mrs. Bennet next remark and the manner in which it is uttered:

"Do not you want to know who has taken it? "cried his wife impatiently.

Mrs. Bennet is persistently proceding with the topic forcing her husband to join into it.

Mr. Bennet deliberately breaks the maxim of Quantity again. The topic and the procedure are not new to him. So, he accepts the discussion resignedly and knowingly. This time by saying more than the situation requires:

"You want to tell me, and I have no objection

to hearing it".

This was invitation enough.

"Why, my dear, you must know, Mrs. Long says that Netherfield is taken by a young man of large fortune from the North of England, that he came down on Monday in a chaise and four to see the place, and was so much delighted with it that he agreed with Mr. Morris immediately, that he is to take possession before Michaelmas, and some of his servants are to be in the house by the end of next week".

"What is his name?".

Mr. Bennet let go some of his resistance and begins to play up to her in what amounts as a game:

"Bingley"

Mr Bennet procedes with the topic, hitting directly and knowingly at her intentions.

"Is he married or single?"

"Oh, single, my dear, to be sure. A single man of large fortune four or five thousands a year. What a fine thing for our girls".

In her turn Mrs. Bennet appears to break a maxim, the maxim of Relevance, in juxtaposing the wealth

of Mr. Bingley with the good fortune of their daughters. But she is in fact operating the cooperative principle in the ordinary way, here deliberately to set up an implicature. Mr. Bennet's response is to pretend not to recognise it as such:

"Hor so, how can it affect them?"

Forcing her to reach her maximus goal and to define shortly the conversational implicature:

"My dear Mr. Bennet", replied his wife, "how can you be so tiresome! You must know that I am thinking of his marrying one of them".

She expects her husband to folow her use of Grice's maxims at their deeper level. He deliberately ignores the implicature underlying her utterance by questioning whether her inference is Mr. Bingley's intention:

"In this his design in settling here?"

Mr. Bennet seems to break the maxim of Quality here and by operating the cooperative principle he is setting up an implicature; namely that he knows that this is not Mr. Bingley's design in settling there, yet posing his ironical question mainly to imply her. Her response supports this:

"Design! Nonesense, how can you talk so. But

it is likely that he may fall in love with one of them, and therefore you must visit him as soon as he comes".

"I see no occasion for that, you and the girls may go, or you may send them by themselves, which perhaps will be still better for as you are as handsome as any of them, Mr. Bingley might like you the best of the party".

Once again an implicature is generated by a flouting of the maxim of Quality. It should be now be quite clear to the reader that Mr. Bennet quite simply is failing to follow Grice's cooperative principle, and indeed he is acting consistently, in that it is not only in his speech that he fails to do so, but in his behaviour too. He refuses to visit Mr. Bingley, and maintains this position throughout the dialogue. Levinson points out that "Grice's maxims hold true for all behavioural cooperative exchanges" (1983-103).

On no level does Mr. Bennet appear to be cooperative, so that when he begins to flatter his wife with comments on her beauty, the reader must ask himself whether the maxim of Quality is being broken. Is he serious? Indeed, in what follows, it is difficult to take what Mr. Bennet says at its face

value. But Mrs. Bennet, despite all the earlier evidence to the contrary, continues to assume that each succeeding remark of her husband will follow Grice's overriding cooperative principle and keeps taking his remarks seriously. She responds earnestly to every suggestion and coment, however outlandish, and that includes his suggestion that Bingley might prefer her to any of her daughters:

"My dear, you flatter me. I certainly have had my share of beauty, but I do not pretend to be anything extraordinary now, when a woman has five grown-up daughters, she ought to give over thinking of her own beauty".

"In such cases, a woman has not much beauty to think of".

"But, my dear, you must indeed go and see Mr. Bingley when he comes into the neighbourhood".

"It is more than I engage for, I assure you".

"But consider your daughters. Only think what an establishment it would be for one of them. Indeed you must go, for it will be impossible for us to visit him if you do not".

She speaks earnestly while he plays up to her

d. Be orderly.

(Levinson, 1983: 102).

These principles specify what people have to do in order to converse in a maximally efficient, rational cooperative way, but, as Levinson (1983) says, they do not mean that everyone speaks sincerely, relevantly and clearly all the time while providing information, but rather that people will interpret what one says as conforming to these maxims on at least some level, even if one is not strictly following them. Sometimes people do not follow a certain maxim in order to exploit it for some communicative purpose e.g.:

a. What if Israel bombarded Egypt?
b. Oh! come on, America rules the area.

The maxim of Quality requires the speaker to be sincere and true, yet any informant citizen knows that B's utterance is blatantly false. That being so, B cannot be trying to deceive A. The only way in which the assumption that B is cooperating can be maintained is if we take B to mean something rather different from what he actually said. Candlin (1981) has pointed out that a surface level lack of cooperation may conceal a deeper level cooperation, and that is simply what is happening in this case. Searching

ironically giving us the feeling that this conversation is not new, nor is his retort to his wife. His tone reveals the game he is playing which she misses all through in the reference to her beauty and finally in this reference:

"You are over scrupulous, surely. I dare say Mr. Bingley will be very glad to see you; and I will send a few lines by you to assure him of my heartly consent to his marrying whichever he chooses of the girls, though I must throw in a good word for my little Lizzy".

Again, Mrs. Bennet fails to realise her husband's deliberate breach of Grice's Maxim of Quanlity and so persistenly misses his ironical attitude and takes it earnestly all the time.

"I desire you will do no such thing. Lizzy is not a bit better than the others, and I am sure she is not half so handsome as Jane, nor half so good-humoured as Lydia. But you are always giving her preference".

"They have none of them much to recommend them", replied he; "they are all silly and ignorant, like other girls; but Lizzy has something more of quickness than her sisters".

He deliberately and ostentatiously breaks the maxim of Quality, this time to sober her down. Yet she is still blind to his uncooperative behaviour.

"Mr. Bennet, how can you abuse your own children in such a way? you take delight in vexing me, you have no compassion on my poor nerves".

"You mistake me, my dear, I have a high respect for your nerves. They are my old friends. I have heard you mention them with consideration these twenty years at least."

"Ah, you do not know what I suffer".

"But I hope you will get over it, and live to see many young men of four thousands a year come into the neighbourhood".

This is a clear indication of the repetitive form of the conversation and a climax of irony, for it entails a comment on the failure of her past and future foolish expectations.

"It will be no use to us, if twenty such men should come, since you will not visit them".

"Depend upon it, my dear, that when there are twenty, I will visit them all".

It is Mrs. Bennet failure to see the implicatures

underlying her husband's speech that leads the reader to the conclusion that she is stupid and shallow; and Mr. Bennet's persistent uncooperative behaviour while maintaining a polite form of words that leads to an impression of wit and irony, but lack of genuine sympathy for his wife which is the outcome of her irrational past attempts to force him into similar situations.

(4) Results

What is interesting is that the 12 students asked to comment seem to see the conversation with the same eyes as Mrs. Bennet. They recognise that a family quarrel is in progress but only a minor one, because the irony in Mr. Bennet's attitude is missed. The questions to which they replied on paper did not focus on irony nor, of course on the ideas of Grice. They are:

1- This is the first conversation in Pride and Prejudice what it suggests will be the subject of the story. What light does it throw on the circumstances and family life of Mr. and Mrs. Bennet?.
2- Write a character sketch of Mrs. Bennet and Mr. Bennet.

The following quotations are taken from their replies with the focus in the first few extracts on

the relationship between the couple, remarks on Mr. Bennet follow and lastly, remarks on Mrs. Bennet. Quotations which are not directly relevant to the theme of this paper or some repetitions are not included.

1- I think their family life is not exactly happy.

2- It seems they have a happy marriage but Mr. Bennet is a bit absent-minded.

3- Mr. Bennet is proud of his wife but they sometimes have their disagreements.

4- Mr. Bennet seems to ignore his wife and her opinions of life though he is polite to her.

5- Mr. Bennet loves his wife but doesn't always listen to her or take notice of what she is telling him.

6- Mrs. Bennet seems to be talkative and domineering.

7- I guess she is the head of the family.

8- Mrs. Bennet is a determined person. She knows how to get what she wants.

9- Mrs. Bennet has had bad nerves and her husband does not understand her.

10-Mrs. Bennet likes her children very much and she wants them to be happy like her.

No attempt was made to follow up the students' replies with further questions so as to elicit reasons for their views. It remains then only to speculate on their partial lack of insight. It is possible

that lack of concentration was a contributory factor but since they were providing written answers, they had the opportunity to return repeatedly to the text. It remains possible that Grice's maxims are universally so deeply ingrained that, without training, readers are unable to descern when they are suspended. Alternately, conversational rules are culturally conditioned and not universal. So could it be that it is the student's own social background which contributes to such an impression? It was thought however, that it would be worth while pressenting another group of students with the same conversation translated into the learners mother tongue and then compare responses. It was hoped that this could throw some light on the question of irony on one hand and on the general impression which the students seem to have formed; that Mrs. Bennet was talkative and shallow on the other.

When this was done with ten-student group who recently joined the English department, we got the following responses:

1- The two people are of different personalities. They always disagree about family affairs.

2- They have been married for twenty years and their family life is becoming boring.

3- Their relationship is not at all clear.

4- Mr. Bennet does not care about his daughters or their social behaviour.

5- Mr. Bennet does not approve of the way his wife wants to marry his daughters.

6- Mr. Bennet is not interested in his wife's nor in his neighbours.

7- Mr. Bennet is a kind and polite person.

8- Mrs. Bennet is takative and materialistic.

9- Mrs. Bennet is very shallow and ignorant. She does not understand her husband.

(5) Conclusions

These two groups of responses indicate the learners' realisation of the disagreement between the two characters but they show variation in explaining the reasons for this disagreement. The first group of responses shows partial insight into the relationship between the couple as in 4 and 5, though they miss irony. While 6 as well as 1 record a correct insight into Mrs. Bennet's fictional character. Response 10, however, is of a very important significance.

The second group of responses is more articulate in explaining the reasons for this disagreement. Responses 1,4 and 6 show partial insight into this relatinship, while 5 acquires the same significance as response 10 in the first group. It is very difficult

to assume that the learners who gave these two responses have missed irony.

Responses 8 and 9 show correct insight into the fictional character of Mrs. Bennet. The later being nearer to the point.

The resemblance between these two groups of responses accentuates the significance of the cultural aspect of pragmatics and answers our previous question about the importance of the learners' social background in interpreting texts which represent different values and cultural attitudes.

Jane Austen and Mr. Bennet are working against a deep rooted middle class Egyptian tradition and that explains partly why the note of irony adopted by both author and character are all together missed by students, and explains too, why the opposite point of view of Mrs. Bennet is endorsed. In the tradition referred to, happiness is equated with marriage, and marriage becomes an end and a goal of every unmarried woman. The role of a father and a mother is, therefore, evaluated according to what extent they provide or fail to provide conditions of marriage for their daughter, hence the importance of the answer we got in 10 in the first group, and response 4 in the second group. The unique departure from this tradition comes

only once in the second group, in response 5.

The students, therefore, have failed to interpret the situation not because they lack linguistic ability to understand the semantics of utterances, nor to perceive the force underlying them but because of cross-cultural difficulties and by so doing they were unable to perceive the relationship between the two main characters in the same way the author intended them to do. They may have been also misled by the level of superficial politeness exhibited in the test and by the use of terms of endearements. Polite usage in Arabic permits less elaborate expressions than English and more direct speech acts (except may be among intellectuals). Fraser, Rintell and Walters (1981:79) argue:

> "Although the inventory of Speech acts and performing strategies may be basically the same across languages, two languages (i.e. Language-culture pairings) may differ significantly in terms of what you do and to whom".

(6) Pragmatics and Language Teaching

Pragmatic failure, then, is an important source of cross cutlure communication breakdown, but in spite of this, teachers and textbook writers alike have almost completely ignored it. It is not difficult

to understand why this would be so, and why they have suffered to remain on the more solid ground of grammar. Firstly, as Widddowson (1979:13) has pointed out, Pragmatic description has not yet reached the level of percision which grammar has attained in describing linguistic competence. Secondly, pragmatics -language in use- is a delicate area and it is not immediately obvious how it can be taught. Two points will be discussed here in this direction:

(1) Pragmatic principles, as already remarked, are not immediately apparent in the surface structure of utterances and can be revealed only be discussing with students what force they intend to convey. But first students must be given the tools to make such discussions possible. What I am proposing then is that teachers should develop a students' meta-pragmatic ability to analyse language use in a conscious manner -a process which Sharewood-Smith (1981: 152-3) terms "conscious-raising". This might be achieved in two ways:

a- By making them aware of Grice's pragmatic principles underlying utterances, and of the conventional implicatures attached to them generally so that when any of the maxims is flouted they can perceive the unconventional implicature being intended. Mastery of the

Gricean maxims would seem to be essential if the foreign learner is going to be able to understand English well and fit it socially when using it himself. This factor is essentially important as without it the confidence so inportant for linguistic performance likely to be undermined.

b- By discussing language use in the light of pragmatic parameters such as:

position (role, status ... etc)

properties (sex, age ... etc)

relations (dominance, authority etc)

By making explicit to the learner the different principles which underlie pragmatic decision-making, we not only give the learner the knowledge or make an informed choice but also allowing him/her the freedom to flout pragmatic conventions in exactly the same way as the native speaker does.

c- By discussing drama to make pragmatic analysis explicit: As short (1981: 200). The discussion of what is meant, implied etc. by characters in dramatic dialogue can also be used in class to make students explicitly aware of the communicative nature of discourse

(2) Teachers need to alert their students to possible cross-cultural differences:

"It seems to be advisable for the teacher to explicitly point out to the learner that politeness markers are an integral part of the foreign cultural system and should neither be used nor interpreted by reference to the learner's native system". (House and Kasper 1981:184). Sensitizing learners to expect cross-cultural differences in the linguistic realisation of politeness, truthfulness ... etc makes the teaching of language truely educational. Such techniques, I would suggest are desirable pedagogically and politically. They help them to develop a positive attitude towards learning a foreign language and improve their appreciation of foreign texts especially literary texts.

We do great injustice, if we expect students simply to absorb pragmatic norms without explicit formalisation. The teaching of pragmatic appropriateness should not be left until complete grammatical competence has been attained. Once a student is exposed to the target culture, he rapidly acquires pragmatic competence.

Observations of adults who already speak fluent English, but never attained pragmatic competence make one think that pragmatic competence can never be simply

"grafted" on to "grammatical competence", and make one wonders whether there is not a point beyond which it is difficult to acquire different pragmatic norms.

References

1- Austen J. (1813) Pride and Prejudice, London, Everyman 1966.

2- Bach K. and R. Harnish (1979) Linguistic communication and Speech Acts, Cambridge, Mass: MLT Press.

3- Brown P. and Levinson S. (1978) Universals in Language use: Politeness phenomena, in E Goody (ed.) Questions and Politeness: Strategies in Social interaction, Cambridge U.P. 56-311.

4- Candlin, C.N. (1981) "Discoursal patterning and the equalising of interpretive opportunity", in Smith (ed.) English for Cross Cultural Communication. London: Macmillan.

5- Corder, S.P. (1981) Error Analysis and Interlanguage. Oxford: OUP.

6- Fraser, B. E. Rintell, and J. Walters, (1981) "An approach to conducting research on the acquisition of pragmatic competence in a second language," in Larsen-Freeman (ed.) Discourse Analysis, Rowley, Mass: Newbury House.

7- Crice, H.P. (1975) "Logic and Conversation" in P. Cole and Morgan (eds.) (1975).

8- House, J. and G. Kasper, (1981) "Politeness markers in English and German" in F. Coulmas (eds.) Conversational Routine, (157-86) The Hague: Mouton.

9- Leech, G.N. (1977) "Language and Tact", LAUT Series A, paper 46, University of Trier.

10- (1983) Principles of Pragmatics, London: Longman.

11- (1980) Exploration in Semantics and Pragmatics, Amsterdam: John Benjamins.

12- Levinson S.C. (1983) Pragmatics, CUP.

13- Miller, G.A. (1974) "Psychology, Language and Levels of communication" in Silvertein (ed.) Human Communication, New York: John Wiley.

14- Rintell,E. (1979) "Getting your Speech Act together: the pragmatic ability of second language learners" in working papers in Bilingualism 17:97-106.

15- Sharewood-Smith, M. (1981) "Consciousness-raising and second language learners", Applied Linguistics 11/2; 159-68.

16- Short, M.H. (1981) "Discourse Analysis and analysis of drama". Applied Linguistics 11/2: p. 180-202.

17- Widdowson, H.G. (1979) Exploration in Applied Linguistics, Oxford: OUP.

18- Wilson D. and D. Sperber (1981) "On Grice's theory of conversation, in P. Werth (ed.) Conversation and Discourse-structure and Interpretation (155-78) London: Croom Helm.